

# مكاشفة القلوب

المقرب إلى حضرة علام الغيوب

لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

مختصر من المكاشفة الكبرى ،

حقق نصوصه وخرج أحاديثه

أبو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ترجمة المؤلف

نسبه :

هو الإمام الكبير أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي .

مولده :

ولد في طوس ، ونشأ فيها ، وكان حاكماً مقبلاً على طلب العلم وتحصيله ، وأخذ العلم عن جميع من المشايخ منهم إمام الحرمين ، ثم ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد .

تصانيفه :

ألف الإمام الغزالي الكثير من المؤلفات نذكر منها :

( ١ ) « البسيط » في الفروع على « نهاية المطلب » لإمام الحرمين .

( ٢ ) « الوسيط » في الفقه الشافعي .

( ٣ ) « الوجيز » في الفروع .

( ٤ ) « تهافت الفلاسفة » .

( ٥ ) « مقاصد الفلاسفة » .

( ٦ ) « إحياء علوم الدين » .

( ٧ ) « فضائح الباطنية » .

(٨) جواهر القرآن .

وفاته :

توفي - رضى الله عنه - في سنة ( ٥٠٥ هـ ) .

انظر ترجمته في :

(١) العبر ٤ / ١٠ .

(٢) شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ .

(٣) النجوم الزاهرة ٥ / ٧٥ .

كتبه :

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة .



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنيات وقدر الأرزاق والأفوات وأثاب على الأعمال الصالحات .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي المعجزات الظاهرات الذي حصل من نوره وجود الكائنات .

وبعد فهذا كتاب اخترته من الكتاب البديع حسن لصنع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب إلى حلام الغيوب المنسوب إلى الشيخ الفزالي وقد سميت كاصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والمنسوب واتصفت فيه على مائة وأحد عشر بابا ليحفظ ما فيها أو لو العلم والأكتاب .

### باب الأول

#### في بيان الخوف

جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « أن الله تعالى خلق ملكا له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة ، وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش ، فإذا صلى رجل أو امرأته من أمتى على ، أمره الله تعالى بأن ينحس في بحر من نور تحت العرش لينحس فيه ثم يخرج ويغض جناحيه فيقطر من كل ريشة قطرة . فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة »

قال بعض الحكماء : سلامة الجسد في قلة الطعام ، وسلامة الروح في قلة الأثام وسلامة الدين في الصلاة على خير الأنام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بمعنى اخشوا الله ﴿ وَتَقَرُّ قُلُوبُكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِنَفْسِكُمْ ﴾ يعني ما عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) من الخير والشر ، فإن الملائكة والسماء والأرض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى أن جوارحه تشهد عليه والأرض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول : صلى على وصام وحج وجاهد فيخرج المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والمعاصي فتقول : أشرك على ظهري وشرب الخمر وأكل الحرام فباياله أن

(١) آية (١٨) سورة الحشر .

ناقشه في الحساب أرحم الراحمين .

المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث : علامة خوف الله تظهر في سبعة أشياء :

أولها : لسانه فيستعني من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضل ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن وملازمة العلم .

والثاني : قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان ، لأن الحسد يمتص الحسنة كما قال ﷺ : الحسد يأكل الحسنة كما تأكل النار الحطب (١) .

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة في القلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل .

والثالث : نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ولا إلى الدنيا بالارغبة ، بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر إلى ما لا يحل له كما قال ﷺ : من ملا عينه من الحرام ملا الله تعالى يوم القيامة عينه من النار (٢) .

والرابع : بطنه فلا يدخل بطنه حراما فإنه أثم كبير كما قال ﷺ : إذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم لعت كل ملك في الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمة في بطنه ، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنم .

والخامس : يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدّها إلى ما فيه طاعة الله تعالى .

وروي عن كعب الأحبار أنه قال : أن الله تعالى خلق داراً من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت لا يتزلها إلا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى .

والسادس : قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

والسابع : طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرباء والتفاني فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿ وَالْآخِرَةُ حِثٌّ لَكُمْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) وقال في آية

(١) (ضعيف) أبو داود (٤٩٠٣) ، وضعيف الجامع (٢١٩٧) .

(٢) (موضوع) الفوائد المجموعة ص (٢٠٧) : حديث (٢٧) .

(٣) آية (٣٥) سورة الزخرف .

أخرى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ (٢) وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٣) كأنه تعالى يقول : أنهم يتجرون يوم القيامة من النار .

ويشفي للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء ليرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٤) ويعبد الله ويرجع عن أفعاله السيئة ويحب إلى الله .

حكاية : بينما داود - عليه السلام - جالس في صومته يطر الزبور إذ رأى دودة حمراء في التراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة ؟ فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت : يا نبي الله أما نهاري فأنهمني ربي أن أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وأما ليلي فأنهمني ربي أن أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة ، فأنث ما تقول حتى أسغيد منك ، فندم داود - عليه السلام - على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وثاب إليه وتوكل عليه .

وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - إذا ذكر خطيئته يفضي عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فأرسل الله إليه جبريل فأتاه فقال له الجبريل بقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلي يخالف خليله فقال يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوقه نسبت تخليتي .

فهذه أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين والزهادين فتأمل ؟ .

### الباب الثاني

#### في الخوف من الله تعالى أيضا

قال أبو الليث - رحمه الله تعالى - : أن لله ملائكة في السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترتعد فرصهم من مخافة الله تعالى ، وإذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤوسهم فقالوا سبحانك ما هيبتك حقيق هيبتك وذلك قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) يعني لا يعصون الله تعالى طرفة عين . وقال رسول الله ﷺ : إذا اقتسم جسد العبد من خشية الله تعالى تحتت عنه ذنبه كما تحتات عن الشجرة ورقها .

حكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما

(٢) آية (١٧) سورة الطور .

(٤) آية (٥٣) سورة الزمر .

(١) آية (٤٥) سورة الحجر .

(٣) آية (٥١) سورة الدخان .

(٥) آية (٥٠) سورة النحل .

خلا بها في البادية وتام الناس أفشى الرجل سره إليها فقالت له المرأة : انظر أنام الناس بأجمعهم قفرح الرجل بقولها وظن أنها قد أجابت فقام وطاف حول القافلة فإذا الناس نيام فرجع إليها وقال لها نعم هم نيام فقالت : ما تقول في الله تعالى أنائم في هذه الساحة فقال الرجل إن الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة : إن الذي لم ينم ولا ينام يرانا وإن كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف منه ، فتركها الرجل خوفا من الخالق ، وقاب ورجع إلى وطنه ، فلما مات رآوه في المنام فقبل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بخوفي وتركى ذلك اللئب .

حكاية : كان في بني اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته للجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيئا لعيالها فجاءت إلى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل : نعم ولكن مكينني من نفسك فسكتت المرأة وصادت إلى بيتها فنظرت إلى عيالها يصيحون ويقولون يا أمي نحن نموت من الجوع أعطنا ما نأكله فذهبت إلى الرجل وكلمته في أمر عيالها فقال لها : أنتكون حاجتي مقضية فقالت : نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاسلها حتى كادت أعضاها تزول عن مواضعها فقال لها : مالك ؟ فقالت إني أخاف الله فقال الرجل إنك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك ، وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة إلى أولادها ففرحوا فأوحى الله إلى - موسى عليه السلام - أن قل لفلان ابن فلان أني قد غفرت ذنوبه ، فجاء موسى - عليه السلام - فقال لملك قد فعلت خيرا بينك وبين الله ، فذكر القصة عليه ، فقال إن الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك . . كذا في مجمع اللطائف .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « لا أجمع على عبيد خوفين ولا أمنين ، من غافني في الدنيا أمته في الآخرة ، ومن آمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة » (١) قال الله تعالى « فلا تخشوا الناس واخشوا » (٢) وقال في آية أخرى « فلا تخافوهم واخفوا إن كنتم مؤمنين » (٣)

وكان عمر - رضي الله عنه - يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبة فقال يا ليتني كنت تبة ولم أك شيئا مذكورا ، يا ليتني لم تلدن أمي ، ويكي كثيرا حتى تجرى دموعه من عينيه ، فكان في وجهه خطان أسودان من الدموع ، وقال ﷺ « لا يبلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » .

وفي رقائق الأخبار : يؤتى بعد يوم القيامة فتخرج سيأت فيؤمر به إلى النار فتتكلم شمعة من شمعات عينيه وتقول : يا رب رسولك محمد ﷺ قال : « من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وإنى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شمعة واحدة

كنت تبكي من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شمعة واحدة كانت تبكي من خشية الله في الدنيا ، وينادي جبريل - عليه السلام - نجيا فلان ابن فلان بشمعة واحدة » .

وفي بداية الهداية : إذا كان يوم القيامة جيء بهنهم تزهو زهرة فتجشو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى : « وترى كل أمة جالية » (١) أي على الركب « كل أمة تدعى إلى كتابها » فإذا أتوا النار سمعوا لها نغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام ، وكل واحد حتى الأنبياء يقول : نفسى نفسى إلا صفى الأنبياء ﷺ فإنه يقول : أمتى أمتى ، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجهد أمة محمد ﷺ في دفعها وتقول يا نار بحق المسلمين وبحق المصلين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعى فلا ترجعى وينادي جبريل - عليه السلام - أن النار قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدر من ماء فيناوله رسول الله ﷺ ويقول : يا رسول الله خذ هذا فرشه عليها فرشه عليها فتطفا في الحال فيقول ﷺ ما هذا فيقول : جبريل - عليه السلام - هذا ماء دموع عصاة أمك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطفا النار باذن الله تعالى .

وكان ﷺ يقول : « اللهم ارزقني عيتين تبكيان من خشيتك قبل أن لا يكون الدمع » (٢)

أعني هلا تبكيان على ذنبي تنثر عمري من يدي ولا أدرى

حكى عن محمد بن المنذر - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغنى أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ، فينبغي للمؤمن أن يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات الغسائية كما قال الله تعالى : « فأما من ظفئ » (٣) وأمر الحياة الدنيا (٤) فإن الجحيم هي المأوى (٥) وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٦) فإن الجنة هي المأوى (٧) « ومن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي .

وفي زهر الرباخر : روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المناير وتقرش ويؤتى لهم بألوان الأطعمة والفواكه وتكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله : « يا عبادى ما هذه الحيرة وليست هذه دار حيرة » ؟ فيقولون : إن لنا موعدا قد جاء وقته . فيقول الله تعالى : « ارفعوا الحجب عن الوجوه » فتقول الملائكة : يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة ؟ فيقول الله تعالى : « ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين

(١) آية (٢٨) سورة الحاقة .

(٢) (ضعيف) حلية الأولياء ٢ / ١٩٦ - ١٩٧ ، وضعيف الجامع (١١٧٣) ، والضعيفة (٢٩٠٥) .

(٣) آية (٣٧ - ٤١) سورة النازعات .

(٢) آية (٤٤) سورة المائدة .

(١) إتحاف السادة المتقين ١٠ / ٢٧٧ .

(٣) آية (١٧٥) سورة آل عمران .

ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقاءه فترفع الحجب فينظرون فيخرون مسجد لله - عز وجل - فيقول الله تعالى : « ارفعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة » فينجلي لهم بلا كيف ويقول لهم أنبساطا « سلام عليكم عبادي فقد رخصت عنكم فهل رخصتم عنى » فيقولون وما لنا يا ربنا لا نرخص وقد أعطينا مالا عينا رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه »<sup>(١)</sup> وقوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم »<sup>(٢)</sup>

### الباب الثالث

#### فى الصبر والعزم

من أراد أن يتنجو من هذاب الله ويثاب ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليته نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائد ما ومصائبها ، كما قال الله تعالى : « وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ »<sup>(٣)</sup> والصبر على أوجه : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارمه ، وصبر على المصيبة وعند الصدمة الأولى

فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين السماء والأرض ، ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والأرض السابعة ، ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين العرش إلى الثرى .

روى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « ما من عبد نزلت به بلية فاحتصم بي إلا أعطيت قبل أن يسألني وأستجب له قبل أن يدعوني ، وما من عبد نزلت به بلية فاحتصم بمخلوق دوني إلا أغلقت أبواب السماء عنه » فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من هذاب الدنيا والآخرة ، لأن أشد البلاء على الأنبياء والأولياء .

قال الجليلي البغدادي - رحمه الله - : البلاء مرآة العارفين وقيظة المؤمنين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين ، لا يجد أحد حلالة الإيمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر .

وقال ﷺ : « من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله خرج من قنوبه كيوم ولدته أمه ، فإذا مرضتم فلا تنتموا العافية »<sup>(٤)</sup> .

قال الضمحل من لم يتل بين كل أربعين ليلة يلبه أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير .

(١) آية (١١٩) سورة المائدة .

(٢) آية (١٤٦) سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٨) سورة يس .

(٤) تنزيه الشريعة ٢ / ٣٥٦ بحقه .

وعن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال : إذا ابتلى العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ : « إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكا فقال انظرا ما يقول عبدى فإن هو قال الحمد لله رفع ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شقته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته »<sup>(١)</sup> .

حكى أنه كان في بني اسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن متعه من فسقه فتضرعوا إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن في بني اسرائيل شلحا فاسقا ، فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه ، فجاء موسى - عليه السلام - فأخرجه فذهب الشاب إلى قرية من القرى فأمر الله موسى أن يخرج من تلك القرية فأخرجه موسى - عليه السلام - فخرج إلى مقبرة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرض في تلك المقبرة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي حنظل لرحمتني ولبكت على ملكتي ، ولو كان والدي حاضرا لأعانني وتولى أمري ، ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على فراقى ، ولو كان أولادى حاضرين عندى لبكوا خلف جنازتي ولقالوا اللهم أغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق للطرود من بلده إلى قرية ومن القرية إلى مقبرة ومن المقبرة يخرج من الدنيا إلى الآخرة أيسا من كل الأشياء .

اللهي قطعني عن والدي وأولادى وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فإنك أحرفت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بترك لأجل معصيتي ، فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وخمسا على صفة أولاده ، وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال : إن هذا والدي ووالدتي وزوجتي وأولادى حضروا عندي وطاب قلبه ، ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له ، فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إذهب إلى مقبرة كل موضع كننا فإنه مات ولى من الأولياء فأحضره وتول أمره ووارثه ، فلما حضر موسى - عليه السلام - ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور المعين حوايه فقال موسى - عليه السلام - : يا رب أما هذا الشاب الذي أخرجته من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ؟ فقال الله تعالى يا موسى إنى رحمته ونجوت عنه بآيته في موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته أرسلت إليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون على مذلة في غربته فإنه إذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الأرض ورحمة له ، فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين ١٩ .

(١) الموطأ ص (٢١٧) : حديث (٥) .

إذا وقع الغريب في النزاع يقول الله تعالى : يا ملائكتي هذا ضرب مسافر ترك أولاده وحياله ووالديه وإذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحداً من الملائكة على صورة أبيه وواحداً على صورة أمه وواحداً على صورة ولده وواحداً على صورة واحد من أقرابه فيدخلون عليه فيفتح عينه فيرى والده وحياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع الفرح والسرور .

ثم إذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له : لي قبره إلى يوم القيامة فذلك قوله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ (١)

وقال ابن عطاء : يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علم ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى : « من لم يرخصي بقضائي ولم يشكر لمطالي فليرطب ربا سوائي » (٢)

حكى وهب بن منبه أن نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ، فقال يا رب لماذا تغفر لي ولم أذنّب قط ؟ فأمر الله عذقه بضرب عليه ولم يتم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا إليه ما لقي من ضربان العرق فقال إن ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق .

### الباب الرابع

#### في الرياضة والشهوة النفسانية

أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - : يا موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسوسة قلبك إلى قلبك ومن ريحك إلى بطنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنك فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ . قال تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لقد » يعني ما عملت في يوم القيامة .

اعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أهدى لك من إبليس وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس ، وشهواتها فلا تغترنك نفسك بالأماني والفرور ، لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفتنة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها ضرور وإن وضيت عنها واتيمت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسبتها فرقت وإن عجزت عن مخالفتها واتيمت هواها قادتك إلى النار .

(١) آية (١٩) سورة الشورى .

(٢) (ضعيف) تحف السادة المتقين ٩ / ٦٥١ ، وضعيف الجامع (٥٨٤٢) .

وليس للنفس مرجع إلى الخير هي رأس البلاء ومعدن الفضيحة وهي خزائن إبليس وماوى كل شر لا يعرفها إلا خالقها ﴿ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ يعني من الخير والشر .

وإذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكير غسل القلب كما قال ﷺ : تفكر ساعة خير من عبادة سنة (١) كلما في تفسير أبي النيث .

فينبغي للمعاقل أن يتوب من اللذات الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجبه في الدار الآخرة ، ويقتصر الأمل ويجعل التوبة ويذكر الله تعالى ، ويترك المناهي ويهجر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صتم ، فمن عهد النفس بعهد الصمت ومن عهد الله بالإخلاص فهو الذي تهرقه .

وروى أن مالك بن دينار كان يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتتهاه فخلع ثقله وأعطاه إلى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النمل وقال لا يساوي شيئا قمض مالك ، فقبل للبقال ليس تعرف من هذا ؟ قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له إقبل هذا مني فأبى فقال إقبل فإن فيه تحميري فقال له مالك بن دينار : إن كان فيه تحميري ففيه تعذبي ، فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالدين ولا أكل التين إلى يوم الدين .

حكى أن مالك بن دينار مر مره في مرضه الذي مات فيه فاشتتهى قدحا من العسل والماء ليشرده فيه رغيفا حارا فقمض الحامد وحمله إليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقي من عمرك ساعة ورمى القدرح عن يده وهجر نفسه ومات . . وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزهادين .

قال سليمان بن داود - عليه السلام - أن القاهر نفس أشد من يفتح المدينة وحده .

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : ما أنا ونفسي إلا كراهي ختم كلما هجمها من جانب انتشرت من جانب آخر ، من أمانت نفسه يلف في كفن الرحمة ، ويغن في أرض الكرامة ، ومن أمانت قلبه يلف في كفن اللعة ويغن في أرض العقوبة .

قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى - : جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام ، وحمل الأذى من الأنام والفلة من الطعام ، ليتولد من قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ، ومن قلة الطعام موت الشهوات لأن في كثرة الأكل قسوة القلب وقهاب نوره ، نور الحكمة المجموع و

(١) (موضوع) تذكرة الموضوعات (١٨٨) ، وضعيف الجامع (٣٩٨٨) .



الشيخ يبعد من الله كما قال ﷺ : « نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأدبوا قلوبكم باب الجنة بالجوع فان الأجر في ذلك كأجر للجاهد في سبيل الله ، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ولن يبلغ مذكوت السماء من ملاطه وفقد حلوة العبادات » .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : ما شبت منذ أسلمت لأجد حلوة عبادة ربي ، وما رويت منذ أسلمت اشتياقا إلى لقاء ربي ، لأن في كثرة الأكل قلة العبادة ، لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل ثقل بطنه وغلبت عيناه وفترت أعضاؤه فلا يبقى منه شيء وإن اجتهد إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة - كلها في منهاج العابدين .

عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تكثر النوم والأكل فان من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة . . كلها في منية الفنى .

وقال ﷺ : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزروع إذا كثرت عليه الماء » . (١)

ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلى البخار يصل إلى فكرة البخار تكبره وتسوده وفي كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تلعب القطنة .

حكى عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيى : هل تجد لى فيها شيئا قال : لا إلا أنك شبت ذات ليلة ففقدت تلك من الصلاة ، قال يحيى - عليه السلام - : لا جرم أنى لا أشبع أبدا . فقال إبليس لا جرم أنى لا أنصح أحدا أبدا . فهذه فيمن لم يشبع فى صومه إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع فى صومه ليلة ثم يطعم فى العبادة .

حكى أيضا عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أنه شبع مرة من غبز شعير فنام تلك الليلة حين وده فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت فارا هي خير لك من طارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى ، وهزنى وجلالى لراطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم لبيت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل المروج .

(١) (الصغيفة (٧٢١) ، وتذكرة للوضوحات (١٥١) )

### الباب الخامس

#### فى غلبة النفس وعداوة الشيطان

ينبغى للعالم أن يسمع شهوة النفس بالجسوع إذا الجسوع نهر لعدو الله ، قال ﷺ : الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع <sup>(١)</sup> ، إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه ، وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذلل والافتقار ، اذ نهامهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سرأتهم . والبطن على التحريق ينبغى الشهوات .

وقال بعض الحكماء : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هفواتها ، ومنعت قلبه من القوائد ، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد خرّس فى قلبه شجرة الندامة .

إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة ، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل ، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة ، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ، ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة .

حكاية : قال إبراهيم الخواص : كنت فى جبل للكمام فرأيت رماتا فاشتبهت فأنزلت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد أجمعت عليه الزنا بغير فقلت : السلام عليك فقال لى : عليك السلام يا إبراهيم ، فقلت : من أين عرفتنى فقال : من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنا بغير ؟ فقال لى لى لك من الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فإن الرمان يجد الانسان آله فى الآخرة ولذع الزنا بغير يجد آله فى الدنيا ، ولذع الزنا بغير على النفوس ولذع الشهوات على القلوب . - فمضيت وتركته .

الشهوة تصير الملوك عبدا ، والصغير يصير العميد ملوكا ، ألا ترى إلى قصة يوسف - عليه السلام - وزليخا ، فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره ، وصارت زليخا ذليلة فقيرة عجزا عما لا أجل شهوتها ، فإن زليخا لم تصبر عن محبة يوسف .

حكى : أبو الحسن الرازى أنه رأى والده فى منام بعد موته يستين وعليه ثياب من الفطران فقال يا أبى ما لى لرى عليك هيئة أهل النار فقال يا والدى جلدتنى نفسى إلى النار فأحذر يا ولدى من خديعة نفسك .

(١) (صحيح) أحمد ٣/ ٣٠٩ وصحيح الجامع (١٦٥٨) .



إني ابتليت بإربع : ماسلطان •• إلا لشدة شغوتي وعنائي :

إليس والدنيا ونفسي والهوى •• كيف اخلاص وكلهم أعدائي

وأرى الهوى تدعو إليّ خواطري •• في ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الأصم رحمه الله : نفسي وباطني ، وعلمي وسلاحي ، وفنبي وخبيثي والشرطيان عدوي ، وأنا بنفسي غادر .

حكى عن بعض أهل المعرفة أنه قال : الجهاد على ثلاثة أصناف : جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذي في قوله تعالى : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْنَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) وجهاد مع النفس الأمارة بالسوء كالذي في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣) وقوله ﴿ أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ ﴾ .

إن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا إذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . وإنما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشرطيان أكبر لأن الجهاد معهما أديم وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت ، لأن الغازي يرى العدو ولا يرى الشيطان ، والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ، ولأن للشيطان معينا من نفسه وهو الهوى ، وليس للكافر من نفسه معين ، فلذلك كان أشد ، ولأنك إذا قتلت الكافر تجتهد النصر والخيمة وإن قتلت الكافر تجتهد الشهادة والجنة . ولا تخطر أن تقتل الشيطان ، وأن تقتل الشيطان في عقوبة الرحمن . كما قيل من فر منه فرسه في الحرب يقع في أيدي الكفار ، ومن فر منه الإيمان يقع في غضب الجبار تعود بالله منه ، ومن وقع في أيدي الكفار لا تغل يده إلى عتقه ولا تقيد رجله ولا يجمع بطنه ولا يهرى يده ، ومن وقع في غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده إلى عتقه بالأغلال وتقيد رجله بقيود النار ، ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار .

### الباب السادس

#### في الغفلة

الغفلة تزيد الحسرة ، الغفلة تزيد النعمة ، وتحجب عن الخدمة ، الغفلة تزيد الجسد ، الغفلة تزيد الملازمة والنظام .

(١) آية (٥٤) سورة المائدة .

(٢) آية (١٢٥) سورة النحل .

(٣) آية (٦٩) سورة العنكبوت .

حكى أن بعض الصالحين رأى أستاذه في المنام فسأله أي الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة . وروى أن بعضهم رأى ذا النون المصري في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي يا مدح يا كذاب ادعيت محبتي ثم غفلت عني .

أنت في غفلة وقلبك ساهي •• ذهب العمر والذنوب كسماهي

حكى أن رجلا من الصالحين رأى والده في منامه فقال يا بئيت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدي عشا في الدنيا فافلين ومتا خافلين .

وفي زهر الرياض كان يعقوب - عليه السلام - مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزارا جئت أم قابضا روحى ، فقال بل زارنا قال فإني أسألك حاجه قال : وما هي قال : أن تعلمني إذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة ، فلما انقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أزارا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرني أنك ترسل إلى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده . وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذ ، ولسى يا يعقوب إلى بنى آدم قبل الموت .

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل •• وجاء رسول الموت والقلب خافل

نسيمك في الدنيا ضرور وحسرتا •• وهيشك في الدنيا محال وباطل

قال أبو علي الدقاق دخلت على رجل صالح أحوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد بلغ أؤذله العمر فقلت له أيها الشيخ م بكائك أعلى الدنيا ؟ فقال : كلا بل أبكي على فوت صلاتي ، قلت : وكيف ذلك وقد كنت مصليا ؟ قال لأني قد بقيت يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة ولا رفعت رأسي إلا في غفلة وما أنا أموت على الغفلة ثم أنه تنفس الصعداء وأشد يقول :

تفكرت في حشرى ويوم قيامتى •• وأصباح غصدي في المقابر ثاويا

فريدا وحيدا بعد عز ورفعة •• رهيبنا بجرمي والتراب وساديا

تفكرت في طول الحساب وعرضه •• وذلل مقامى حين أعطى كتابيا

ولكن رجائى فيك ربى وخالقي •• بأنك تعفروا الهى خطايا

وفي حيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخي أنه قال : الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد تألفوها في أعمالهم : يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم . ويقولون

أن الله كثير بأرزقانا ولا تطمن قلوبهم إلا بالدنيا ، وجمع حطامها : وهذا أيضا خلاف قولهم .  
ويقولون لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمالا من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم .

فانظر لنفسك يا أخي بأي بدنة ثقف بين يدي الله تعالى وبأي لسان لمحبيه ، وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير ، فأعد للسؤال جوابا وللجواب جوابا ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي من الخير والشر ، ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحّدوه في السر والعلانية جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومجيب من دعاني وغافر لمن استغفرني » (١) ، فينبغي للماعقل أن يطيع الله بالخوف والإخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه والقناعة بإعطائه يقول الله تعالى : من لم يرض بفضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعماتي ولم يتق بعبائي فليطلب ربا سواي (٢) .

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : إني لا أجد للطاعة لذة فقال له لعنك نظرت في وجهه من لا يخاف الله .

المعبودية أن تترك الأشياء كلها لله .

وقال رجل لأبي يزيد رحمه الله إني لا أجد للطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة ولا تعبد الله أعبد الله حتى تجد للطاعة لذة .

حكى أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ (٣) خطر بباله أنه عابد لله في الحقيقة فردى في السر كذبت إنما تعبد الخلق فتأب واعتزل الناس ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بملكه ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد ثيابك فتصدق بها إلا ما لا بد له منه ، ثم شرع فيها فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي الآن صدقت إنما تعبد ربك .

وفي روثق المجالس : ضاع لرجل جوائق فلم يدور من أعطاه منه فلما دخل في الصلاة تذكره فلما سلم قال لفلانة اذهب إلى فلان ابن فلان واسترد منه الجوائق فقال له الفلام متى ذكرته فقال حين كنت في الصلاة فقال يا مولاي كنت طالب الجوائق لا طالب الخالق ، فأعظمه مولاه ببركة اعتقاده .

وينبغي للماعقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة ، كما قال الله

(١) سورة الشورى .

(٢) سورة الشورى .

تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾ (١) أي ملافها من لباسها وطعامها وشرابها ﴿ نؤت منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ بأن يتزع من ليله حب الآخرة ، ولذلك أنفق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على النبي ﷺ أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء ، وكان ﷺ معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ، ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء - رضي الله عنها - لما زوجها النبي ﷺ من علي جلد كبش مذبوح ووسادة آدم حشوها ليف .

### الباب السابع

#### في نسيان الله تعالى ، والفسق والنفاق

جاءت امرأة إلى الحسن البصري - رضي الله عنه - فقالت إنه كانت لي ابنة شابة فماتت وأحببت أن أراها في المنام فحسنتك كي تعلمني ما أستعين به على رؤيتها فعملها فرأتها وعليها لباس من قطران وفي عنقها الغل وفي رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاضم ، ومضت مدة ثم رآها الحسن في الجنة وعلي رزسها تاج فقالت يا حسن بذلك أما تعرفني أنا ابنة المرأة التي أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذي صيرك إلى ما أرى ؟ قالت مر بنا رجل فعصى على النبي ﷺ مرة وكان في المقبرة خمسمائة وخمسون إنسان في العذاب فردى إرفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل . بصلاة رجل على محمد ﷺ أصابتهم المغفرة فمن صلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعة يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أي في المعصية ﴿ كاذبين ﴾ يعني المنافقين الذين ﴿ نكروا الله ﴾ (٢) يعني تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلفذوا بشهوات الدنيا وركنوا إلى غرورها .

ومثل رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق فقال : « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة ، والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة ، والمنافق مشغول بالحرم والأمل ، والمؤمن يأمن من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله ، والمؤمن يحسن ويكفي ، والمنافق يسر ويضحك ، والمؤمن يحب الوحدة والخلة ، والمنافق يحب الخلطة والملا ، والمؤمن يزور ويخشى الفساد ، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح ،

(٢) آية (١٩) سورة الحشر

(١) آية (٢٠) سورة الشورى .

والنافق يأمر وينهى ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما قال الله تعالى : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١) . وعده الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي سيهم ولعنهم الله ولهم عذاب عظيم (٢) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٣) الآية . . . يعني إن ماتوا على كفرهم وعاقبهم تبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار وجعل أوامر جميعها البار وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٤) الآية . والنافق اشتقاقه من اللمعة مافقاء السربوع ويقال إن للسربوع حجرتين إحداهما النافقاء والأخرى القاصصاء فيظهر منه في إحداهما ويخرج من الأخرى ، ولهذا سمي النافق منافقا ، لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الإسلام إلى الكفر .

وهي الحديث . . . مثل النافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير إلى هذا القطيع وتارة إلى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما لأنها غريبة ليست منهما (٥) وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين .

إن الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ (٦) الآية . . . من حديد مطبقة باللغة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص ، النار من فوق أهلها والنار من تحتهم ، والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم ، طبقاتها بعضها فوق بعض أحد للمنافقين منها الدرك الأسفل

وجاء في الخبر أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا جبريل صف لي النار وحرها فقال : إن الله عز وجل خلق النار ماؤها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة والذي يمشي بالحق نيبا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار طهر لأهل الأرض لماقوا جميعا ولو أن دلو من شربها صب على ماء الأرض جميعه لقتل من دقه ولو أن دراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله ﴿ ثُمَّ فِي سُلْسُلَةٍ دُخَانُهَا سَوَاحِلُ ثَوَارِعِ آسَافُكُوهُ ﴾ (٦) الآية . . . كل دراع طوله من المشرق إلى المغرب ولو وضع على حبال الدنيا لثابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من تن وريحه (٧)

و سأل جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أمي كأيولينا هذه فقال يا رسول الله

(١) آية (٦٧-٦٨) سورة التوبة

(٢) آية (١٢٥) سورة البقرة

(٣) آية (٤٤) سورة الحجر

(٤) آية (٩١) صافات

(٥) آية (١٤٥) سورة النساء

(٦) (صحيح) مسلم بحره (٢٧٨٤)

(٧) آية (٢٢) سورة الحاقة

(١) آية (١٢٥) سورة البقرة

(٢) آية (٨) سورة التوبة

(٣) آية (٧١) سورة مريم

لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض ، من الباب إلى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا . وسأله أيضا عن سكان هذه الأبواب فقال أما الأسفل ففيه المنافقون واسمه لهابة كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (١) والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم ، والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر ، والباب الرابع فيه إبليس - عليه اللعنة - ومن تبعه من اللجوس واسمه لظى ، والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ، ثم أمك جبريل - عليه السلام - فقال له رسول الله ﷺ لم تخبرني عن سكان الباب السابع فقال جبريل : يا محمد لا تسألني عنه فقال له : أخبرني عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمك الذين ماتوا ولم يتوبوا .

وروى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لُأُورِدُهَا ﴾ (٢) اشتد خوفه ﷺ على أمه ويكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشيعة سطوته وفهره بعامة خوفا شديدا ويكى على نفسه وتميطه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة وقبل أن تنتهك الاستلا ويعرض على المتقم الجبار ويؤمر به إلى النار .

فكم من شيخ يتأذى في النار واشيباته ، وكم من شاب يتأذى في النار واشيباته ، وكم من امرأة في النار تتأذى واضيعته واضيعته واستراه ، وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تشر نسائهم .

اللهم أجرتنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقرنا إلى النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار يرحمك يا عزيز يا غفار ، اللهم اسر هوائنا ، وآمن روحنا وأقلنا من حشرتنا ، ولا تضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### الباب الثامن

#### في التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، قال الله تعالى : ﴿ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (١) والأمر للرجوب . وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ يَمْسُ عَاهِدُوا اللَّهَ وَيَتْلَوْا كِتَابَهُ

« يظهروهم » فأنساع أنفسهم « يعنى أنساعهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها غيرا  
 بل : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (١١) ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ  
 مِنْكُمْ نَفْسٌ ﴾ (١٢) يعنى العاصون النافضون عهدهم ، أى الخارجون عن طريق الهداية والرحمة  
 ورحمة ، والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر ، والفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله  
 وسببه وخرج عن الهداية ودخل فى الضلالة كما قال الله تعالى ﴿ فَتَقَعُ عَنْ أُنْفُسِهِ ﴾ (١٣) يعنى  
 خرج عن طاعة أمر ربه بالإيمان ، والفاسق الفاجر هو الذى يشرب الخمر ويأكل الحرام ويرى  
 يحصى الله تعالى ويخرج عن طريق العادة ويدخل فى المعصية ولا يأتى بالشرك .

والمرق بينهما أن العاصق الكافر لا يرجى غفرانه إلا بالشهادة والخبرة قبل موته ، والعاصق  
تقدر برجى غفرانه بالخبرة قبل الموت ، فإن كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى  
عزيمتها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى غفرانها .  
ومعصية إبليس كان أصلها من الكبر .

فَيَقْبَلُ لَكَ أَنْ تَمُوتَ مِنْ فِتْنَتِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ وَجَاءَ أَنْ يَمْلِكَ اللَّهُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيُهْدِي السَّبِيلَ ۗ ﴾ (٤) الْآيَةُ . . . يَعْنِي يَتَجَاوَزُ عَمَّا هَمَلُوا بِقَبُولِهِ التَّوْبَةَ . وَقَالَ ﷺ : « النَّاسُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا قَنْبَلَهُ » (٥)

حكى أن رجلاً كان كلما أديب يكتب دمه في ديوان فأدّبه يوماً فحشر ديوانه ليكتب فيه فلم يجد فيه إلا قوله تعالى : ﴿ فَأَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ سُبْحَاتُ الْلَّهِ سَبْعِينَ مِائَةً ﴾ <sup>(١)</sup> الآية . . . معنى يدل مكان الشرك لإيمان ، ومكان الزم العفو ، ومكان المعصية العصمة والطاعة .

وحكى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مر وقتاً من الأوقات في سلك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قنطرة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذي تعمل تحت ثيابك وكان حمرا ، محض الشاب أن يقول حمرا وقال في سره الهى لا تحملى عند عمر ولا تعضحنى واستترى عنه فلا أشرب الخمر أبدا ، ثم قال يا أمير المؤمنين الذى أحمل هو خفى ، فقال أرى حتى أراها فكشفها بين يديه فرأى عمر صارت خلا .

فانظر إلى مخلوق تاب من خوف مخلوق قبل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه

صحيح البخاري (٦٥٠٨).

سورة الكهف

ج. ابر. م. ح. ( ۱۹۵۰ ) و تصحيح: ح. م. ح. ۱۳۱۸

٦٠ سورة الفرقان

إخلاص التوبة ، فلو تاب العاصي المعلن عن الأعمال العاصفة توبة نصوحا وندم على فتيته بذل الله سبحانه وتعالى ، خمير حياته بحبل الطاعة .

وذكر عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : خرجت ذات ليلة بعدما صلب العشاء ، الأحرار مع رسول الله ﷺ فإذا أنا امرأة فى الطريق فقالت يا أبا هريرة إنى لرتكبت ذنبها ههل لى من توبة فعلت ما دلت ؟ قالت إني ربيت وقتلت ولذى من الرما ، فقلت لها هلكت وأهلكت ، والله مالت من توبه فحرت معشياً عليها معصيت ، فعلت فى نفسى أذى ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فرجعت إليه فاجبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَوْفَتْ بِعَلِّ اللَّهِ سِهَاتِهِمْ حِمَاتٍ ﴾ <sup>(١)</sup> الآية . فخرجت وقلت من يذلنى على امرأة سألتنى مسألة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أذوكتها وأخبرتها بذلك فشبهت شهقة من السرور وقالت إن لى حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله .

حكاية : عن عتبة الغلام - رحمه الله تعالى - وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصري وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١) يعني ألم يجيء وقت يخاف قلوبهم ؟ فوعظ الشيخ في تفسيره هذه الآية وعظا يليما حتى أبكى الناس ، فقام من بينهم شاب فقال ياتقئ المؤمنين أيقبل الله العاصئ الفاجر متى إذا تاب ؟ فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسفك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه ولم تعدت فرائضه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال الأبيات :

أندرى ما جراء ذوى المعاصى	••	أيأ شاباً لرب العرش عاصى
وغيظ بسوم يؤخذ بالتواصى	••	سعىر للعصاة لها زفير
ولا كن عن العصيان قاصى	••	فان تصبر على الثيران فاعصه
رهنت النفس فاجهد فى الاخلاص	••	وقيما قد كسبت من الخطايا

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه ، فلما أفاق قال يا شيخ هل يقبل الرب الرحيم نوبة مثلي التلميذ ؟ فقال الشيخ هل يقبل نوبة العبد الجاني إلا الرب المعافي ؟ ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوى الأولى قال إلهي إن كنت تست نوبتي وعصرت دنوبي فأكرمني بالمهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن ، والثانية قال إلهي أكرمني بحسن الصوت حتى إن كل من سمع قراءتي يزاد رقة في قلبه وإن كنت قاسي القلب ، والثالثة قال إلهي أكرمني بالرزق

(١)  $(\gamma_1, \dots, \gamma_n) \in \mathcal{C}_n$  و  $(\gamma_1, \dots, \gamma_n) \in \mathcal{C}_n$

١٢٠٠ (١٢٠٠) سورة الطه

جلال ورزقي من حيث لا أحسب . فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان يدور المرأتى تائب كل من سمع قراءته ، وكان يوضع في بيته كل يوم فصحة من المرق وريحان ولا يرى أحد من يضحها وكان على هذه الحال حتى فارق الدنيا .

وهذا حال من أناب إلى الله تعالى ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد إذا تاب أن توبته قبلت أم ردت ؟ فقال لا حكم في ذلك ويكر لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ، ويرى الفرج من قلبه شاكياً والرب شحيداً ، ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق ، فيرى القليل من الدنيا كثيراً والكثير من عمل لا حرة قلباً ، ويرى قلبه مشتتاً بما فرض الله تعالى عليه ، ويكون حافظاً لسلاته دائم المكرة ملزم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه .

### الباب التاسع

#### في المحبة

ذكر أن رجلاً رأى صورة فيبيحة في البداية فقال : من أنت ؟ قالت : أنا صملك الفحيح قال : من نجاة منك قالت الصلاة على النبي ﷺ كما قال ﷺ الصلاة على نور على الصراط ومن صر على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاماً (١) .

وحكى أن رجلاً كان خافلاً من الصلاة على سيدنا محمد فولى النبي ﷺ ليلة في المنام ولم يحب به فقال يا رسول الله أنت على غضب ؟ قال لا قال فم لا تنظر إلى قال لأنى لا أهرلك . قال كيف لا تعرفنى وأنا رجل من أمك وقد روى العلماء أنك أهرق بأمك من الوالد بالولد قدر صدقوا ولكن إنك لا تذكرنى بالصلاة ، وأن معرفتى بأمى يقدر صلاتهم على ثم أتبه الرجل . وحب على نفسه أن يصلى على النبي ﷺ كل يوم مائة مرة فعزل ذلك ثم رآه بعد ذلك في المنام فذكر عنك الآن واشمع لك ، أى لأنه صار محباً لرسول الله . انتهى .

وروى عنه تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ (٢) الآية . سبب بولها أن رسول الله ﷺ لما دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام قالوا نحن في المرة أبناء الله ولحمنا أشد حباً لله . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ على ديني فأتى رسول الله ﷺ أودى رسالته إليكم .

صحيح جداً ضعيف الجامع (٣٥٦٤) ، والضعيفة (٣٨٠٤) .

ورحمته عليكم ﴿ يَهَبِكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

وحب المؤمنين لله أتبعهم أمره وإشرا طاعته وبتعاء مرضاته ، وحب الله للمؤمنين شأوا عليهم ونوابه لهم وعونه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه .

قال الإمام في إحيائه من ادعى أديماً من غير أربع فهو كذاب : من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي ﷺ ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ، ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ، ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلى فهو كذاب ، كما قالت رابعة :

لعمري الإله وأنت تظهر حسب • • • هذا لعمري في القياس يهيج

لو كان حبك صادقاً لأطعت • • • إن المحب لمن يحب مطيع

وعلمة المحبة موافقة للمحبوب واجتناب مخالفته .

حكى أن جماعة دخلوا على الشبلى رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحبابك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لهم تهربون منى لو كنتم أحبائي لما فرمتم من بلالى ، ثم قال الشبلى رحمه الله أهل المحبة شربوا بكأس الرقاد فضاعت عليهم الأرض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا في عظمتهم ونجسوا في قدرته وشربوا بكأس حبه وغرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ، ثم أنشد :

ذكر للمحبة يا مولاي اسكرنى • • • وهل رأيت محبوباً غير سكران

ويقال إن البعير إذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوماً ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله لحمله لأنه إذا هاج في قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه إلى محبوبه .

إذا كان من شأن الأبل شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لأجل محبتها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لأجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملاً ثقيلاً لأجل الله تعالى ، فإن لم تفعلوا شيئاً من الخيرات بما ذكرت لدهواكم اسم بلا معنى لا تنفع في الدنيا ولا في العقبى ، ولا عند الخلق ولا عند الخالق

وعن علي كرم الله وجهه قال : من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خالف النار بهى نفسه عن الشهوات ، ومن تلقى الموت هات عليه اللذات .

وسئل إبراهيم الخواص عن المحبة فقال : محو الإرادات وإحراق جميع الصفات والحاجات وإغراق نفسه في بحر الإشارات .

## الباب العاشر

## في العشق

حب عبادة من : ميل الطبع إلى الشيء اللذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا فيجاور إلى أن يكون رفيقا لمحبة ويثق ما يملك لأجله ألا ترى إلى زليخا بلغ بها من محبة يوسف - عليه السلام - أن ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والفلأند وفر صبيحين جملا وقد أنفقتا كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تفتحه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمى كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق وإذا رفعت رأسها إلى السماء وأت اسم يوسف مكتبا على الكواكب .

وروي أنها لما أمئت وتزوجت به - عليه السلام - انعدت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها إلى مرأته نهارا فتدافع إلى الليل فإذا دعا ليلا سوفت به إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أهره ، فأما إذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد بهجدا ، حتى قال لها إن الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما بيين فقال أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طيقا إليه فطاعتك لأمر الله تعالى لها بها سكنت إليه .

وحكي أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال إن ليلى في قلبي لم تمت أنا ليلى ، ومر يوما على دار ليلى فنظر إلى السماء فقبل له بالمجنون لا تنظر إلى السماء ولكن انظر إلى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفى بنجم يقع ظله على دار ليلى .

وحكي عن منصور الخلاج - رحمه الله تعالى - أنهم حبوه ثمانية عشر يوما فجاه الشبلى - رضي الله عنه - فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألني اليوم ولست أكني غدا فلما جاء الغد وأحمر جوه من النحر وبصروا الطبع لأجل قتله ، مر الشبلى بين يديه فتأدى بالشبلى المحبة أولها حرق وأحمره قتل .

إشارة لما تحقق للحلاج - رضي الله عنه - في نظره أن كل شيء ما خلا الله باطل ، وعلم أن له هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فقل من أنت قل أنا الحق .

وروي أن صديق المحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيب على كلام غيره ويختار مجالسة حبيب على مجالسة غيره ، ويختار رضا حبيب على رضا غيره . كلما في المنتهى .

وقيل : العشق هتك الأسرار وكشف الأسرار ، وأوجد حجر الروح عن احتمال غلبة الشوق عند حلاوة الذكر ، حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يمس ولا يشعر .

وحكي أن رجلا كان يقتل في المرات فسمع رجلا يقرأ ﴿ وَاَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَنَّهُ يُصْعِقُونَ ﴾ (١) فلم يزل يضطرب حتى عرق ومات .

وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا تخبر في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فعمل ميتا .

قال الجيد - رحمه الله تعالى - : التصرف ترك الاختيار .

وحكي أن ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عربيا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلبه حزين قال فدنوت منه ومسمت عليه وقلت له من أنت ولماذا قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول ، قلت وأما مثلك فيكي بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت ووجه من ساعته فطرحته عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت إليه فلم أجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول : يا ذا النون إن هذا الغريب الذي طلبه الشيطان في الدنيا لما وجدته وطلبه مالك فلم يره وطلبه رهوان في الجنة فما وجدته ، قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول : ﴿ في مقعد صبيك عند ملكك تفتقر ﴾ (٢) بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته . كلما في زهر الرياض .

ومثل بعض المشايخ من المحب فقال قليل الخلطة كثيرة الخلوة دائم الفكر ظاهر الصمت ، لا يصر إذا نظر ولا يسمع إذا تودى ولا يهم إذا كلم ولا يحزن إذا أصيب بمصيبة وإذا أصيب بفرح فلا يفرح ، ويعمرى ولا يشمر ويشتم ولا يخشى ، ينظر إلى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويواجه ، وينازع أهل الدنيا في دنياه ، وقد قال أبو نواب النخشي في علامات المحبة أياتا :

لا تخذ من المحبوب دلائل ••• ولدي من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمسر بلائيه ••• وسروره في كل ما هو فاعل

فمنع منه عطية مقبولة ••• والفقر إكرام وير عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه ••• طوع الحبيب وإن ألح العاقل

ومن الدلائل أن يرى متبسما ••• والقلب فيه من الحبيب بلايل

ومن الدلائل أن يرى متهمما ••• لكلام من يعطى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متقشفا ••• متحفظا من كل ما هو قاتل

(٢) يه (٥٦) سورة القمر

(١) يه (٥٩) سورة يس



حكيمة - مر عيسى - عليه السلام - بشاب يسأل يستأثنا لقال الشاب لعيسى هل ربك أن يرزقني من محبة فقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة ، فقال نصف ذرة ، فقال عيسى - عليه السلام - يارب إروقه نصف ذرة من محبتك ، فمضى عيسى - عليه السلام - فلما كان بعد مدة عرقلته بجمل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب إلى الجبال ، فدعا الله عيسى - عليه السلام - أن يريه إياه فأراه بين الجبال فوجده قائما على صخرة شامخة طرفه إلى السماء فلم يسمع عيسى - عليه السلام - فلم يرد عليه ، فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى إلى عيسى كيف يسمع كلام الأعميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى ، فوعزنى وجلالى لو قطعته بالتشار لما علم بذلك .

من ادعى ثلاثة ولم يظهر من ثلاثة فهو مفروز أولها من ادعى حلالة ذكر الله وهو يحب الدنيا ، وثانيها من ادعى محبة الإخلاص في العمل ويحب تعظيم النفس له ، وثالثها من ادعى محبة خالفه من غير إسقاط نفسه .

قال رسول الله ﷺ : « سبأى زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا : يحبون الدنيا وينسون الآخرة ، ويحبون المال وينسون الحساب ، ويحبون الخلق وينسون الخالق ، ويحبون الذنوب وينسون التوبة ، ويحبون الفسور وينسون القيور » .

وقال منصور بن عمار لشاب يعظه يا شاب لا يعروك شبابك فكم من شاب آخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته ، فقال إني أتوب هذا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو خافض عن التوبة نصرا في جوف القبر لا يمنعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (١) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ مَلِمْ (١) .

اللهم إرزقنا التوبة قبل الموت ، وتبها عند القيلة وانفخنا بشفاة نيتنا خير للمسلمين .

صعة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ، ويندم على ما فعل من قنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا ، بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالإخلاص .

حكاية : كان رجل يخيّل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أهل الدار بحق الله ألا أعطينكموني شيئا فأعطته امرأة ثلاثة أرعة فاستقبله صاحب وقال من أعطاك هذه الأربعة قال أعطوني من لدار أحده شيئا فقلت أعطيت لأجل الله مر وجن فذهب المنافق وأوقد النور حيي حمي ، ثم قال قومي فالتقي بفسك في النور لأجل الله ، فقامت المرأة وأحدث حلقها فقال المنافق دعي الحلق فقالت المرأة الحبيب يترى لحبي ، وأدائرة حبسني ثم ألقت نفسها في نيران فأتى المنافق عليها ومضى ، فلما لم لها ثلاثة أيام جاء المنافق

(٢) به (٨٨ ٨٩) سورة النور .

فصح عليها رأس لنور ، فرأى امرأة سالمة بقدرة الله تعالى لتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول ما علمت أن النار لا تحرق أحبائنا .

وحكى أن أسية امرأة فرعون كانت تكتم إيمانها من فرعون فلما أطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب فعدبها بأنواع العذاب وقال إرتدى فلم ترتد ، فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال إرتدى ، فمضت إنك تعلم أن نفسى وقلبي في عصمة ربي لو قطعنى إربا ما زددت إلا حيا ، فمر موسى - عليه السلام - بين يديها فنادت موسى : أخبرنى أواضح حق ربي أم ساحط قال موسى - عليه السلام - يا أسية ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتقة إليك والله يباهى بك عساالى حاجتك فأتها مقضية ، فقالت : ﴿ رَبِّهِ أَتَى بِي حَسَنَةً نِّبَا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١) ﴾

وعن سلمان - رضى الله - عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظنتها الملائكة بأجنتها وكانت ترى بيتها في الجنة .

وعن أبي هريرة أن مرعوى وتد لامرأته أربعة أوتاد وأمسجها وجعل على صدرها رحي واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء فقالت : ﴿ رَبِّهِ أَتَى بِي حَسَنَةً نِّبَا فِي الْجَنَّةِ ﴾ (٢) الآية . . . قل الحسن لنجاحها الله أكرم لها ورفعهما إلى الجنة فهي تأكل وتشرب .

وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاه إليه ومسألا الخلاص منه عند المحن والتوكل من مير الصالحين ودليل المؤمنين .

### الباب الحادى عشر

#### فى طاعة الله و محبته و محبة رسوله ﷺ

قال الله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣) اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إتباعه عليهم بالخيرات .

فيل العبد إذا علم أن الكمال الحقيقى ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله ثم يكن حبه إلا لله وفى الله ، وذلك يقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلهذا فسرت للمحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزما لاتباع الرسول ﷺ فى عبادته وألحقت على طاعته

(٢) آية (١١) سورة التحريم .

(١) آية (١١) سورة التحريم

(٣) آية (٣١) سورة ابن عمران

وعن الحسن قال أقوام : على عهد رسول الله ﷺ يا محمد إنا لنحب ربنا فأنزل الله هذه الآية

وعن بشر الحافي - رضي الله عنه - قال روي النبي ﷺ في المنام فقال يا بشر أتدري بم رفعت الله من بين أترانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك بلصالحين وبصحبتك لا حوائك ومحبتك لأصحابك وأهل ستي وتباعك لستى .

قال ﷺ : « من أحب ستي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة » (١)

وجاء في الآثار المشهورة أن للتمسك بسنة سيد الخلق والمرسلين عند فساد الخلق واحتلاف المذهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الإسلام . وقال « كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على ستي فهو معصية » (٢)

وقال بعضهم لو رأيت شيئا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم أنه كقلب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو استعراج ، نعوذ بالله منه .

قال الجنيد - رحمه الله - ما وصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل إلى الوصول إلى الله متابعة المصطفى ﷺ

وقال أحمد الخواري - رحمه الله - كل عمل بغير اتباع السنة باطل كما قال ﷺ من ضيع ستي حرمت عليه شعاعتي . . . كنا في شرعة الإسلام .

حكى أن رجلا من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروف الكرخي - رحمه الله - فقبض ثم قال يا أخي له محبوب صغار وكبار وعقلا ومجانين فهذا الذي زأيت من مجانينهم .

وحكى عن الجنيد أنه قال مرضي استأذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعل دوله ولا عرفا لها سببا فوصف له طبيب حاذق وأحدا قارورة مائة منبر إليها الطيب وجعل ينظر إليها مليا ثم قال أرء بول عاني مال أجيد مصغت وعنى على ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السري فأخبرته فقبض ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتين للحية في البول قال نعم .

قال لعصيل - رحمه الله - إذا قيل لك أنحب الله فسكت إن قلت لا كبرت وإن قلت نعم فليس وصعت للمحين فاحذر الحق .

(١) (حسن) الترمذي (٢٦٧٨)

(٢) (صحيح) البخاري (٧٢٨٠)

وقال سفيان من حب من يحب الله تعالى فأنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإن يكرم الله تعالى

وقال سهل علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب الله حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا ويطغى إلى الآخرة ، قال أبو الحسن الزنجباني أصل العبادة على ثلاثة أركان أمين والقلب واللسان ، فالأمين بالعبادة والقلب بالمعركة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) وسبحوه بكثرة وأصيلا ﴿ (٢) ، يمي عنو وعشيا

وحكى أن عبد الله وأحمد بن حبيب حضرا موضعما قطع أحمد بن حبيب قطعة من جبهته الأرض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك ، وهودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى ، وجعلت ذلك طريقا يقتل بك فيه ، ومنعتك عن تسبيح ربه وأكرمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة . كذا في روتق للجالس .

وعن السري - رضي الله عنه - قال : رأيت من الجرجاني سويقا يستغ منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره ؟ قال إني حسبت ما بين المضغ والاستغاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة .

وكان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما فإذا دخل رمضان لم يأكل إلا أكلة واحدة ويصبر في بعض الأوقات عن الطعام سبعين يوما ، وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوى ، وجاور أبو حماد الأسود في المسجد الحرام ثلاثين سنة وما روى أنه أكل وشرب ولا يحلو ساحة من ذكر الله .

وحكى أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله إلا ثلاث : للصلاة مع الجماعة ولعبادة المريض ، وخصور الحجازة ويقوف رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق

العمر جوهر نفيس لا قيمة له فيبيع أن تملأ منه خزائن باقية في الآخرة . واعلموا بأن طالب الآخرة لا يد له من الرهد في الحياة الدنيا ليصير همه واحدا ، ولا يفترق بطله من ظاهره ، ولا يمكن حفظ الحال لا بضبط الظاهر والباطن .

وحكى عن إبراهيم الحاكم أنه قال كان أبي إذا جاءه اليوم دخل البحر فيسبح فتجتمع إليه حيتان البحر يسبحون معه .

(١) آية (٤١ - ٤٢) سورة الأحزاب



## الباب الثاني عشر

## في ذكر إبليس وعذابه

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ تَوَلَّوْا ﴾ (١) أى أمرضوا عن طاعة الله ورسوله بمعنى لا يضرهم ولا يقبل توبتهم كما يقبل توبة إبليس لكفره واستكباره . وثاب على آدم - عليه السلام - وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالدس وبدم عليه ولام معه وهذا وإن لم يكن ذنباً حقيقة لأن الأسياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون لا تقع منهم المعصية أبداً لا قبل التوبة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواه - عليهما السلام - : ﴿ بَلَّغْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ نُنْظَرْ لَنَا وَلِرَحْمَتِنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْطِرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وإبليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقتل من رحمة الله تعالى وتكبر . فمضى حاله مثل حال إبليس لم تقبل توبته ، ومن كان مثل حال آدم قبل الله توبته ، لأن كل معصية أصلها من الشهوة فإنه يرجى غفرانها ، وكل معصية أصلها من الكبر فإنه لا يرجى غفرانها ، ومعصية آدم أصلها من الشهوة ، ومعصية إبليس أصلها من الكبر .

حكى أن إبليس جاء إلى موسى - عليه السلام - فقال له : أنت الذي اصطفاك الله برسالتك وكلمك تكليماً ؟ فقال له موسى نعم فما الذي تريد يا هذا ومن أنت ؟ فقال إبليس يا موسى قل لربك خلق من خلقت قد سألك التوبة ، فأوحى الله إلى موسى قل له أنى قد استجبت لك فيما سألت ومره يا موسى أن يسجد لقبر آدم فإذا سجد له قبلت توبته وغفرت له فمويه فأخبره موسى فغضب إبليس واستكبر وقال يا موسى أنا لم أسجد له في الجنة فكيف أسجد له وهو ميت .

وروى أن إبليس يشتد عليه العذاب في النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله ؟ فيقول أشد ما يكون فيقال له إن آدم في رياض الجنة فسجد له واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ضعفاً .

وجاء في الخبر أن الله تعالى يخرج إبليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده إلى النار .

إخواني أن أرفق النجاة من إبليس فاحتصموا بالولت واستمروا به .

إذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه إبليس عليه اللعنة فيجتمع الشياطين

(٢) آية (٢٣) سورة الأعراف

(١) آية (٣٧) سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٣) سورة الزمر

والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما عهد ربكم قالوا حقاً ثم يقول هذا يوم أبست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضرروه ومن تبعه بمقامع من نار فيهبون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الأمر بالخروج أبداً أبداً تعود بالله منها .

وروى أنه يؤتى إبليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله - عز وجل - الرابية أن يجره من الكرسى ويلقوه في النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدر أن يسجد لله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدر أن يسجد ثم عزرائيل ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدر أن يسجد فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أصحاب ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن يلقوه وطوق اللعنة على عنقه .

وروى أن إبليس كان اسمه في سماء الدنيا التميد وفي الثانية الراهد وفي الثالثة الطرف وفي الرابعة الولي وفي الخامسة التقى وفي السادسة الخارون وفي السابعة هرزيل وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل حاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أنفضله على وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقت من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء مرأى لخصه شرفاً فولى آدم ظهره ثقة وكبرا وانتصب قائماً إلى أن سجدت الملائكة للمدة المأداة فلما رفعوا رؤوسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وقوا للسجود سجدوا ثانياً شكراً وهو قائم يرى معرضاً عنهم غير عارم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فسله الله من الصورة البهيبة فكسه كخنزير وجعل رأسه كرامس البعير وصلبه كسام الجمل الكبير ووجهه كوجه الفرد وعينه مشقوقين من طول وجهه ، ومنعرجه مفتوحين ككوز الحجام ، وشعته كشعشع الثور ، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفي لحته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض إلى الجحيم فلا يدخل الأرض الإخعية ولعنه إلى يوم الدين لأنه صار من الكفار .

وانظر كيف كان بهي الصورة وباهي الأجنحة وكثير العلم وكثير العبادة طاووس الملائكة وأعظمهم ، سيد الكرويين إلى غير ذلك فلم يبق ذلك منه شيئاً ، إن في ذلك لذكرى .

وفي الآخر لما مكر إبليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال الله لهما : ما يكيكما ؟ قال : ربنا ما أننا منكرك فقال الله تعالى : هكذا كونا لأنتمنا مكرى .

وروى أن إبليس قال يارب أخرجنى من الجنة لأجل آدم وأنا لا أقدر عليه إلا بتسلطك قال أنت مسلط عليه أى على أولاده معصمة الأسياء منه ، قال زدنى قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال زدنى قال صدورهم مساكن لك تجري فيها مجرى الدم ، قال زدنى قال أجلب عليهم بخیلك ورجلك ، أى استمن عليهم بأهوائك من راكب وماش وسارهم في الأموال ، أى جعلهم على كسبها وسرقتها في الحرام والأولاد أى باحث على التوسل إليهم بالنسب المحرم .

كانوط في الخيوس والإشراك بهم بتسميتهم سحر عبد العزى ، والتضليل بالحمل على الأديان الباطنة والخرف الدميعة والأفعال الفجيرة ، واهدم الواهيد الباطلة كشعاعة الآلهة والانتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل وهذا على طريق التهديد كاحملوا ما تستم .

فقال آدم يارب قد سلطته على فلا امتنع منه إلا بك قال لا يولد للبؤس إلا وكنت به من يحفظه من الملائكة ، قال زدني قال الحسة بعشر أمثالها ، قال زدني قال لا أنزع منهم التوبة مادامت أرواحهم في أبدانهم ، قال زدني قال أخفر لهم ولا أبالي ، قال اكتفيت .

فقال إبليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما وصى قال الكهان ، قال فما كتبت قال الوشم ، قال فما حظيت قال الكذب ، قال فما قرأت قال الشعر ، قال فما مؤذني قال الممار ، قال فما مسجدني قال الأسواق ، قال فما بيتي قال الحمام ، قال فما طعاس قال الذي لم يذكر عليه اسمي ، قال فما شراي قال لشكر قال فما مصلحتي قال النساء .

### الباب الثالث عشر

#### في الأمانة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ أي امتنعن عن قبولها ﴿ وَأَخْلَفْنَ بِهَا ﴾ (١) أي خفن من الأمانة أن لا يؤديتها فيلحقن من العقاب أو تخفن من الخيانة فيها . ومعنى الأمانة في هذه الآية للطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب والعقاب .

قال القرطبي . الأمانة نعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور ، واختلف في تفاصيل بعضها .

فقال ابن مسعود : هي أمانة الأموال كالنواصي وغيرها ، وروى عنه أنها في كل الفرائض وأشدّها أمانة المال . . وقال أبو الدرداء فضل الجناية أمانة ، وقال ابن عمر أول ما خلق الله من إنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتك فلا تلها إلا بحق فإن حفظتها حفظتك فالتفرح أمانة ولادن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والطن أمانة ، اليد والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له

وقال الحسن بن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأضطربت وما بهيها فقال الله بها رب أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك فقال لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه ود له ذلك فقال قد تحملتها .

(١) سورة الأعراف

ولا يحسب أن عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال عرض تخيير لا عرض إلزام ، ولو ألزمهم لم يستمن من حملها .

وقال الفقهاء العرض في هذه الآية ضرب مثل أي أن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لنقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي أن التكليف أمر عظيم حقيق أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلمه الإنسان ، قال تعالى : ﴿ وحملها الإنسان ﴾ أي التزم بحملها آدم بعد عرضها عليه في عالم اللذات عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢) أي هو في ذلك الحمل ظلم لضعفه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه .

وعن ابن عباس قال عرضت الأمانة على آدم فقبل عذبا بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها ، لما كان إلاما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تشاركه الله برحمته فتاب عليه وهدي .

والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه ، قال الله : ﴿ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةٌ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ﴾ (٣) .

قال الشاعر :

تبا لمن وهى الخيانة مهيبا ••• وأزور من صون الأمانة جانيه

وفضى الديانة والمرومة فاهتدى ••• تقوى عليه من الزمان مصائبه

وقال آخر :

أخلق بمن وهى الخيانة شجما ••• أن لا يرى إلا صريح حوادث

ما زالت الأرزاء ينزل يؤسسها ••• أبدا بنفادر ذممة أو ناكث

وقال رسول الله ﷺ : « يطيع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب » (٤) وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنا والمصلحة مغرما » وقال ﷺ : « أد الأمانة إلى من ائتمنت ولا تخن من خانك » (٥) .

(١) آية (٧٢) سورة الأعراف

(٢) (صحيح) أحمد ١٣٥ / ٣ ، وصحيح الجامع (٧١٧٩)

(٣) (صحيح) أحمد ٥٥٢ / ٥ ، وصحيح الجامع (٦٤٣١) والعمدة (٣٢١٥)

(٤) (صحيح) أبو داود (٣٥٣٤) ، وصحيح الجامع (٢٤٠)

من صحيحين عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث . يد كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان »<sup>(١)</sup> . أى إذا ائتمنته أحد بكلمة خاتنه بافشافها لنفسه وروضة خاتنه بانكارها وعدم حفظها واستعمالها بعير إيمانه ، فحفظ الأمانة صفة الملائكة المقربين والرسولين وشيعة الأبرار المتقين . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَنَوَكِّرُ ﴾ . حدثني أبي أنه <sup>(٢)</sup> قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشروع ومجرب به عموم المكلفين الولاية وغيرهم فيجب على الولاية إصناف المظنوم وإظهار حقه وفئة أمانة وحفظ أموال المسلمين لأسيما الرثامى ، ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم بغير أمانة اختار لمعظها العلماء . ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو أمانة عنه . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »<sup>(٣)</sup> .

وفى زهر الرضا يؤتى بالمعيد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى : أرصدت أمانة فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به إلى جهنم ويريه الأمانة بعينها فى قبر جهنم فيهرى فيها سبعين عاما حتى ينتهى إلى قبرها ثم يصعد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنم زلت قعنه فيهرى فيها ، كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعه الصطفى ﷺ فيرضى عنه صاحب الأمانة .

وروى عن سلمة قال « بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ أتى بجناتة ليصلى عليها . فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجناتة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيئا قبلنا ثلاث ذنائب فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال ﷺ هل ترك شيئا قبلنا : لا قال : صلوا على صاحبكم » وعن قتادة - رضى الله عنه - قال : « قال رجل يا رسول الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابرا محسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطيئتي قال نعم فلما أخبر الرجل ناداه فقال يعمر الله للشهيد كل ذنب إلا الدين »<sup>(٤)</sup> .

### الباب الرابع عشر

#### فى إتمام الصلاة بالحضور والخشوع

«... قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٥﴾ .

إعلم أن الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالحروف والرهية ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الإلتفات والعبث . وقد اختلفوا فى الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين . واستدل من قال بالأول بحديث : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل » ، ويقولون تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾<sup>(١)</sup> والعقلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَالِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

أخرج البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت الآية . وراد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى بصره نحو مسجده . وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت هذه الآية فطأها رأسه

وروى عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الله يقتل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى ببلنه من الدون شيئا »<sup>(٣)</sup> . يعنى أن الصلوات تظهر من الذنوب ولا تبقى منها شيئا فيما دون الكيائير وهذا إذا صلى بخشوع وحضور قلب ولا فهو مردودة عليه وقال ﷺ : « إنما فرخت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للمناسك لإقامة ذكر الله تعالى » فإذا لم يكن فى قلبك المذكور الذى هو المقصود والمبغى غفلته ولا هيته فما قيمة ذكرك . وقال ﷺ : « من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا »<sup>(٤)</sup> .

وقال بكر بن عبد الله بن أبى آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ويحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم يعرفه أشغالا بعظمة الله عز وجل وقال ﷺ : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع يده » .

وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين . وكان سعيد التنوخى إذا صلى لم تنقطع الذمير من خلفه على لحوته . ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعيب بلحيته فى

(١) آية (١٤) سورة طه

(٢) آية (٢٠٥) سورة الأعراف

(٣) (صحيح) مسلم (٦٦٧-٦٦٨)

(٤) (ضعيف) الطبراني (١١) / ٥٤ ، وضعيف الجامع (٥٨٣٤)

١١ - صحيح بخري (٣٣ و ٢٦٨٢ و ٢٧٤٩) (٢) آية (٥٨) سورة النساء .

٣١ - صحيح بخري (٢٥٥٤) . (٤) (صحيح) أحمد (٢٢٠ / ٢٢٠) ، وصحيح الجامع (٨١٦٩)

١٢ - سورة طه



الصلاة فقال : « لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه »<sup>(١)</sup>

وروى أن علياً كرم الله وجهه كان إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويقلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . وروى عن علي بن الحسن أنه كان إذا توشأ أصفر لونه فيقول له أمهه مالدني يمتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم .

وروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأقيمت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأتقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى الصلاة أجعل للكتابة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأقنها آخر صلاتي أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا يستحقق وأقرأ قراءة يترتيل وأركع ركعها بتواضع وأسجد سجوداً بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر ظمها وأصحب القدم اليمنى على الأبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لا أدرك أقبليت مني أم لا .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ركعتان مفصلتان في شكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

وقال رحمه : « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقة ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يحاسبهم فليس لله بهم حاجة » .

وعن الحسن أن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذي يسرق من صلاته ، قالوا كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها »<sup>(٢)</sup> وقال رحمه : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن قد أتتها حو على الحساب وإن كان قد استغفر منها شيئا قال الله تعالى لللائكة هل لعبدي من تطوع فأتوا الفريضة منه »<sup>(٣)</sup> وقال رحمه : « ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤد له في ركعتين يصليهما » .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أراد القيام إلى الصلاة ترتعد فرقتاه وتصلت أسنانه فقبل له بذلك قال حين وقت أداء الأمانة وفداء الفريضة ولا أدري كيف أؤديها .

حكى : عن خلف بن أيوب أنه كان قائما في الصلاة فللحظة زبىور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فأعلمه بذلك فسال ثوبه فقبل له يلدحك زبور ويسيل منك الدم ولم

(١) (موضح) البيهقي ٢ / ٢٨٩ ، والمصنف (١١٠) ، ومفيد الخامس (١٨٢١)

(٢) (صحيح) أحمد ٥٦ / ٣ ، وصحيح الجامع (٩٨٦)

(٣) (صحيح) أحمد ٤٠٦٥ ، وصححه (١٤٦٦) ، وصحيح جامع (٢٥٧٤)

تسهر به فقال أيشعر بمثل هذا من يكون واقفا بين يدي الملك لجبار وملك الموت على قفاه والشارع من شماله والصراط تحت قدميه .

ووقعت الأكلة في يد عمرو بن در وكان جديلا في الزهد والمعبادة فقال له الأطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال أقطعوها فقالوا لا تقدر على قطعها إلا أن نشدك بالخيال فقال لا ولكن إذا شرعت في الصلاة فأقطعوها حيثنأ ، فلما دخل في الصلاة لصمت يده ولم يشعر بذلك .

### الباب الخامس عشر

#### فصل في ما يعرف بالنفس من المنكر

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس الصلوة غمامة يضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تطر فإذا أسطرت ، فأى قطرة قطرت من الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة ، وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الإيمان »<sup>(١)</sup> .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُتِبَ خِرَافَةُ نُفُوسِهِمْ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(٢)</sup> قال الكلبي هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الأمة في الفصل على غيرها من الأمم ، وفيها دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأم على الإطلاق وأن هذه الخبرة مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متعاقبة في ذاتها كما ورد في فضل الصحبة على غيرهم . ومعنى أخرجت : أظهرت لناس أى لتعهم ومصلحتهم في جميع الأعصار حتى غيرت وعرفت .

وقوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خيرا مع ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك ، فجعلهم الله خير الناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاثلون الكفار ليسلموا فترجع معتبتهم على غيرهم كما قال رحمه : « خير الناس من ينفع للناس وسر الناس من يضر الناس »<sup>(٤)</sup> .

(١) لوائح الرضع ظاهرة عليه

(٢) (٣ ، ٢) آية (١١٠) سورة آل عمران

(٣) (١) أورد المصنف في كشف المحفد ١١ / ٢٧٢ ، وقال : لم أر من ذكره حديث ، فراجع ، لكن معناه

سبح

ومعناه بنفط « خير الناس أنفعهم للناس » ، وهو حديث (حسن) نقله (صحيح الجامع) (٣٢٨٩)

« تؤمن بالله » أي تصدقون بتوحيد الله وتتبعون على ذلك وتقررون أن محمدًا نبي الله ، من كثر بحمد الله لم يؤمن بالله لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التي أتى بها من عند نفسه .  
 « وقال الله : » من ولي منكم فليحيره بيده فإن لم يستطع فليسلته فإن لم يستطع فليقلبه وذلك بحسب الإيمان . » يعني أضعف فعل أهل الإيمان .

قال بعضهم التفسير باليد للأمراء ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب للمساكين . قال بعضهم : من يلمن على ذلك فالواجب عليه أن يفكر كما قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى تعاونوا على الإثم والعدوان » الآية . ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير إليه وسد سبل الشرور والعدوان بحسب الإمكان .

وقال الله في حديث آخر : « من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ومن آمن صاحب بدعة ملأه يوم الموعظ الأكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله » (١) .

عن حذيفة - رضي الله عنه - قال يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم .

قال موسى يا رب ما جزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ؟ قال أكتب له بكل ليلة عبادة سنة وأستحي أن أحمله يتأذى .

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « يا ابن آدم لا تكن من يؤخر التوبة ويطول الأمل يرجع إلى الآخرة بغير عمل ، يقول قول العائدين ويعمل عمل المنافقين ، أن أعطى لم يتبع وأن نع لم يصبر ، ويحب الصالحين وليس منهم ، ويحضر المنافقين وهو منهم ، يأمر بالخير ولا عمله ، وينهى عن الشر ولم ينه عنه » .

وعن علي كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيأتي قوم في آخر الزمان حداث الأسنان بواقص العقل يقولون من قول حير البرية لا يجاور حناجرهم ، يصرقون من دين كما يصرق السهم من الرمية » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسري بي إلى السماء رجالا تفرش شملاتهم بمقاريض من البر قلت من هؤلاء يا حبيب قال هؤلاء حطبه أمك لدى يأمر الناس بالبر ويسبون أنفسهم

كما قال الله تعالى في حقهم « اتأمرؤن الناس بالبر وتسون أنفسكم وأنتم تطون الكتاب أفلا تعلمون » (١) يعني تلون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكأنوا يأمرؤن بالصدقة ولا يصدقون .

يجب على المؤمنين أن يأمرؤا وينهؤا عن المنكر ولا يسوا أنفسهم كما قال الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرؤن بالمعروف وينهؤن عن المنكر ويحلون الصلاة » (٢) الآية . فقد نعت المؤمنين بأن يأمرؤا بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف خلع عن هؤلاء المؤمنين النعوتين في هذه الآية . وقد قدم الله أقواما بترك الأمر بالمعروف فقال : « كانوا لا يتحرون عن منكر فظروا لفس ما كانوا يفعلون » (٣) .

روى عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال لتأمرؤن بالمعروف ولتنهؤن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجعل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويذهب أخباركم فلا يستجيب لهم ويستصرون فلا ينصرون ويستفرون فلا يفتر لهم .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله ﷺ : « غلب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم حمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال لم يكوونوا يتخضبون لله ولا يأمرؤن بالمعروف وينهؤن عن المنكر » .

وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا أبا بكر إن لله مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يعيشون على الأرض يماي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله ومن هم قال : الأمرون بالمعروف والنهون عن المنكر وللمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد ليكون في العرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثمانمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر ، على كل باب نور وأن الرجل منهم ليتزوج بثمانمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين ، كلما التمت إحداهن فطر اليه تقول له أنذكر يوم كنا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر ، وكلما التمت إحداهن فذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر » .

وفي الخبر أن الله تعالى قال : « يا موسى هل عملت لي عملا قط قال أي صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحملت لك وقرأت كتابك وذكرتك » . قال الله تعالى : « يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما

(١) آية (٧١) سورة التوبة

(٢) آية (٤٤) سورة البقرة

(٣) آية (٧٩) سورة المائدة

(١) آية (٢٢) سورة المائدة

(٢) (موضوع) كشم الخطأ ٢ / ٣٠٨ ، وقال : قال الفارسي : موضوع

(٣) (صحيح) البحري (٦٩٣٤) ، ومسلم (١٤٣ - ١٤٥)

الصبح تلك نور ، حمل حملت لي ، قال موسى دلني يارب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت لي عدوا قط . فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله والأولياء والبخش لله ولاعدائه .

وقال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - قلت يا رسول الله : « أي الشهادة أكرم على الله عز وجل : قال وجل قام إلى والد جابر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله » فإن لم يقتله فإن أقدم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش <sup>(١)</sup> وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله ﷺ : « أفضل شهادة أمتي رجل قام إلى إمام جابر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر » <sup>(٢)</sup>

وأوحى الله إلى يوشع بن نون - عليه السلام - أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيرهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال : إني لم يفضيوا لبعضي وواكلوهم وشاربوهم .

وهن نفس - رضي الله عنه - قال : « قلنا يا رسول الله ألا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا تنهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ؟ فقال ﷺ بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانتهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » . وأوصى بعض السلف بيه فقال إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله ، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد من الأذى .

### الباب السادس عشر

#### في مداواة الشيطان

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلتزم مجالستهم ويسأل ما لا بد له ويتمتع بصحبتهم . ويجنب لأعمال القبيحة ويشهد الشيطان عدوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ <sup>(١)</sup> . فعدوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في محاسن الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعفائدكم عن صميم قلوبكم ، وإذا فعلتم فعلا فتخطوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبايح واستعينوا عليه بربكم .

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال : هذه سبيل الله

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٢ ، وراه إني (البتار) وقال : فيه عن لم أخرجه ثقات

(٢) (تحف السادة الخلفي) ٧ / ١٢

(٣) (١) سورة طهر

ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا : ﴿ وَإِنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَرْكُكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> بين لنا ﷺ كثرة طرق الشيطان <sup>(٢)</sup>

روى : عن النبي ﷺ أنه قال كان راهب في بني اسرائيل لعبد الشيطان إلى جارية فختنها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزوال به حتى فسلها فلما كانت معه ليحالفها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه موسوس إليه وقال الآن تفتضح بأتيك أهلها ماقتلها فإن سألتك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأبى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أسبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه أهلها فسألوها عنها فقال ماتت فأخلوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فأطعنني تنج وأخلصك منهم ، قال مجاهد قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له أني يرى منك . فهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

وروى أن إبليس سأل الشافعي - رضي الله عنه - ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال يا هذا أن كان خلقت لا تريد أنت فقد ظلمت وإن كان خلقت لما يريد هو فلا يستل عما يعمل ، فاضمحل إلى أن صار لا شيء ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية .

واعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلجه ولا قدر على حراسة أبوابه من لا يدرها .

فحماية القلوب عن وسوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ومصارف معرفة مداخله واجبة ، ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة .

منها الغضب والشهوة فإن الغضب عول لعقل وإذا ضعف العمل حجم حشد الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة . وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرى كيف تغلب ابن آدم فقال أحده عبد الغضب وعبد الهوى .

(١) (١٥٣) سورة الاحقاف

(٢) (صحيح) البحاري (٦٤١٨) .

(٣) (١٦٦) الحشر

ومنها الجسد والحرص : فمهما كان العبد حرصا على كل شيء أحمله حرصه وأصممه بجهته بحد الشيطان فرصة فيحسن عند الحرص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا فاحشا ، فقد روى أبو دوحا - عليه السلام - لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى من السينة شيئا لم يعرفه ، فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكلم قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال نوح اخرج منها ما عدو الله فأتاك لعين فقال له إبليس حمس أهلت بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بأثنين فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالأثنين فقال له نوح ما الاثنان فقال هما القتان لا تكلماني هما القتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فها لحسد لعنت وجمعت رجيسا ، وأما الحرص فإنه أبيع لأدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجي منه بالحرص .

ومنها الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا : فإن الشبع يورث الشهوات وهي أسلحة الشيطان .

لقد روى أن إبليس ظهر ليحيى - عليه السلام - فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فتفلك من الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على لا أملا بطي من الطعام أبدا فقال له إبليس والله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

ومنها حب التزين من الأثاث والثياب والدار : فإن الشيطان إذا رأى ذلك غاليا على قلب الإنسان باض فيه ، وفرغ فلا يزال يدهوه إلى عمارة الدار وترتيب سقوفها وحيطانها وتوسيع أبوابها ويدهوه إلى الترتيب بالثياب والدواب ويستخره فيها طول عمره فإذا أوقعه في ذلك فقد استمسى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البغض إلى أن يساق إليه أجله ليموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نموذج بالله .

ومنها الطمع في الناس : فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ حتى شيئا أملكك به فقال له لا حاجة لي به قال فقل إن كان خيرا أعدت وإن كان شرا وعدت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وتظر كيف إذا غلبت غرائي أملكك إذا غضبت .

ومنها المعجلة وترك التثبت في الأمور قال رحمه الله : « المعجلة من الشيطان والثاني من الله تعالى فعند الاستجمال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري » (١)

(١) (حسن) البيهقي ١/ ١٠٤ و ١٠٤ / ١٠٤ ، وكشف المحجود ١/ ٣٥٠

فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم - عليه السلام - أتت الشياطين إبليس فقالوا لو أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها ففلك هذا حدث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافض الأرض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا بالملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن ميا قد ولد الباهرة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فابتسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، ولكن اتوا بني آدم من قبل المعجزة والحقة .

ومنها اللذاهم والنفائير وسائر أصناف الأموال من المروغى والشوابع والعقل فإن كل ما يريد على قدر القوة والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أبحروا ثم جاءوه وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخبر فلبث ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحينا يوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحق ذلك فقال لهم إبليس رويدا عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فتصيب منهم حاجتنا

ومنها البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإتفاق والتصدق ويدهو إلى الإدخار والكثرة والميلاب الأليم . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجميع المال وهي معيش الشياطين .

ومنها التعصب للمذاهب والأهواء ولقد على المحصور والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والعساق جميعا . قال الحسن - رضي الله عنه - بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهوري بالاستعمار فسول لهم دنيا لا يستمفرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن لي ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستمفرون منها .

ومنها سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الأشرار فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطل وأن ذلك خبيث يترشح منه فيجب على الإنسان قطع هذه الآثواب من القلب ومحنة عليها ذكر الله تعالى .

قال بن اسحاق لما رأى كفار قریش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له ﷺ أصحاب من غيرهم فحللوا غروجه وعرفوا أنه أجمع لحرهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وصميت بذلك لا اجتماع الندى فيها يتشاورون ، وكانت قریش لا تقضى أمرا إلا فيها ولا يدخلون فيها غير قریش إلى أن يبلغ أربعين سنة بحلاف القریش وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولما ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم إبليس في صورة شيخ مجذبي وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء خليظ أو طيسان من غز فقالوا عن

الشيخ قال من يجد معج بالذي أعندكم له فحضر لسمع ماتفلون وعسى أن لا يهلككم رأيا  
 يصحاح . قالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي ﷺ وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر  
 رجلا فقال أبو الحرى المقتول كما را بيدر أحبوه في الحديد وأهقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما  
 أصاب أشباهه من الشجره قبله ، فقال النجدي ما هذا برأى والله لو حسبتموه في الحديد ليخرجن  
 أمره من وراء الباب الذي الذي أغلقتن دونه إلى أصحابه فلا وشكوا أن يشبوا عليكم فيترعوه من  
 أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا برأى فانظروا في خبره فقال الأسود ابن  
 ربيعة بن عمرو العامري نخريه من بين أظهرنا فتسبه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي  
 لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي  
 به والله لو فعلتم ذلك ما أمتت أن يحل على حى من العرب فيقلب بملك حليهم من قوله حتى  
 يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يعص بكم ما لواد أجهروا فيه رأيا غير  
 هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وفعتنم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى  
 شابا جلدا بسييا وسيطا ثم تعطى كل فتى منهم سيفا مازما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل  
 واحد فيقتلوه فتستريح منه وينصرف دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبيد مناف على حرب قومهم  
 منيما فعقله لهم . فقال النجدي لعنه الله القوم ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله ﷺ  
 تفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت  
 عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرمونه حتى ينال فيشوا عليه فأمر - عليه السلام - عليا فنام  
 مكانه وغطى يرد له ﷺ أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما فكان على أول  
 شرى نعه فى الله ووفى بها رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول على رضى الله عنه ( شعر ) :

وقيت بمعنى غير من وطئ الثرى • • • ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر  
 رسول الله خاف أن يعكروا به • • • فجاء ذو النطول الإله من المكر  
 وبات رسول الله فى الدار أمانا • • • موافى ومى حفظ الإله وفى ستر  
 وبت أراعيهم وما يتهموننى • • • وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ثم خرج ﷺ من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ويتر على  
 رؤوسهم كلهم تريا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ يس ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ فأنجيناهم فهم لا  
 يصرون ﴾ (٢) ثم انصرف حيث أراد فأتاهم أت من لم يكن معهم فقال ما تنتظرون بها قالوا  
 محمدا قال قد حيككم الله ولنه حرج عليكم ثم مبارك منكم رجلا إلا وضع على رأسه برا  
 وانطلق لحاجته فلما ثرون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فافا عليه تراب ثم جعلوا

(١) سورة يس . (٢) آية (٩) سورة يس

يطعمون فيرون عليا على الفراش متمسجيا بردة رسول الله ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد نائم  
 عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذى كان يحدثنا  
 . وفى هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وإذا ينكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ﴾ (١) .

لا تخرج عن فمهم تيسير • • • وكل شيء له وقت وقته وتفتتت  
 وللمقدر فى أحوالنا نظير • • • وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لبيه ﷺ فى الهجرة . قال ابن عباس بقوله تعالى : ﴿ وقُلْ رَبِّ ادْخُلْ  
 مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصورا ﴾ (٢) وأمره جبريل أن  
 يستصحب أبابكر - رضى الله عنه - .

روى الحاكم عن علي - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال جبريل من يهاجر معى قال أبو بكر  
 الصديق وأخبر ﷺ عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عند  
 للناس

وروى الطبراني فى حديث أسماء كان النبي ﷺ يأتيها بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشبة فلما  
 كان يوم من ذلك جاءها فى الظهيرة فقالت يا أبت هذا رسول الله ﷺ متفقا أى مغطيا رأسه فى  
 ساعة لم يكن يأتيها فيها ، قال أبو بكر - رضى الله عنه - فدى له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه  
 الساعة إلا أمر

فالت عائشة - رضى الله عنها - فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن له أبو بكر فدخل فتحمى أبو بكر  
 إنما هم أهلكت معنى عائشة وأسماء . وفى رواية فقال أبو بكر لا عين عليك إنما هما ابتائى فقال ﷺ  
 هذه قد أدن لى فى الخروح فقال أبو بكر الصحبة بابى أنت وأمى يا رسول الله قال ﷺ معى قالت  
 عائشة - رضى الله عنها - فرايت أبابكر يركى وما كنت أحسب أن أحدا يركى من الفرح فقال أبو  
 بكر فخذ بابى أنت وأمى يا رسول الله إحدى راحتي هاتين قال ﷺ لا بل بالثمن . وفى رواية  
 فقال بتمتها إن شئت ، وإنما أخذها بالثمن لتكون هجرته ﷺ إلى الله تعالى بنفسه وماله وغبته منه  
 عليه فى استكماله فضل الهجرة إلى الله تعالى . قالت عائشة فجهزناهما أحث أى أسرع الجهازا ،  
 وصعدنا لهما سفرة أى رادا فى جراب ، راد الوادى أنه كان فى السفرة شاة مطبوخة قالت  
 قطعت أسماء قطعة من نطقتها بكسر النون ما يشد به الوسط . قالت عائشة - رضى الله عنها - ثم  
 لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بعار ثور فكما فيه ثلاث ليال وهو جبل بمكة نزله ثور بين عبيد صاة  
 صبله .

(١) آية (٣٠) سورة الأنعام . (٢) آية (٨٠) سورة الإسراء

وروي أنهما خرجا من غوفة أي باب صغير لأيي بكر في ظهر بيته ليلا إلى الغار

وروي أن أبا جهل نفيهم فأعصى الله بصره عنهم حتى مضيا ، فارتب أسماهما بـ أبي بكر  
ح - أبو بكر بمائة خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أهلها وأسفلها  
، عن النافذة جمع فاقف وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه فوجد الذي ذهب جهة ثور أثره هناك  
من يرب ينعه حتى انقطع الأثر لما انتهى إلى ثور وشق حبل قريش خروجه وجزعوا بذلك وجعلوا  
دابة ناقة لم يرد

وروي أنه لما دخلوا الغار وأبو بكر معه أنبت الله علي باب الرامة وهي شجرة معروفة بأمر  
غيلان فحببت عن العار وأرسل حمامتين وحشيتين فوَقَّتا علي وجهه فعشتا علي بابيه وأن  
ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من تينك الحمامتين .

ثم أقبل فتيا قريش من كل بطن بعضهم وهرأوبهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار  
فرأي حمامتين وحشيتين يعم العار فرجع إلي أصحابه فقالوا له ما لك فقال رأيت حمامتين  
وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قال فعلم أن الله قد دواهم وقال آخر ادخلوا  
الغار فقال أمية بن خلف وما أريكم أي حاجتكم إلى الغار إن فيه لعنكوتا أقدم من ميلاد محمد لو  
دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت . وهذا أبلغ في الإصهار من مقومة القوم بالجسد ، فتأمل  
كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاسرت  
وجه المكان فحاسكت ثوب سجها حتى عمي علي القالب الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف  
وما أحسن قول ابن القيم

ودود القز إن نسجت حريرا • • • يجعل لبيته في كل شيء

فإن العنكبوت أجل منها • • • ما نسجت علي رأس النبي

وروي الشيخان عن أبي بكر قال حدثني أبو بكر قال قلت لربي ﷺ ونحو في أعمار لو أن  
نفسهم نظر إلي قدميه لرأى فقال له رسول الله ﷺ ما ظنك بأشبه الله ثالثهما <sup>(١)</sup> وذكر بعض  
من السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال له ﷺ لو جاءنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق إلي  
عاد ، فخرج من الجانب الآخر وردا البحر فدا اتصل به وسمة مشدودة إلي جانبه . وعن الحسن  
مصري بلاغا أن أبا بكر ليده يطلع معه ﷺ إلي لمار كان يعيش بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة  
سأله فقال أذكر الطلب فأشفي حلقك وأذكر الرصد فأشفي أمانك فقال لو كان شيء أحبب أن  
أجل درسي ، قال أي ولدي بعثت بأخي فلما انتهت إلي أعمار قال مكثت بـ رسول الله حبي

(١) (صحيح) البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨١)

مشريء لك الغار فاستبرا فجعل يلتصق بيده فكلما رأي جحوا قطع من ثوبه والقمه الجحر حتى  
فعل ذلك بشبه أجمع . فبني جحر فوضع عليه عليه لئلا يخرج ما جودي رسول الله ﷺ فدخل  
رسول الله ﷺ ووضع رأسه في جحر أبي بكر ودم فلدغ أبو بكر في رجليه من الجحر ولم يتحرك  
لئلا يوقظ المصطفى ﷺ فسقطت دموعه علي وجه رسول الله ﷺ فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت  
فذلك أبي وأمي فمسح رسول الله ﷺ بريقه مكان اللدغة فذهب ما يجده . ولقد أحسن حساؤين  
ثابت - رضي الله عنه - حيث قال :

وثاني اثنين في الغار اللئيف وقد • • • طاف العدو به إذا صاحد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علمو • • • من الخلائق لم يعدل به بدلا •

وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليلال  
وذلك من أول ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة ثلثي عشرة ليلة خلت منه .

حكى : أن زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودنا وقت أجله فأتاه صديقه في  
مكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال ثانيا  
فأعرض ، فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشي عليه صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة  
ففتح عييه فقال هل قلتم لي شيء قلوا نعم عرضت عليك الشهادة فأعرضت لي مرتين وقت لي  
الثانية لا أقول فقال أثنائي إيليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح  
فقال تحتج إلي الماء قلت بلي قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلي فقال  
بي كذلك فأعرضت عنه وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح علي الأرض  
وولي هاربا فأتانا وحدث علي إيليس لا عليكم فأتا أشهد لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده  
ورسوله

وروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال سألت بعضهم ربه أن يريه موضع الشيطان من  
قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يري داخله من خارجه ورأى الشيطان في  
صورة ضفدع فاهد علي منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه  
الأيسر إلي قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى أحس .

اللهم لا تسلط عليا شيطانا مريدا ولا إنسانا حيوذا وأعنا علي ذكرك وتذكرك بجاه خاتم  
أنبيائك ورسلك



## الباب السابع عشر

## في بيان الأمانة والتوبة

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سعيان الثوري يطوف إدراي رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا وهو يصلي على النبي ﷺ قال فقلت له يا هذا إنك قد تركت التسبيح وتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ هل عندك في هذا شيء قال من أنت عافاك الله ؟ فقلت أنا سعيان الثوري قال لولا أنك واحد أهل زمانك ما أحررتك عن حالي ولا أطمعتك علي سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجا إلي بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فمضت بشأته حتى مات فأسود وجهه فقلت إنا لله وأنا لله واجعون وخطيت وجهه فقلبت عينا عينا فمضت حزينا فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجهها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي من فكشف الإزار عن وجهه فأمر بيده علي وجهه فأبيض ثم ولي راجعا فتملقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله علي والدي بث في أرض الغربة قال : « أو ما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والذك كان مسرفا علي نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به منزل استعانت بي ولما خيأت لي أكثر الصلاة علي » فأنتهت فإذا وجه أبي قد أبيض .

وروي عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه قال : « من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة » (١) .

إعلم أن الأمانة مأخوذة من الأمن لأنه يؤمن معها من منع الحق ، وعندما الحياة من الخوف وهو النقص لأنك إذا خفت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان . قال رسول الله ﷺ : « المكر والخديعة والخبثية في النار » (٢) وقال ﷺ : « من عامل الناس علم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو عن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته » (٣) ومدح أعرابي قوما فقال شفعوا برعي الأمانة فلا يندون بلمة ولا ينتهكون أسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة أئول وهؤلاء الذين مدحهم الأعرابي قد انقضوا فلم نر في هذه الأزمان إلا ظلاما في ثياب كما ن .

من يثق الإنسان فيسما يويه ••• ومن أين للحزب الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ••• دنيا علي أجسادهم ثياب

(١) (صحيح) من مساجه (٩٠٨) ، وصحيح الجامع (٦٥٦٨)

(٢) (حسن) أحكام ٤ / ٦٠٧ ، وصحيح الجامع (٦٧٢٦)

(٣) تاريخ أصفهان ٢ / ٣٠٠

## وكما في حر

ذهب الدين يقال عند فراقهم ••• ليت البلاد وما بها تنصدع

وعن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأمانة مترفع ويصيح الناس يتابعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الأمانة وحتى يقال أن في بني فلان أمانة »

واعلم أن التوبة واحدة بالأخبار والآيات ، قال الله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وهذا أمر علي العموم . وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » (٢) ومعنى النصوح الخالص لله تعالى حاليا من الشوائب مأخوذا من النصح ويدل علي فضل التوبة قوله تعالى : « إن الله يحب المتطهرين » (٣) بقوله ﷺ : « الثالث حبب الله والثالث من الدب كمن لا ديب له » (٤) وقال رسول الله ﷺ : « لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل مرل في أرض مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فام بومه فاستيقظ وقد دعت راحلته فطلبها حتى إذا أشد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع مكاني الذي كنت به فأتاهم حتى أموت فوضع رأسه علي ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا يراجلته » (٥) .

ويروي عن الحسن قال لما تاب الله علي آدم - عليه السلام - هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل - عليهما السلام - فقالا يا آدم فرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم - عليه السلام - يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى الله إليهم يا آدم ورتت فرتك التمسب والصب وورثهم التوبة فمن دهاني منهم ليته كما ليته ومن سألني للمغفرة لم أبل علي لأنني قريب محبب يا آدم وأحضر الثانيين من القبور مستبشرين فساكنين ودهالهم مستجاب . وقال ﷺ : « إن الله عز وجل ييسر به بالتوبة لسيء الليل إلي النهار ولسيء النهار إلي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (٦) ويسر اليد كتابة عن طلب التوبة والطالب وراء القابل قرب قاس ليس بطاب ولا طاب إلا هو قبل . وقال ﷺ : « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم نعمتم لتاب الله عليكم » (٧) وقال ﷺ : « إن العبد لينسب التمسب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه قائما منه فلما حتى يدخل الجنة » (٨) وقال ﷺ : « كرامة العبد

(١) آية (٣) سورة نور

(٢) آية (٢٢٢) سورة بقره

(٣) (صحيح) مسلم (٢٧٤٦) .

(٤) (صحيح) مسلم (٢٧٥٩) .

(٥) (صحيح) ابن أبي شيبه (٥٢) ، وصحيح جامع (١٥١٣) والصيغة (٢٠٣١)

(٦) آية (٨) سورة الحجر

(٧) (صحيح) مسلم (٢٧٤٦) .

(٨) (صحيح) مسلم (٢٧٥٩) .

الندامة . وقال ﷺ : « الثائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ويروي أن حبشياً قال يارسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال : نعم فوجع فقال يارسول الله أكان الله يراني وأنا أعمىها قال : نعم فصاح الحبشي صيحة خرج بها روحه .

ويروي أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وهزتك لأخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى : وهزتي وجلالي لأحجب عنه توبة مادم فيه الروح . وقال ﷺ : « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الرسخ » (١) من سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُورًا ﴾ (٢) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال المصلي قال الله تعالى . شر المنين بأنهم إن تلبوا قبلت منهم وحذر الصديقون أني إن وضعت عليهم عدلي عذبهم . وقال عبد الله بن عمر من ذكر حطية ألم بها فوجعل منها قلبه صحت عنه في أم الكتاب .

ويروي أن نبيا من الأنبياء أذنب كل ما أوحى الله إليه وهزتي لئن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وهزتك أن لم تعصمني لأهودن نعصمه الله تعالى .

ويروي أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينه فخر فان فقال إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتعلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يفلق فأعمل ولا تيأس .

ويروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرأة فرأى الشب في لحية فسأله ذلك فقال إلهي أطعك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة دون رجعت إليك تقبلي فسمع قائلا يقول ولا يري شحمه أحببتنا لأحببك وتركنا فتركناك وعصيتنا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلناك .

ويروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تاب العبد تاب الله عليه وأسي الحظظة ما كانوا يكتبوا من مساوئ عمله وأسي جوارحه ما عملت من الخطايا وأسي كانه من لأرض ومقامه من السماء ليجمع يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه » (٣) .

روي عن علي - كرم الله وجهه - عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب حول العرش قبل أن

(١) لصري ٩ / ١٦٠

(٢) به ٢٥ سورة الإسراء

(٣) (صحيح) ابن عساکر ٤ / ٢٨٦ ، وضعيف الجامع (٤٢١)

يحق الخلق بأربعة آلاف عام : وإني لعفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتلى » (١) .

واعلم أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فوراً فإن الإصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر . قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (٢) الآية . والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهراً وباطناً مادماً غير عاجز على العود ومثل من تاب ظاهراً فقط كمثل مريضة سط عليها دياج والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها فإذا كشفت عنها العطاء أهرصوا عنها فكذلك الخلق ينظرون إلى أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشفت لعطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال ﷺ : « إن الله لا يظرني صوركم ولكن يظر إلي قلوبكم » (٣) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : « كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس بتائب أي لأنه لم يحكم أبواب التوبة من التدم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها إن أمكن واستحل لهم منها أن تيسر ولا أكثر من الاستعفاء له ولهم عسي الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أتبع المصائب فعلى العاقل أن يعاسب نفسه ولا ينسي فنه كما قيل :

يا أيها المذنب للحصبي جرائمه • لا تنس فتبك وأذكر منه ما سلفا

وتب إلي الله قبل الموت وانرجرا • يا عاصيا واعترف أن كنت معترفا

ويروي الفقيه أبو الليث يستله قال دخل عمر - رضي الله عنه - علي رسول الله ﷺ باكية فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا عمر » فقال يارسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « أدخه يا عمر » قال فدخض وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا شاب » قال يارسول الله أبكتني دنوب كثيرة وحمت من جبار عصان علي فقال رسول الله ﷺ : « أشركت بالله شيئا قال لا قال أقتلت نفسا بعبر حق قال لا قال قتل الله يعصرك ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والحيال » قال ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يارسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم إلهك يعني عمرو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فإنه لا يعصرك الذنب العظيم إلا الرب العظيم يعني عظيم التحاور ثم قال له رسول الله ﷺ أخبرني عن ذنبك قال إني أستحي منك يارسول الله قال بل أخبرني قال يارسول الله إني كنت أنشئ القبور مد سبع سنين حتي مائت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها وأطعت كعبها ومضيت غير بعيد فقلب الشيطان علي فرجمت فجا معها ثم مضيت غير بعيد وإذا ياخاوية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تسحي من ديار مأخذ بالمظنوم من الظالم تركني عريانة في عسكر الموتى وأوقعني جبا بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله

(٢) آية (١٣٥) سورة آل عمران

(١) (الأنعماء ٢٧٣)

(٣) (صحيح) مسلم (٣٣ - ٣٤)

ﷺ وهو يدفع في قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك إلى النار أخرجني فخرج الشاب تائباً إلى الله عاني أربعين ليلة مما عم له أربعون ليلة رفع رأسه إلى السماء وقال يا إله محمد وآدم وإبراهيم إن كنت عمرت لي فأعصم محمدًا ﷺ وأصحابه ولا فأرسل ناراً من السماء فأحرقني بها ويحيي من عذاب الآخرة فهبط جبريل علي النبي ﷺ وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو خلقني وخلقهم وروفي وروفهم قال جبريل - عليه السلام - يقول لك إله تعالي إنني ثبت علي الكتاب فدعا النبي ﷺ الشاب ويشره بأن الله تعالي قاب عليه .

حكى أنه كان في زمن موسى - عليه السلام - رجل لا يستقيم علي التوبة كلما تاب أفسد ممكث علي ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالي إلي موسى قل لعبيدي فلان أبي غضبت عليه فبلغ موسى - عليه السلام - الرسالة إلي ذلك الرجل محزون وذهب إلي الصحراء قائلاً إلهي أعدت رحمتك أم صرتك معصيتي أم نغدت حرائر عموك أم بغلت علي عبداً أي ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتي الحادثة أفنعتني صفتي صفتك وإذا حجب عبادك عن رحمتك فمن يرجون وإن طردتهم فإني من يقتصدون إلهي إن كنت رحمتك قد نغدت وكان لابد من عذابي فأحمل علي جميع ذنوب عبادك فإني قد فديتهم بنفسي فقال الله تعالي يا موسى اذهب إليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء لأرض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة . وقال ﷺ : « ما من صوت أحب إلي الله من صوت عبد مذبذب تائب يقول يارب فيقول الرب ليبيك يا عبيدي مل ما تريد أنت عبيدي كييعض ملائكتي أنا عن بيتك وعن شمالك وفوقك وغريب من ضمير قلبك . . إشهدوا ياملائكتي أنني قد غفرت له » (١).

قال ذو النون المصري - رحمه الله - إن الله عابداً نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب ومقوها بماء التوبة فأنتمرت ندما وحزننا فجنونا من غير جنون وتبلدوا من غير وعي ولا بكم وأنهم هم البلعاء المصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا الصماء فوثرنا الصبر علي طول البلاء ثم تولدت قنوبهم في المنكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأوثرنا أنفسهم الجزع حتي وصلوا إلي علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلثوا خشونة المضجع حتي ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتي أناحو في رياض العيم وخاصوا في بحر الحياة وردمو حصاد الخرج وعبروا جسور الهوى حتي نزلوا بفناء العلم واستنقوا من ظلمير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا أبرياح النجاة في بحر السلامة حتي وصلوا إلي رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

### الباب الثامن عشر

#### في فضل التوحي

قال رسول الله ﷺ . « لا يدخل الجنة إلا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره » (١) . ومعني رحمة نفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالي بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والإحسان فيها ومعني رحمة لغيره أن لا يسي في أذية المسلم . قال ﷺ : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » (٢) ويرحم اليهائم فلا يكلمها ما لا تطيق . فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل بها وشرب ثم طلع فإذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملا خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر لله تعالي له ففعل له قالوا يا رسول الله إن لنا في اليهائم لأجراً قل في كل ذات كبد رطبة أجر » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال بينما هم - رضي الله عنه - يمشون ذات ليلة إذا مر برفقة قد نزلت فخشى عليهم السرقة فلقي عبد الرحمن بن هوف - رضي الله عنه - فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مروت برفقة قد نزلت فحدثني نفسي أنهم إذا باتوا غاموا فخشيت عليهم السارق فأنطلق بنا نحرسهم قال فانطلقنا فبعد قريباً من الرفقة بحرمان حتي إذا طلع الفجر نادى عمر - رضي الله عنه - يا أهل الرفقة الصلاة حتي إذا راهم تحركوا فتنصرف فلعيننا أن نقشدي بالصحابة - رضي الله عنهم - فقد مدحهم الله تعالي بقوله رحماء بهم وكانوا رحماء علي المسلمين وعلي جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة .

فقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً من أهل الذمة يسأل علي أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر - رضي الله عنه - ما أنصفك أخلفنا منك الخزينة ما دعت شايبا ثم صيغلك اليوم وأمر أن يجري عليه قوته من بيت من المسلمين

وعن الحسن بن علي قال : « بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين » (٤) . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن لإرحموا من في الأرض يرحمكم من

(١) كرم عمال (٩٧٤)

(٢) صحيح البخاري (١٤٨٤)

(٣) صحيح البخاري (٦٠٠٩)

(٤) ك - أ - ب (٥٨)

السماء<sup>(١)</sup> وعنه ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم ومن لا يعمر لا يعمر له »<sup>(٢)</sup> وقال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك أن تمنح محسبهم وأن تستعمر مدبهم وأن تعود من يرضهم وأن تحب قلوبهم »<sup>(٣)</sup>.

وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب بأي شيء اتحدتني صفيا قال يرحمتك علي خلقي . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبي فعميشي . وقال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تلهي له سائر الجسد »<sup>(٤)</sup> النبي والسهر<sup>(٥)</sup>.

حكاية : مر عابد من بني اسرائيل علي كتيب من رحل وقد أصابت بني اسرائيل مجاعة عظيمة فتسبي في نفسه أن هذا لو كان دقيقا لأشبع به بني اسرائيل فأوحى الله إلي نبي بني اسرائيل أن قل لعباد أن الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقا واشتبهت به الناس ولذلك قال رسول الله ﷺ : « نية المؤمن خير من عمله »<sup>(٥)</sup>.

حكى : أن عيسى عليه السلام خرج يوما ففني إليس ويده غسل وفي الأحري رماد فقال ما تفعل يا عبد الله بهذا العسل والرماد ؟ قال أما العسل فأجعله علي شفاء للمفتابين حتي يلعوا منها ، وأما الرماد فأضعه علي وجه اليتامي حتي يعضهم الناس . وقال ﷺ : « إن اليتيم إذا صربت اهتر عرش الرحمن ليكافئه فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من أيكلي هذا الصبي الذي عييت أباه في التراب »<sup>(٦)</sup> وقال ﷺ : « من أوى يتيما إلي طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة »<sup>(٧)</sup> وفي روضة العلماء كان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يأكل طعاما مني الميل والميلين يطلب من يأكل معه ويكي علي كرم الله وجهه يوما فعيل مايكيك قال لم يأتي ضيف سدا سبعة أيام فأحذف أن يكون الله قد أهانني . وقال رسول الله ﷺ : « من أطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعليه في النار » . وقال رسول الله ﷺ : « للسخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس قريب من النار بعيد من الله بعيد عن الجنة بعيدا من الناس قريب من النار »<sup>(٨)</sup> . وقال ﷺ : « الجاهل

(١) (صحيح) (أبردار) (٤٩٤١) ، وصحيح الجامع (٣٥٧٢) .

(٢) (صحيح) (البحاري) (٦٠١٣) .

(٣) (صحيح) (السادة) (٦٠١٣) / ٦ .

(٤) (صحيح) (مسند) (٢٥٨٦) .

(٥) (صحيح) (الطبراني) / ٦ ، ٢٢٨ ، وصحيح الجامع (٥٩٧٦) .

(٦) (صحيح) (أبي حنيفة) / ٢ ، ٧٧٢ .

(٧) (صحيح) (أبي حنيفة) / ٣ ، ٤٤١ .

(٨) (صحيح) (أبي حنيفة) (١٥٤) ، وصحيح الجامع (٣٣٤١) .

السخي أحب إلي الله من العابد البخيل<sup>(١)</sup> وقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب : العالم الذي يعمل بعلمه ، ومن حج ولم يرمث ولم يفسق حتي مات ، والشهيد الذي قتل في المعركة لإعلاء كلمة الإسلام ، والسخي الذي اكتسب مالا من الحلال وأعمه في سبيل الله بغير رياء ، هؤلاء يتأرجع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا » وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله عبادا يختصهم بالنعم فتألف العباد فمن يدخل بملك المنافع علي العباد تغلبها الله تعالى عنه وحولها إلي غيره »<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : « السخا شجرة من شجر الجنة أغصانها مثقلة إلي الأرض فمن أخذ بفضن منها قلده ذلك الفضن إلي الجنة »<sup>(٣)</sup> وعن جابر رضي الله عنه قال : قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الصبر والسماحة »<sup>(٤)</sup> وروي المتقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة قال : « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، وحسن الكلام »<sup>(٥)</sup> .

### الباب التاسع عشر

#### في بيان الخشوع في الصلاة

جاء في الخبر أن جبريل عليه السلام جاء يوما إلي النبي ﷺ وقال : يا رسول الله كنت رأيت ملكا في السماء علي سرير وحوله سبعون ألف ملك صموا بخدمته وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك علي جبل قال متكرر الجناح وهو يبكي فلما رأيته قال أتشع لي قلت ما جرمك قال كنت علي السرير ليلة المراج فمر بي محمد ﷺ مما نمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما ترى قال فتضرعت إلي الله لشغفت له فقال الله تعالى يا جبريل قل له حتي يصلي علي محمد فصلي ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنت جناحه .

إعلم : أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت ثمة قبلت منه وسائر عمله ، وإن وجدت ناقصة ردت إليه وسائر عمله وقال ﷺ : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميراث من أوفي أستوفي » . وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها

(١) (صحيح) (الطبراني) .

(٢) (صحيح) (أصمهان) / ٢ ، ٢٧٦ ، وتذكرة الموضوعات (٦٤) .

(٣) (صحيح) (الموضوعات) / ٢ ، ١٨٢ ، وتذكرة الشريعة / ٢ ، ١٣٩ ، وصحيح الجامع (٣٣٤٠) .

(٤) (صحيح) (أحمد) / ٤ ، ٦٨٥ .

(٥) (صحيح) (صحيح) (أصمهان) / ١ ، ٢٠٧ ، وصحيح الجامع (٢٢٢٢) ، والصحيح (١٠٣٥) .

سورة ، وقال ﷺ : « إن الرجلين من أمتي ليقرمان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد . من صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشد إلي الخشوع » قال ﷺ : « لا ينظر الله يومئذ إلى العبد لا يعيم صلبه بين ركوعه وسجوده »<sup>(١)</sup> وقال ﷺ : « من صلى صلاة لوقتها وأبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بضياء مسفرة تقول حفظك الله كما أحفظني ومن صلى صلاة لعبير وقتها ولم يسبح وخشوعها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلعب الثوب الخلق فيصرب بها وجهه »<sup>(٢)</sup> . وقال ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته »<sup>(٣)</sup> . وقال ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طغف فقد علم ما قال الله ﴿ وَيَلْزَمُهُمْ تَطَفُّلُهَا ﴾<sup>(٤)</sup> وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي القريضة . وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى نار وكم التي أوقدتموها فأطعموها . وقال ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » . وقال ﷺ : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وصلاة الغافل لا تمتع من الفحشاء والمنكر »<sup>(٥)</sup> . وقال ﷺ : « كم من قائم وليس له من قيامه إلا التعب والنصب » . وما أراد به إلا الغافل ، وقال ﷺ : « ليس للعبد من صلاة إلا ما عقل منها » وقال أمل المعرفة الصلاة أربعة أشياء ، الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والأداء مع التعظيم والخروج مع الخوف . وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته . وقال رسول الله ﷺ : « في الجنة نهر يقال له الأبيح فيه حواري خلقهن الله من أزهاران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام . ويقلن نعنن لمن صلى صلاته بالخشوع والخصوع يقول الله تعالى لا أسكنه حاري ولا جعلته من زواري »<sup>(٦)</sup> .

وروي أن الله تعالى أوحى إليه قل لعبادة أمتك لا يذكرونني فإن ذكروني فاذكروني وأنت تتمضى أعصابك وكفى عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكروني ماجس لسائل من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل واجب قلب وجل ولسان صادق .

وروي أن الله تعالى أوحى إليه قل لعبادة أمتك لا يذكرونني فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت العفة والعصيان . قال بعض الصالحين رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال

(١) أحمد ٢٢ / ٤

(٢) تحف السادة المظنين ١٢ / ٣

(٣) سبى بحريجه

(٤) يه (١) سورة تطمئن

(٥) سبى تحريجه

(٦) إن لم يكن موهوبا فهو ضميم

هيشتم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة . ورأى النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو شغ قلب هذا خشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته . وأعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في خير آية فقال : ﴿ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> « على صلاتهم يحافظون »<sup>(٢)</sup> ، « على صلاتهم والبر »<sup>(٣)</sup> قيل أن المصلين كثير والخاشعين في الصلاة قيس ، والخاشع كثير والبار قليل والطير كثير والمندليب قليل والعالم كثير والمعامل قليل والصلاة محل الخشوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فلو لجواز شرط ولقبول شرط فشرط الخصال أداء فرضها وشرط قبول الخشوع . قال تعالى : ﴿ فَدُفِعَ الْمُعْتَمِدُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> الذين هم في صلاتهم خاشعون « آية » والتقوى قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَهْتَفِلُ اللَّهُ بِالْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقال ﷺ : « من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »

وأعلم أنه لا يلحق عن الصلاة إلا الخواطر الوردية الشافعة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة في مكان مظلم أو خال عن الشواغل من الأصوات والقرش المقنونة والتجرد عن الملابس الزينة بحيث تلهمه إذا نظر إليها في الصلاة كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزهها بعد صلاته وقال ذهبوا بها إلى أبي جهم فأتوها الهنئ أنما عن صلاتي وأمر ﷺ بتجنيده شرك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذا كان جديدا فأمر أن يتزع منها ويرد الشراك الخلق وكان ﷺ في يده حاتم من ذهب قبل انتحريمه وكان على المبر فرمه وقاد شعلنى هذا نظرة إليه وبغزة اليكم

ومن رجل آخر أنه صلى في حائط به والبحيل مطوفة بشرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فأجعله في سبيل الله عز وجل فباعه بثمانين ألفا ، وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من اجفاء الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك . قال ﷺ : إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت . وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد ويمضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من معظم من أباء الدنيا ، فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك

وفي التواتر مكتوب يا ابن آدم لا تمجز أن تقوم بين يدي مصليا يا كذا فأن الله الذي تترهب

(١) يه (٢) سورة مؤسوس

(٣) آية (٢٣) سورة المدارج

(٤) آية (٩٢) سورة الأنعام

(٥) يه (٢٧) سورة مائدة

(٦) يه (٣٠) سورة مؤسوس





قدم إليه حمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فياكله . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَيَحِبُّكُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ أَهَلِكُمْ بِلَا ذُنُوبِكُمْ وَبَلَغَ لَكُمْ أَجَلٌ ﴾ (١)

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - إن وقع الغيبة كانت تهب في عهد رسول الله ﷺ وذلك لغلتها ، وأما في هذه الأزمان فليكثر من الغيبة وامتناع الأنوف منها فلا تميز رائحتها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقصر على الفرار فيها من شدة الرائحة وتتها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام يشربون فيها ولا تبين لهم تلك الرائحة المتنة لأنها ملأت أنوفهم لذلك أمر النبي في أيامنا هذه .

قال كعب - رضي الله عنه - : قرأت في بعض الكتب أن من مات تابيا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار . قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَعْنَةُ الْغَيْبَةِ ﴾ (٢) أي أشد العذاب للعزة التي يعيبك في الغيب والممة الذي يعيبك في وجهك . والآية برئت في الوليد من المغيرة وكان يقتاب النبي ﷺ والمسلمين من وجوههم ويحور أن يكون السب حاصبا والوعيد عام . وقال رسول الله ﷺ : إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ، قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يموت عنه صاحبه (٣) فالواجب على المتساب إن يتوب ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المتساب ليحله فيخرج من مظلمته .

وقال ﷺ : من احتاب أعماه المسلم حول الله وجهه إلى غيره يوم القيامة . ويتخفى لصاحب العيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل إلى المختاب لأنه إذا تاب صاحب العيبة قبل وصولها إلى المختاب قبل توبته أما إذا بلغته فلا يرتفع عنه الإثم بالتوبة ما لم يجعله في حل ، وذلك إذا رآه امرأة لها روح منه الحشر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل مقصده المالكات من ذلك والله أعلم .

### الباب الحادي والعشرون

#### في بيان الزكاة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) يعني يؤدون وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان

معيه صفيحت له صمات من دراهم عبيد في دراهم فيكرى بها حسه وظهره أي . مع حسه لها كلها وإن كثرت كلما بردت عبيد له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وبعض بين العباد فيرى سبيلا إلى حب ربه إلى النار . الحديث (٢) ، وفيما تعالى : والذين يكتسبون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ليشترقهم بحداب أنفسهم (٣) يوم يحصى عليهم في دراهم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كثرت لأسفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون (٤) وقال رسول الله ﷺ : ويل للأعياء من اعفروا يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقا لنش فرغت عليهم . فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأنيكنكم ولا بأعديهم ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حِقْدٌ مِمَّا نُسُوا لَأُخْلَقُوا وَمَا عَصُومُوا ﴾ (٥)

وروى عنه ﷺ : من ثلثة أسرى به على قوم على أديارهم وقاع وعلى أقبالهم وقاع يسرحون كما تسرح الأنعام الفسح والرقوم وروى عنهم قال : من هؤلاء الجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد .

وحكى : أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سفيان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نوزر جارا لنا مات أخوه ونعمره فيه ، قال محمد بن يوسف القزويني فقاما معه ودخل على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والخرع على أخيه فجلنا بحره وسلبه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقلنا له قد أظنعت لله على العيب قال لا ولكن لما دنت وسريت عليه التراب وتصرفت الناس جلست عند قبره وذا صوت من قبره يقول له أفردوني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر ما حاله وإذا القبر يلمع عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شعقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبت فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج إليها يده فلما هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أعزرك بعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَتْنِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلَعُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) . وأتوك عجل له العذاب في قبره إلى القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا در صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قضية الرجل وقصا له بموت اليهودي والنصراني ولا يرى منهم دنت قبل أولئك لاشك أنهم في النار وإن يركبكم الله أهل الإيمان نعمتموا ، ولله تعالى ﴿ فَمَنْ أَهْلُ عِلْمٍ فَخُصَّهُ وَمَنْ عَبِي عَمَلٍ فَمِنْهَا وَمَنْ آتَا

(١) (صحيح) مسلم (٩٨٧)

(٢) آية (٢٤-٢٥) سورة الماعز

(٣) آية (٣٤-٣٥) سورة البقرة

(٤) آية (١٨١) سورة آل عمران

(١) آية (١) سورة البقرة

(٢) آية (٤) سورة المائدة

(٣) آية (٧) سورة البقرة

(٤) آية (٤) سورة المائدة

عليك بحديث<sup>(١)</sup> . وجاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال ملئع الزكاة عند الله بمنزلة ابهردي والتصاري وملئع العشر عند الله تعالى بمنزلة للجوس ومن يمتنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبي ﷺ ولا تقبل شهادته وقال طويي له أن أدى الزكاة والعشر وطويي لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة . ومن أدى الزكاة من ماله وقع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا بضله عطش يوم القيامة .

### الباب الثاني والعشرون

#### في بيان الزنا

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوسِهِمْ خَالِفُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي من الفراعنة وحما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾<sup>(٣)</sup> يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبله واللمس والنظرة كما جاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « الذين والرجلان تزنيان والعيان تزنيان »<sup>(٤)</sup> قال الله تعالى ﴿ قُلْ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ لِرُؤُوسِهِمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> الآية . . . قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام ويحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾<sup>(٦)</sup> يعنى عقابا في النار ويقال وأثام في النار ويقال جب في النار إذا متع فيه صاح أهل جهنم من خبث وقلته .

وروي عن بعض الصحابة أنه قال : إياكم والزنا فإن فيه ست خصائل ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي هي الدنيا فتقصان الرزق وقطع الأجل وسواد الوجه وأما التي هي الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار .

وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب ما لمن زنى ؟ قال الله تعالى ألبسه ذرعا من النار لو وضع على جبل شاقق لأصبح ومادا .

ورود أن امرأة فاجرة أحب إلى إبليس من ألف فاجر . وفي المصليح قال رسول الله ﷺ : « إذا زنى العبد خرج الإيمان وكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان »<sup>(٧)</sup> . وفي كتاب الإقناع قال النبي ﷺ : ما ذنب أعظم عند الله من نقطة يصبها الرجل

(١) آية (١٠٤) سورة الأنعام

(٢) آية (١٥١) سورة الأنعام

(٣) آية (٣٠) سورة النور

(٤) آية (٦٨) سورة الفرقان

(٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٣٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٤٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٥٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٦٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٧٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٨٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٩٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٠٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١١٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٢٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٣٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٤٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٥٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٦٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٧٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٨٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩١) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٢) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٣) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٤) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٥) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٦) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٧) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٨) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(١٩٩) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٠٠) آية (٢٤) سورة المؤمنون

(٢٠

وقال تعالى ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْلِتُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أَوَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ لِهَذَا الْقُرْآنِ حَافِظَةً وَمَتِّعَهُمْ وَأَمْسَى أَهْلَهُمْ ﴿ (٢٣)

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغِزُوا عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْتَلَ وَيَنْفِرُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (٢٤)

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَلَلَّ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حَتَّى إِذَا مَرَّ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطِعَ مِنْ قِطْعِكَ قَالَتْ بَلَى مَا لَكَ مِنْ ذَلِكَ لَيْتٌ » . ثم قال رسول الله ﷺ : « إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَسْمَعُوا مِنْ رَبِّكُمْ أَنْ تَقْسُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٥) أَوَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ لِهَذَا الْقُرْآنِ حَافِظَةً وَمَتِّعَهُمْ وَأَمْسَى أَهْلَهُمْ ﴿ (٢٦) ورواه أيضا الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢٧) عن أبي بكر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُجْزَلَ اللَّهُ لِنَصَبِهِ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْعُو لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْإِنْفِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ » (٢٨) والشيخان : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » قال سفيان بن عيينة قاطع رحم . وأحمد بسنده ورواته ثقات : « إِنْ أَعْمَلَ بَنَى آدَمَ تَمَرَهُ كُلَّ خَمِيسٍ وَلَيْلَةَ جُمُعَةٍ فَلَا يَقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ »

وابن حبان وغيره : « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ . . مَعْمَرُ الْخَمْرِ وَقَاطِعُ الرَّحِمِ وَمَعْلُوقُ السَّحَرِ » (٢٩) . وأحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي : « يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طَعْمٍ وَشَرِبٍ وَلَهُمْ وَلَمْ يَصْبَحُوا قَدْ مَسَحُوا قَرْدَةً وَخَبَازِيرَ وَلِيَصِيبَهُمْ حَسَفٌ وَقُذَعٌ حَتَّى يَصْبِحَ النَّاسُ يَقُولُونَ حَسَفَ اللَّيْلَةَ بَيْنَى فُلَانٍ وَخَسَفَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ فُلَانٍ وَلَتُرْسَلَنَّ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطَ عَلَى قِبَاطِلٍ فِيهَا وَعَلَى دُورٍ وَلَتُرْسَلَنَّ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَلِيمُ الَّتِي أَهْلَكَتْ هَادًا عَلَى قِبَاطِلٍ فِيهَا وَعَلَى دُورٍ بِشَرِبِهِمُ الْخَمْرَ وَبِسُهُمُ الْخَمْرَ وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَبِيلَاتِ وَأَكْلِهِمُ الرِّبَا وَقَطِيعَتِهِمُ الرَّحِمَ » (٣٠) وخصلة نسبها جعفر والطبراني في الأوسط .

عن جابر - رضى الله عنه - قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ثَوَابِ أَسْرَعٍ مِنْ صَلَاةِ الرَّحِمِ وَإِيَّاكُمْ وَالْبَيْتَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَقُوبَةٍ أَسْرَعُ مِنْ عَقُوبَةِ بَغْيِ وَلِهَاجِكُمْ وَعَقُوبَةُ الْوَالِدَيْنِ فَإِنْ رَجَعَ الْحَنَةُ يَوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ

(١) آية (٢٢ - ٢٣) سورة محمد

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) الترمذي (٢٥١١) . (٥) (صحيح) أحمد ٣٩٩ / ٤

(٦) (صحيح) الحاكم ٥١٥ / ٤

(١١) (صحيح) مجمع الرويد ١٢٥

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٨) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) أحمد ٦٠ / ١

(٤) (صحيح) أحمد ١٠٦ / ٢

عَمَ وَاللَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا بِغَمٍّ وَلَا فِطْعٍ رَحِمٍ وَلَا شَيْخٍ وَلَا جَسَارٍ إِلَّا بِرَهْ حَيْلَاءٍ إِنَّمَا لِلْكَبِيرَةِ لَهُ رَبُّ الْعَالِينَ ﴿ (١١) -

والأصمعي : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَا يَجَالِسُنَا الْيَوْمَ قَاطِعُ رَحِمٍ قِمَامٌ قَتَى مِنَ الْحَقِيقَةِ فَاتَى خَلَالَهُ لَهُ قَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا بَعْضُ الشَّيْءِ فَاسْتَعْفَرَ لَهَا فَاسْتَعْفَرَتْ لَهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَجْلِسِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ الرَّحْمَةُ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فَيَهْمُ قَاطِعُ رَحِمٍ »

والطبراني : « إِنْ الْمَلَائِكَةُ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فَيَهْمُ قَاطِعُ رَحِمٍ » .

والطبراني بسند صحيح عن الأعمش قال : « كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسًا بَعْدَ الصُّبْحِ فِي حَلْفَةٍ فَقَالَ أَنْشُدْ اللَّهَ قَاطِعُ رَحِمٍ مَا قَامَ مَا مَلْنَا مَرِيدَ أَنْ يَدْعُو رَبًّا وَأَنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مَرْجُحَةٌ أَيْ بَضْمٌ فَتُفْتَحُ وَالْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ (معلقة) دُونَ قَاطِعِ رَحِمٍ »

ولشيخان : « الرَّحِمُ مَعْلُوقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مِنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمِنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ » (١٢)

وأبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح واعتز بنصحيحه بأنه منقطع ورواية وصلة قال البخاري خطأ

عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ أَسْمَى لِمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ . أَوْ قَالَ بَنَى أَيْ قَطَعَتْهُ » .

وأحمد بإسناد صحيح : « إِنْ مِنْ أَرَبٍ أَرَبَا الْإِسْتِعَالَةَ فِي عَرْضِ الْمُسْلِمِ بِعَمِيرٍ حَقٍّ وَإِنْ هَذِهِ الرَّحِمُ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » (١٣) .

وأحمد بإسناد جيد قوى وابن حبان في صحيحه : « إِنْ الرَّحِمُ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّي قَطَعْتُ يَا رَبِّ إِنِّي أَسَىءُ إِلَى ، يَا رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ يَا رَبِّ فَيَجِيئُهَا أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطِعَ مِنْ قِطْعِكَ » (١٤) .

والشجنة بكسر أوله وضمه وإسكان الجيم ، القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، ومعنى من الرحمين أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمين كما يأتي في الحديث على الأثر والبراز بإسناد حسن : « الرَّحِمُ حُجَّةٌ مَتَمَسِّكَةٌ بِالْعَرْشِ تَكْلُمُ بِنَسَبِهَا فَلَقَى اللَّهُمَّ صَلِّ مِنْ وَصَلِي وَأَقْطِعْ مِنْ

نظمي فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم وأني شقيقت الرحيم من اسمي فمن وصفه ومن تكلمه بتكلمته . أخبجة ، صبح إخوان المهلة والحيم وتعريف النور ، صبرة . أي الخديعة العفواء التي يعلق بها الخبيط ثم يعثر العرل والبنك القطع ، والبرار : ثلاث متعلقات بالعرش : الرحيم تقول : إني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أحوال ، ولعمري تقول : اللهم إني بك فلا أكره ، والبرار واللفظ له واليهي الطابع معاني بقائمة العرش فإذا استكت الرحيم وحمل بالمعاصي واجترأ على الله تعالى بعث الله الطابع لطيط على قلبه فلا يعلق بعد ذلك شيئا .

وأخرج الشيخان : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (١) .

وأخرج أيضا « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ (أي يؤخر) وهو يضم أوله وتشديد الله للهمل وبالهزم ) له ، في أثره أي أجله فليصل رحمه » (٢) . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه » . ورواه البخاري والترمذي ، ولفظه قال : « تعلموا من قسائكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر » . أي بها الزيادة في العمر . وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المستد ، والبخاري يسندهما صحيحين والحاكم « من سره أن يبسط له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليقل الله وليصل رحمه » ، والبخاري يسندهما صحيحين . وأبو يعلى : أن الصدقة صلة الرحم يريد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحنور . وأبو يعلى يسندهما صحيحين . عن رجل من ختعم قال : أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم ، قال قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإيمان بالله قلت يا رسول الله ثم ما قال صلة الرحم قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإشراف بالله قلت يا رسول الله ثم ما قال قطيعة الرحم .

والبخاري ومسلم واللفظ له « وقف أمر إلى رسول الله ﷺ وهو في سفر فأخذ بحطام نافذة أو برصاصها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فكيف

أبى ﷺ ثم بعثني أصحابه ثم قال : لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعاده فقال النبي ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحمل الرحم . . . دع المأفة » (١) . وفي رواية : « وتصل ذا رحمك . فلما أدير قال رسول الله ﷺ : إن تمسك بها أمرته به دخل الجنة » . والطبراني يسندهما حسن : إن الله ليحمر بالقوم النصارى ويصبي لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بنفسا لهم قبل وكيف ذلك يا رسول الله قال يصلتهم أرحامهم . . . وأحمد يسندهما رواه ثقات إلا أن فيه انقطاعا أنه من أعطى الرق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يحمر النصارى ويذهب في الأعمال . وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي . يارسول الله من خير الناس قال : أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر . والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال « أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنوا منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أديرت وأوصاني أن لا أحتف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » . والشيخان وغيرهما عن ميمونة - رضي الله عنها - أنها اعتقدت وليدها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله أني اعتقت وليدتي قال أما أنك لو أعطيتها أخوانك كان أعظم لأجرك » . وابن حبان والحاكم « أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أدبت ذبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال غيرها » .

والبخاري وغيره « ليس الواصل بالكافي ولكن الواصل السخي إذا قطعت رحمه وصلها » (٢) . والترمذي وقال حسن : « لا تكبروا إمامة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلموا ولكن وادعوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا » (٣) . والإمام بكر معتج وتشديد فمهلة هو الذي لا رأى له فهو يتبع كل واحد على رأيه . وفي مسلم « يارسول الله إن لي قرابة أصلهم وقطعونني ، وأحسن إليهم وسميتون إلي وأحلم عليهم ويجهلون على فقال : إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم للآل أي ، بفتح تشديد ، الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم : أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح (٤) . أي الذي

(١) (صحيح) البخاري (١٣٩٧) ، ومسلم (١٤)

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٩١) ، وأحمد ١٦٣ / ٢

(٣) (حسن) الترمذي (٢٠٠٧)

(٤) (صحيح) الحاكم ١٠٦

(١) (صحيح) البخاري (٦٠٦٩) ، ومسلم (٤٧ ٤٨)

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٦) ، ومسلم (٢٥٥٧)

(٣) (صحيح) الحاكم ١٦٠ / ٤ ، وصحيح الجامع (٥٢٧٢)

بضمير عداوته في كشحه أي خصمه كتابة عن باطنه ، وهو في معنى قوله ﷺ : « وتصل من قطعك » - والبيزار والطبراني والحاكم وصححه وعتريه بأن فيه وإهيا : « ثلاث من كن فيه - حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن قطعك فإذا فعلت ذلك يدخلك الجنة » . وأحمد بإسناديه أحدهما رواه ثقات عن عقبه بن عامر - رضي الله عنه - قال « لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بقواضل الأعمال فقال يا عقبه : صل من قطعك واحط من حرمك واحف عمن قطعك » وأد الحاكم : « ألا ومن أراد أن يمدني عمره ويسيطر في رزقه فيصل رحمه » والطبراني بسند صحيح به : « ألا أفلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من لقطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن قطعك »<sup>(١)</sup> والطبراني : « إن أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصنع عمن شئت » والبيزار « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات » وفي رواية للطبراني ألا أبشركم بما يشرف الله به البيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تعلم على من جهل عليك وتعفو عمن قطعك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » .

وابن ماجه « أوسع الخير ثوابا البر وصلة الرحم » وأسرع الشر حقوة البغي وقطعة الرحم »<sup>(٢)</sup> والطبراني : « ما من ذنب أجدر أن يمنع لصاحبه العفو في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطعة الرحم والحياة والكذب وإن أعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت بيكوس فجرة فتموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا »<sup>(٣)</sup>

### الباب الرابع والعشرون

#### في بر الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال « سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها ثم قلت ثم أي قال بر الوالدين ، قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله » ومسلم وغيره : « لا يجرى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »<sup>(٤)</sup> ومسلم أفضل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أبايك على الهجرة والجهاد أبتى الأجر من الله تعالى فقال فهل

من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما حي قال فشتني لأمر من الله من نعم قال فوجع من والديك فأحسن صحبتهم وأبو يعنى والطبراني بسند جيد أتى رجل رسول الله ﷺ فدس - من أشتهى الجهاد ولا أفقر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فسال الله في برها مرة فمعت فأنت حرج ومعتز ومجاهد ، والطبراني « يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله - أملك حية قال نعم قال ﷺ : ألزم رجلها فثم الجنة »<sup>(١)</sup> وابن ماجه : « يا رسول الله ما حق الوالدين عني ولتدع قل هم حجتك وتارك . وابن ماجه واللساني واللفظ له والحاكم وصححه : « يا رسول الله أردت أعزو وقد حنت أشتري فقال : هل لك من أم قال نعم قال ألزمها فإن الجنة عند رجلها »<sup>(٢)</sup> . وفي رواية صحيحة : « ألك والدان قال نعم قال ألزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما » . والترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رجلا أتاه فقال عذ إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضيق ذلك الباب أو أحفظه » . وابن حبان في صحيحه « أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن أبي لم ير لي حتى روجي وإنه الآن يأمرني بطلاقها قال . ما أنا بالذي أمرك أن تعق والديك ولا بالذي أمرك أن تطلق زوجتك غير أنك إن شئت حدثت بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة لحافظ على ذلك أو دع قال وأحسب عطاء قال فطلقها »<sup>(٣)</sup> . وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي حدث حسن صحيح عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : كان تحت امرأة أحبها وكان عمر يكرها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ : طلقها . وأحمد بسند صحيح : من مره أن يمد له في عمره ويؤاد في رزقه لغير والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم « من ير والديه طوي له زاد الله في عمره »<sup>(٤)</sup> وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » ، وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر »<sup>(٥)</sup> ، والحاكم وصححه « عفا عن نساء اثنا عشر تعف قساؤكم ويروا أبناءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متصلا فليقبل ذلك محققا كان أو مبطلا فإن لم يعمل لم يرد على الخوص »

(١) الطبراني ٨ / ٣٧٢

(٢) (حسن) ابن ماجه (٢٧٨١) ، واللساني ١١ / ٦ وصحيح الجامع (١٢١٨ - ١٢٤٩)

(٣) صحيح الترمذي ١٩

(٤) صحيح الحاكم ١ / ١٥٤

(٥) (حسن) الترمذي (٢٦٣٩) ، وصحيح الجامع (٧٦٨٧)

(١) مجمع الزوائد ٨ / ١٨٨

(٢) ضعيف جداً ابن ماجه (٤٢١٢) ، وضميف الجامع (٨١٠)

(٣) مجمع الزوائد ٨ / ١٥١

(٤) (صحيح) مسلم (١٥١٠)

والنظر إلى إمامنا حسن : « مروا أبناءكم تركم أسألكم وعصوا تعف ماؤكم » (١)

ومسلم : « رغب الله ثم رغب نفسه ثم رغب أخاه ، أي نصح بالرخاء وهو الثواب من الله ، قيل من يارسل الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلها »

والطبراني بإسناد حسن : « سعد النبي ﷺ للمبشر فقال آمين آمين آمين ثم قال : أفتاني جبرائيل - عليه السلام - فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يخضر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين . « ورواه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال فيه : « ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين ، فقلت آمين ، « ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد : « من أدرك أبويه الكبر حده أو أحدهما فلم يدخل الجنة فأبعده الله قل آمين فقلت آمين . « ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت آمين . وأحمد من طرق أحدهما حسن : من احتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يخضر له فأبعده الله ، زاد في رواية وأسحقه . والشيوخ يارسل الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . والشيخان هن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستغثت رسول الله ﷺ فقلت قدمت على أمي وهي راضية أي عن الإسلام أو فيما عتسى أن أصل أمي قال نعم صلى أمك . « وابن حبان في معصية الوالد أو قال الوالدين معصية الرب ، وفي أخرى لليزار : « رضا الرب من رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالد أو قال الوالدين » (٢) ، وفي رواية للطبراني : طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى لليزار : رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين

والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما : « أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أفتيت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة قال : هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها » (٣) « وأبو داود وابن ماجه » يارسل الله هل بقي من بر أبوي شيء

أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وإعداد عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقتهما . « ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة : قال : لرجل ما أكثر هذا يارسل الله وأطيعه قال فاعمل به . »

ومسلم أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن حبان ففك أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أباهما كان ودودا لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبا البر صلة الولد أهل ود أبيه » (١) . وابن حبان في صحيحه عن أبي برة - رضي الله عنه - قال : قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لما أتيتك قلت لا قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يصل أباه في قبره فيصل إخوان أبيه بسده وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخوان وود فأجبت أن أصل ذلك » (٢) وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة : أن ثلاثة نفر من كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهلهم فأدخلهم لطر حتى أووا إلى غار في الجبل فتنحدرت على فمه صخرة فسدت له فقالوا إنه لا ينجركم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم ، وفي رواية فقال بعضهم ليمض انتظروا أحمالا عثمونها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها ، وفي أخرى فقال بعضهم لبعض على الأثر وقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله فادعوا الله بأوتى أعمالكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أخيق قبلهما أهلا ولا مالا فأبى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ماما فحلبت لهم غبوقهما فوجدتهما باليمن فكرهت أن أخيق قبلهما أهلا أو مالا فلبت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى يرق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الضحرة ففرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ، وفي رواية وفي عية صفاء كنت أرى لفا رحت عليهم فحلبت يداي بوالدي أسقيهما قبل ولدي وإنه نأى بي طلب الشجر يوما فما أتيت حتى أميت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحب فبحثت بالخلاط فماتت عند رؤوسهما أكره أن أو قظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبيبة قبلهما ، والصبيبة يتظاهرون عند قدمي فلم يزل ذلك فأبى رأيهما حتى طلع الصجر فإن كنت تعلم أي قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة يرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عنه عن الزنا بينة عنه والآخر تسببه لخال أخير فاعرجت عنهم كلهم وخرجوا يتماشون . »

(١) (صحيح) مسلم (٢٥٥٢)

(٢) (صحيح) صحيح الجامع (٥٩٠)

٢ مجمع ، ٨ ، ٣٦

(١) مجمع الوالدين ٨ / ٣٨ و ٨١

(٢) مسنن صحيحه



## الباب السادس والعشرون

## في طول الأمل

قال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى ، وأذن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق »

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - أنه أشرف على أهل حمص فقال: ألا تستحون نبتون ما لا تسكبون ، وبأملون ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كانوا قبلكم بؤس شديدًا وجمعوا كثيرًا وأملوا بعدًا فأصبحت مساكنهم فيورا وأمالهم ففروا وجمعهم بورا .

وقال علي بن أبي طالب لعمري - رضي الله عنهما - : إذا أردت أن تلقى صاحبك فارفع قميصك واخصف ثملك واقصر أملك وكل دون الشيخ .

وأوصى آدم لبنته شيث - عليهما السلام - بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده أولها قال له قل لأولادك لا تطمعوا للدين فإني اطمأنت بالجنة الباقية فأخبرني الله منها ، والثاني قل لهم لا تعلوا بهوى نساكنكم فإني عملت بهوى إسرائيل وأكلت من الشجرة فلحقني القنامة ، والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة الأمر لم يصبني ما أصابني ، والرابع إذا اضطربت قلوبكم بشيء فاحتسبوه فإني حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجع للحقن التذم ، والخامس استشيروا في الأمور فإني لو شاورت الملائكة لم يصبني ما أصابني . وقال مجاهد قال لي عبد الله بن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالنساء وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالصباح وخل من حياتك قبل موتك ومن صحبتك قبل مماتك فإني لا تدري ما أسمك هذا . وقال ﷺ لأصحابه : « أريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا : نعم يا رسول الله . قال أقصروا الأمل واستحبوا من الله حق الحياة . قالوا : كلنا نستحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياة ولكن الحياة من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما حوى والرأس وما وعى ومن يشتبه كرامة الآخرة يدع رتبة الدنيا فهناك استحبوا العبد من الله حق الحياة وبها صيب العبد ولاية الله تعالى » . وقال ﷺ : « أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك حرمه بالبخل والأمل » (١)

وروي عن أم المنذر أنها قالت طلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس - استحيوا من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله قال - تجمعون ما لا تأكلون وتأمنون ما لا تدركون - سرب ما لا تسكبون » (٢)

مسك المصابيح ( ٥٢٨١ )

جمعة السادة المتقين ١٠ ٢٣٧

وعن أبي سعيد الخدري قال : « اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليلة جملة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تمجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي بعني بيده ما طرقت عيالي إلا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى أقبض ولا لقد - لقمة إلا طمت أوى لا اسمها حتى أقبض بها من موت ثم قال ياسي آدم إن كنتم تعفلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي بعني بيده إنما توعدون لآمت وما أنتم بمجبرين » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يخرج بهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول : ما يدريني لعني لا أبلفه .

وقيل بينما عيسى - عليه السلام - جالس وشيخ يعمل بمسحاة يشير بها الأرض فقال عيسى : اللهم ائرن من الأمل موصع الشيخ المسحاة واضجع حيث مسحة فقال عيسى اللهم اردد عليه الأمل مقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما إنا عملنا إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالتفت المسحاة واضجعت ثم قلت لي نفس والله لا بد من عيش ما بقيت فقلت إلى مسحاتي .

## الباب السابع والعشرون

## في ملازمة الطاعة وترك الحرام

معنى الطاعة للقيام بمرغبات الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْسُ لِنَفْسِكَ مِنَ الثَّغَايَا ﴾ (١) هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى . وأعلم أن أصل الطاعة العلم بالله والرجاء في الله والمراقبة به ، فإذا تجرد العبد من هذه الخصال لم يدرك حقيقة الإيمان لأنه لا تصح الطاعة لله إلا بعد العلم به والإيمان بوجوده خالقًا عالمًا قادرًا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كذلك شيء وهو السميع البصير .

قال أهرابى لعمري محمد بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم - : هل رأيت الله حين عبده قال لم أكن أعبد من لم أوه قال كيف رأته قال لم تره الأبصار مشهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات مشعرة بالعلامات لا بجوار في الفضليات ذلك الله لا إلا هو رب الأرض والسموات فقال الأهرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته

(١) آية ( ٧٧ ) سورة القصص



روى أن كعب الأحبار قال لو أن من آدم تلقوا من اليقين مقالحة من عظمة الله  
لشوى على الماء والريح . فبجحان من جعل الأقرار بالعجز عن إدراك معرفته إيمانا قد  
النتعم عليه بالمعجز عن ذلك شكره شكرا . قال محمود التوراني .

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ••• غلى له في مثلها يحب الشكر  
فكيف يلبسوخ الشكر إلا بفضلله ••• وإن طالت الأيام وتصل المصير  
إذا من بالمرء هم سرورها ••• وإن من بالمرء أعقبها الأجر  
وما منها إلا لله فيه نعمة ••• تضيق لها الأوهام والبر والبحر

إذا ثبت العلم بالربوبية تعين الإقرار بالعبودية وإذا تقرر الإيمان في القلب وجبت الطاعة  
للرب والإيمان بوعايد وياطين مظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون  
متباينون في منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة والإيمان جامع لهم يقنو حظ كل واحد  
منهم من الموهبة ولكنه من علو المرتبة في الإخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه ، فأما  
الإخلاص فلن لا يطلب للعبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فإن كانت  
الطاعة رجاء للمثوبة وخوفا من العقوبة فلذلك العبد لا يكون كامل الإخلاص فإنه لنفسه سعى .  
روى أنه عليه السلام قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط  
أجر ألم يعمل .

وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير أطاع به وإن أصابته فتة انقلب  
على وجهه خسر السخط والآخره ﴾ (١) وإنما تعبدت علينا وتقدم له من الإحسان إلينا فضلا عن كونه  
أمرا بها ليرتب الحراء عليها فضلا ويجارى من صل عنها عدلا . وأما التوكل فهو الاعتماد على  
الله سبحانه عند الحاجة والاستناد إليه مع الضرورة والثقة به عند المازلة مع سكون النفس  
وطمأنينة القلب فالتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والأسباب تحت حكم الخالق المدير لا  
يركتون لأبياء ولا أبناء ولا أموال ولا منافع بل صرفوا بهديه جميع الأمور إليه ولم يحتفلوا في  
حال من الأحوال إلا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى  
به المقدر ، قال بعض العلماء أقرب الناس إلى الله أرضاهم بما قسم لهم . ومن كلام الحكماء  
رب سره هي الداء ومرص وهو الشفاء كما قال

كم عسى مطوبة ••• لك من أسباب السوء  
وميسرة قسب أفسدت ••• من حيث ترثب المصائب

(١) آية (١١) سورة الحج

فصبر على حـ ••• ن دهرك في الأمور لها عواقب  
ولكل كرب فرج ••• وتكل حـ حصلت خراب  
وحسبنا قول الله عز وجل : ﴿ ومن أن نكرها شيئا وهو خير لـ ﴾ (١)

واعلم أنه لن يستكمل العبد طاعة ربه ألا يرضى الدنيا . وفي بعض الحكم أبلغ المواظع مالم  
يحجبها عن القلب وهذه الحجب إما هي عوارض الدنيا .

ومن كلامهم الدنيا ساحة فاجعلها طاعة ، قال أبو الوليد الباجي :

إذا كنت أعلم علما فيما ••• بأن جميع حوائج كساحة  
مسم لا أكون ضياعها ••• واجعلها في صلاح وطاعة

وقال وجل لرسول الله إن أكره الموت قال : ألك مال قال نعم قال قدم مالك فإن قلب  
المرء عند ماله (٢)

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر في ثلاثة : النطق والنظر والصمت فمن كان متلفعا  
في غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد  
لها . وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة في أحوالها وترك التمتع بذاتها فإن الفكرة تبعث الإرادة  
تعلق النفس بالفكرة .

وليحذر من إرسال النظر فيما لا يحل فإنه سهم صائب وسلطان غالب ، قال - عليه الصلاة  
والسلام - : « النظر سهم من سهام إبليس فمن تركها مخافة الله تعالى أحق به إيمانا يجد طعمه في  
قلبه » (٣) ومن كلام الحكماء من أطلق نظره كثر أسفه . أدمان النظر يكشف الحبر ويضع البصر  
ويطول به الخلل في ستر احتفظ عيبك فانك أن أطلقتها أرفعتك في مكروه وإن ملكتهما ملكك  
سائر جوارحك .

قيل لأفلاطون أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا  
يستقل إلا بهما ولا يتنفس إلا بقوتهما وربما قص أحدهما فنفس الآخر على تعب ومشقة . وقال  
محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوى القول أن ينظر إلى كل ما يسنح له .

رأى بعض الزهاد رجلا يضحك إلى قلام فقال له يا غريب العقل والقلب ويخرب الطرف  
أما تستحي من كرام كاتبين وملائكة حافطين يحفظون الأفعال ويكتبون الأعمال وينظرون إليك

(١) آية (٢١٦) سورة البقرة .

(٢) بحاف السادة ٨ / ١٤٦ ، والمعنى عن حمل الأسفار ٢ / ٢٢٧ .

(٣) صمد ( الحاكم ٤ / ٣٠٤ )

ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغفل الدخيل المحارم الذي أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ونظر من الخلق إليه ، وللقاضي الأرجلي :

تتمتعها يا ناظرى بظفرة •• فأوردتها قلبى أشور السوارد

أعينى كما حسن فؤادى لفته •• من البعى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على - كرم الله - وجهه الميؤن مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدّها صرعة من اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمده ومن اتبع جوارحه نفسه فى بيل لذته فقد أخط عمله وأشدوا .

إذا ما صفت نفس المرء لطاعة •• ولما تشبها للمعاصى شوائب

واتبعها فعل الجوارح كلها •• فتلك عليه أنعم ومواب

نلقته فى دار الخلود كرامة •• إذا جيب للمعاصى سنام وغلوب

قال عبد الله بن المبارك أصل الإيمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج إلى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن احتسب للحارم خرج إلى التوبة ومن أخذ القوات من حله خرج إلى الورع ومن أدى الفرائض صح إسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبهات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالحق زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله .

وروى عن أبي الدرداء أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله أوصنى قال له : « اكتسب طيا واحمل صالحا وصل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى » .

وليحذر من الاعجاب بالعمل فإنه من أعظم الآفات وأحيط الأعمال فإن للعجب بعمله ممتن على ربه وما يدريه أقل منه أم رد عليه رب مصيبة أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت جزا واستكبارا . وليحذر أيضا من الرياء قيل من قوله تعالى : ﴿ وما لهم من الله ما لم يكونوا يحضرون ﴾ (١) قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيئات . وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية قال ويل لأهل الرياء . ونيل أيضا فى قوله تعالى : ﴿ ولا يشرك فى عبادة ربه أحدا ﴾ (٢) ، أى لا يظهر ما رياء ولا يفتخرها حياة .

وروى عن ابن مسعود آخر ما نزل من القرآن : ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كانت تعمل ﴾ (٣) .

(١) - سورة الزمر

(٢) - سورة البقرة

(٣) - سورة البقرة

قال محمد بن بشير :

مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا •• ويومك حلا بالفعال شهيد

فإن تك بالأمس افتقرت إماعة •• فكن بإحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير منك إلى غد •• لعل غدا يأتى ويأتى ففقد

وقال غيره :

وتعجل اللذات بما تشتهي •• وتأمل التوبة فى قاهل

والمسوت يأتى بعد فافغلبة •• ما فكك فعل الحماز العاقل

وقال دلود لسلیمان - عليهما السلام - يبتلى على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم يتل وحسن الرضا فيما تال وحسن الصبر على ما قد فات . وفى بعض الحكم المشهورة من صبر على البلاء وصل إلى الوفاء قال :

عليك بالصبر فإليك نازية •• من الزمان ولا تترك إلى الجزع

وإن تعرضت لك الدنيا بزمته •• فالصبر عنها دليل الخير والورع

فجاهد النفس قبرا فيهما أبدا •• تلقى الذى ترغبه غير محتج

وقال آخر :

الصبر مفتاح ما يرجى •• ولسم يزل فائعا بعين

فاصبر وإن طالت الليالى •• فربما ساعد الحزون

وربما نيل باضطراب •• ما قيل هيهات لا يكون

وقال آخر :

الصبر أوثق عبوة الإيمان •• ومحنة من نزع الشيطان

الصبر فيه عواقب محمودة •• والطيش فيه عواقب الخسران

فإذا لقيت من الرمان ملعة •• وكذلك فى صادة لأرمان

فتدرك الصبر الجميل ثقتنا •• إن التصبر والحد الرضوان

والصبر له فروع صبر على العرائض بالمواظبة عليها بكمالها فى أحب أوقاتها وصبر على

الله ﷻ وجل فأحسنوا الله عليه فقال : « كيف ذكر صاحبكم للموت ، قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فإن صاحبكم ليس هناك » . وقال ابن عمر - رضي الله عنهما - « أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكرم الناس بأمر رسول الله فقال : أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » . وقال الحسن - رحمه الله تعالى - فطبع للموت الدنيا يتركه لدى ذنب فرجا . وقال الربيع بن خثيم ما غالب ينتظره المؤمن حيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحد وسلوى إلى ربي سلا .

وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أخي إحتذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تمنى فيها الموت فلا تحمد . وكان ابن سيرين إذا ذكر هذه الموت مات كل حضيرته : وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيذكر الموت والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جدار ، قال إبراهيم النخعي شتان قطب على لذة الدنيا : ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب بن جوف الموت هانت عليه بمصائب الدنيا وهو معها . وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن فاكلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين ، وقال أشعث كنا ندخل على الحسن لما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت .

وقالت صفية - رضي الله عنها - إن امرأة اشتمت إلى عائشة - رضي الله عنها - فساوة فلبها فضلت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق بينها وجاءت تشكر عائشة - رضي الله عنها - وكان داود - عليه السلام - إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصيبته من الموت حلدا وعليه حزنا ، وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمى فقال أنت أول خليفة قومت قال زعني قال ليس من أبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك ، وكان الربيع بن خثيم قد حضر قبرا إلى طرفة فكان يتم فيه كل يوم مرات يستديم بذلك الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لمسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الأشخير إن هذا الموت قد نفص على أهل النعم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك قال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أنجيين الموت قالت لا فقلت لم عصيت أديما ما اشتهيت لقاء فكيف أحب لقاءه وقد عصيته .

قال أبو موسى التميمي توفيت امرأة العرزدق معرج في حاراتها وحوه البصرة وفيهم الحسن - رضي الله عنه - فقال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا

أصحاب الجار وصبر على الأمراض وصبر على الفقراء والصبر من - وعن الشبهات وعن قبول جميع جوارح البدن وغير ذلك .

### الباب الثامن والعشرون

#### في بيان ذكر الموت

« أكثروا من ذكر هازم اللذات » (١) معناه نفصوا بذكره اللذات حتى يقطع عنها حصر على الله تعالى ، وقال ﷻ : « لو نعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما » . وقالت عائشة رضي الله عنها بأمر رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال بلحجرت في اليوم والليلة عشرين مرة . وإنما سبب هذه الفصيلة كلها أن ذكر الموت ينجي من دار العرور ويتقاضي الاستعداد للآخرة والعطف عن الموت تدعو إلى الانهماك في الآخرة . وقال ﷻ : « تحفة المؤمن الموت » (٢) وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن للمؤمن إذ لا يملكها في هذه من مقامات نفسه وريضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا الإطلاق تحفة في حقه ، وقال ﷻ : « الموت كفارة لكل مسلم » (٣) وأراد بهذا المسلم حقا مصليا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من إلا بالجمعة والصحائر فالموت يطهره منها ويكفره بعد اجتنابه الكبائر وأقامته والمرافض .

« حمل من أصاب من رسول الله ﷺ مجلس قد استعمل فيه الضحك فقال : شويوا » ثم يذبح مكره اللذات قالوا وما مكره اللذات قال الموت » (٤) .

« أسأله رضي الله عنه قال رسول الله ﷻ : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحى الذنوب » (٥) وقال ﷻ : « كفى بالموت مفرقا » (٦) وقال - عليه السلام - : « كفى بالموت مفرقا » . « رسول الله ﷻ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : « اذكروا الله » . « من يذبح يذبح ما أعلم لمحكم قليلا وليكتم كثيرا » (٧) وذكر عند رسول

(١) - (٢٣٠٦) ، وصحيح الجامع ، ١٢١٠

(٢) - خفاء ٢ / ٢٠٦ ، وصحيح الجامع (٤٨١٣)

(٣) - ٣١٩ ، وصحيح الجامع (٢٤٠)

(٤) - ١٢١ ، وصحيح الجامع (٥٩٥٠)

(٥) - (٤٤١٢) ، وصحيح الجامع (٢٤٠٩)

(٦) - ١٣

(٧) - ٣٠٩ ، وصحيح الجامع (٤١٨٥)

(٨) - ٦٤٨٦ - ٦٤٨٧

لله وإن محمداً رسول الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني \* \* \* أشد من القبر الشهاب وأضيقا  
إذا جئت يوم القيامة قائد \* \* \* حنيف وصواق يسوق الفرزدقا  
لقد خاب من أولاد آدم من مشى \* \* \* إلى الدار معلول الفلاة أزرقا  
وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على صاحباتها \* \* \* من منكم المغمور في ظلماتها  
ومن المكرم ومنكم في قمرها \* \* \* قبل ذاق برد الأمن من روحاتها  
أما السكون لدى العميون فواحد \* \* \* لا يستبين الفضل في درجاتها  
لو جابوك لأغبروك بالسن \* \* \* نصف الحقائق بعد من حالاتها  
أما المطيح فنزل في روضه \* \* \* يغشى إلى ما شاء من دوحاتها  
وللمجرم الطافي بهما منقلب \* \* \* في حفرة يأوى إلى حباتها  
وصفارب تسعى إليه فروحه \* \* \* في شدة التعليل من لدناتها  
وقال مالك بن حنبل مررت بالقبيرة فأنشأت أقول :

أنيت القبور فتأديتها \* \* \* فأين للعظم وللحشنة  
وأين الملك سلطانه \* \* \* وأين للزكي إذا ما التفت  
قال فتدبت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

تصانوا جميعاً فما مخبر \* \* \* وماتوا جميعاً ومات الخبر  
نروح وتفسد بنات الشرى \* \* \* فتحمو محاسن تلك الضرر  
ليسا سألني عن أناس مضوا \* \* \* أما لك فيهما ترى معتبر  
وحد مكتوباً على قبر .

تناجيك أجنات وهن صموت \* \* \* ومكاتها تحت القراب غصوت  
أها جامع الدنيا لمسير بلاغة \* \* \* لم تجمع الدنيا وأنت تموت

وقال ابن السماك مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يحر أناريس جنات قبرى \* \* \* كأن أناريس لم يعرفسوس  
دور للبراث يقتسمون مالي \* \* \* وما يألون إن جحدوا حيوس  
وقد أغلوا مشاهمهم وهاشوا \* \* \* فمبالله أسرع مانسوس  
ووجد على قبر مكتوباً :

إن الحبيب من الأحباب مخلص \* \* \* لا يمنع الموت بواب ولا حرس  
فكيف تفرح بالدنيا ولنتها \* \* \* بما من بعد عليه اللفظ والنفس  
أصبحت يا غافلاً في النقص متغيباً \* \* \* وأنت دهرك في اللذات متغمس  
لا يرحم الموت فاجهل لغرته \* \* \* ولا الذي كان منه العلم يقتبس  
كم أغرس الموت في قبر وقت به \* \* \* من الجواب لساقا ما به عرس  
قد كان قصرك مغموراً له شرف \* \* \* فقبرك اليوم في الأجنات مغروس  
ووجد على قبر مكتوباً :

وقفت على الأحبة حين صفت \* \* \* فصورهم كالأسراس الرهان  
فلئن بكيت وفاسد دمعى \* \* \* رأيت حيناً بينهم مكش  
ووجد على قبر طيب مكتوباً :

فقد قلت لما قال لي قائل \* \* \* قد صار لقمان إلى رمله  
فأين من وصف من طيبه \* \* \* وحلقه في الماء مع جبهه  
هبهات لا يدفع عن غيبه \* \* \* من كان لا يدفع عن نفسه  
ووجد على قبر آخر مكتوباً :

يا أيها الناس كيان لي أمل \* \* \* قصير بي عن بلوغه الأجل  
ميسر الله ربه وجل \* \* \* أمكنه في حبياته العمل  
ما أنا وحدي بقلب حيث ترى \* \* \* كل إلى مشله سبقتل

## الباب التاسع والعشرون

## في ذكر السموات والأجناس المختلفة

في أول ما خلق الله جوهره فنظر إليها بنظر الهيبة فلذبت ولترعدت من خوف ربها . ثم نظر إليها بنظر الرحمة فجمد تصعها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد إلى يوم القيامة . وكان عرشه على الماء (١) ثم تلاطم وتخرج وصعدت منه أوحى وارتفع حسب متركما على بعض وكان له زيد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا . يحس الريح فيها عتق به أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ سَوَّيْنَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (٢) قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يحفظها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر متناه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ، ثم نظر تعالى إلى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء في الحديث .

فلقد : بين حماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وخلق كل سماء كذلك ، وقيل أن السماء أشد بياض من اللبن وإنما أحضرت من خضرة جبل فاف واسم تلك السماء رقيقة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماحون والثالثة من نحاس يقال لها مكوت أو هاريون والرابعة من فضة يضاء نكاد نورها يحطط الأبطال واسمها الزهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهره تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها الثلاثية أو الدائمة وفيها البيت المعمور وله أربعة أركان . وكن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة يضاء وركن من ذهب أحمر . وورد أن بيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . . . . . معتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها ، وأفضل طبقات من أهلها لما ذكر ولأنه محل اجتماع العالم .

وعن ابن عباس أفضل السموات هي التي على سقفها عرش الرحمن وهي الكرسي لقربها من ربها . ولأن جميع النجوم المنتجع بها مشته فيها غير السبعة السيارة أما هي فمشته في السموات سبع منهن في السابعة وهو ليوم السبت و مشرى في السادسة وهو ليوم الخميس والريح في السابعة وهو ليوم الثلاثاء والشمس في الرابعة وهو ليوم الأحد والزهرة في الثالثة وهي ليوم الأربعاء و عطارد في الثانية وهو ليوم الأربعاء والقمر في الأولى وهو ليوم الإثنين .

ومن عجيب صنع البارئ تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأسر من سماء ماء فأخرج به من أسرار أصيات والأنهار المختلفة اللون وأعظم كما قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نَعْبُدُ عَلَى بَعْضِ لَيْلٍ ﴾ (١) وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع أن الأصل آدم فساد من أتقى كل شيء خلقه

## الباب الثلاثون

## في بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين

## والأوراق والتوكل

قال الله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢) قيل كرسيه مجاز من علمه وقيل ملكه وقيل القللك المعروف .

روى عن علي - كرم الله وجهه - أن الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه إلا الله تعالى وفي الخبر ما السموات والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقه في فلاة . وأخرج ابن ماجه أن السموات في ثوب الكرسي والكرسي بين يدي العرش

وعن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الستون يعني بها الحجب . وورد أن نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم . والعرش جسم نوراني علوي فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحسن البصري قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهره خضراء وقيل من فرة يضاء وقيل من نور والأولى الإمساك من القطع بحقيقته ويسميه الملوك بالملك التاسع والقللك الأعلى وملك الأفلاك والملك الأطلس أي الخالي من الكواكب إذ كتبها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت في الملك الثامن المسمى بملك البروج وهذا أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف المحفوظات فلا شيء يخرج عن دائرته فهو متبهي علم النبال لا مجال للإدراك ورائه ولا مطالب لطالب معرفته قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تَوَلَّوْاْ فَقَدْ حَسِبْتُمْ أَنَّ إِلَهَ لَكُمْ غَيْرَ اللَّهِ فَاعْلَمُواْ أَنَّ إِلَهَ لَكُمْ وَحْدَهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) وصفه بالمعظم لأنه أعظم للمخلوقات وقد تحقق . بالتوكل كما أمر ولنا معنى في التوارة وغيرها بالتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو . سيد الموحدين ورأس

المعارفين ولا ينافي التوكل الأخذ في الأسباب كما لم يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له ﷺ  
اعربني أعرض عني أم أتركها وأتوكل فقال أعفها وتوكل

وقال ﷺ : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسيا أي جياح  
وتروح بعثانا أي شباها فأشار بقوله تغدو إلى التشبيب .

حكاية : التقى إبراهيم بن أدهم وشقيقه البلخي بمكة فقال له إبراهيم ما بذه أمرك لدى بلحك  
هذا قال مررت ببعض العلوات فرأيت طيرا مكسورا صاحبين فلاة من الأرض فقلت أنظر من أين  
يرزق هذا فعرفت بحذائه فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره حرارة موضعها في منقار الطير المكسور  
الجنائحين فقلت لنفسى إن الذي قبض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت  
التكسب واشتغلت بالعبادة فقال إبراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير  
العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (١)  
ومن علامة المزم أن يطلب أعلى الدرجتين في أمره كلها حتى يبلغ منزل الأبرار فأخذ شقيق  
يبد إبراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق . ثم إذا تسبب الإنسان فليجتهد أن لا ينظر إلى  
أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولا مطمح نظره ويرمي قصده كالسائل بقصد الناس بوجهه في  
بذنه ولا ينظر إليه وإنما ينظر إلى الذي يحطونه . وفي الحديث : من سره أن يكون أخى الناس  
لليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه .

وقد قيل لحليفة المرعشي وكان خلد إبراهيم بن أدهم ما أحبب ما ولئت منه فقال بقيتا في  
طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأرسلنا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا  
حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجلست به فكتب بعد  
البسلة أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ••• أنا جنانع أنا ضائع أنا عاري  
هي ستة وأنا الضمير لنصعها ••• فكن الصمير لنصعها يا باري  
مدحى لغيرك لهب نار غضبتها ••• فاجر عيبك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال أخرج ولا تعلق بلك بعير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك  
فخرجت فأول من لقي كان رجلا على بعلة فاولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما  
لفعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع إلى بعلة فيها مائة دينار ثم لفيت  
ورجلا آخر فسألته عن رآكب البعلة فقال هذا نصراني فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا

(١) (صحيح) البحري (٢٧٠)

نسبها فإنه يجره اسبحة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم بقبله وأسلم  
فائدة : قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا  
فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم  
يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل السموات ومن الأرض من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم  
يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فلما قالوها حملوه فتعدت أقدامهم في الأرض السابعة على  
من الرياح فلما لم تستر أقدامهم على شيء تمسكوا بالعرش ولم يهتروا عن قولهم لا حول ولا  
قوة إلا بالله حيلة أن يقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى بهم حاملون للعرش وهو حاملهم  
والكل محمول بالقدر .

وروى من قال لما أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش  
العظيم سبع مرات كفاء الله تعالى ما أمه صادقا كان بها أو كاذبا وفي رواية كفاء الله ما أمه من  
أمر آخرته وديار .

### الباب الواحد والثلاثون في ترك الدنيا وذهابها

الآيات الواردة في دم الدنيا وأمتنها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على دم الدنيا وحرف الخلق  
عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ولم يحشوا إلا لذلك  
فلا حاجة إلا لإشهاد آيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها .

فقد روى « أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال أنزوني هذه الشاة هينة على أهلها قالوا  
من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده لندنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو  
كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » وقال ﷺ : « الدنيا  
مجنس الملامس وجنة الكافر » (١) وقال رسول الله ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان  
لله منها » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ : « من أحب دنياه أضره بآخرته ومن  
أحب آخرته أضر دنياه فأنزروا ما يقضى على ما يقضى » (٢) . وقال ﷺ : « حب الدنيا رأس كل  
خطيئة » (٣)

(١) (صحيح) مسلم (٢٩٥٦) ، وأحمد ٢ / ١٩٧

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ١٧٤ ، وصحيح الجامع (٥٣٤٠)

(٣) (صحيح) الجامع السادة المختصر ٣ / ١٣١ ، وصحيح الجامع (٧١٨٢) .

وهذا يذكر في أرقم كتاب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فدها بشراب فلقى بهاء وحصل  
دعاه أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه رستوا وما سكنت ثم عاد ويكى حتى طردوا أنهم لا  
يقدر أن يمسكته قال ثم مسح عليه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكتك قال كنت مع رسول  
الله ﷺ فرأيت يده عن يميني ثم أر معه أحد فقلت يا رسول الله ما يدين يدي معك قال  
هذه الدنيا مشئت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقال إنك أن أفلت مني لم يفت مني من  
عندك وقال ﷺ : يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الجنود وهو يسمى لدار العزور (١)

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على منزلة فقال : هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت  
على تلك المنزلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا (٢) وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق  
مثل ذلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها متصير عظاما يالية . وقال ﷺ : إن الدنيا حلوة  
حاضرة وإن الله مستخلفكم فيها فلتنظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت  
نهارها في الحلية والنساء والطيب والثياب (٣) . وقال عيسى - عليه السلام - لا تتحلوا الدنيا ربا  
فتتخذكم عبيدا كثر كنتم عند من لا يضيئه فإن صاحب كنز الدنيا يحلف عليه الآفة وصاحب كنز  
الله لا يحلف عليه الآفة . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا : يا معشر الخواريص إنني قد  
كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تمتصوها بعدى فإن من حيث الدنيا أن عصى الله فيها وأن من  
حب الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها إلا ما هبوا الدنيا ولا تهمروها واعلموا أن أصل كل  
خطئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورث أهلها حرما طويلا . وقال أيضا بطعت لكم الدنيا  
وجلستم على ظهرها فلا يازعكم فيها الملوك والنساء فلا تنزعهم الدنيا فإنهم لن يعمروا لكم ما  
تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فائقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالية ومطلوبة  
فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجمع الموت  
فيأخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ : إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه  
من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها .

وروي أن سليمان بن داود - عليهما السلام - مر في موكبه والطيور تظله والجن والإنس من  
يميه وشماله قال قمر بعدد من سى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد أنأتك الله ملكا عظيما قال  
فسمع سليمان وقال لتسبيحه في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود  
يذهب والتسبيحة تبقى . قال ﷺ : الهالك التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك  
إلا ما أكلت فأفست أو لست فأبليت أو تصدقت فأبقيت . وقال ﷺ : إن الدنيا دبر من لا دار به  
ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا حلم له وعليها يحسد من لا فقه

(٢) المصدر عليه

(١) عباد الله خير من ٨٢

(٣) صحيح مسلم مجلد (٢٧٤٢)

له ولها يسمى من لا يقين له (١) وقال ﷺ : من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء  
والزم الله قلبه أربع خصال : مما لا يتقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفرا لا يبلغ عنه أبدا  
وأعلا لا يبلغ منه أبدا (٢) . وقال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا  
جميعا بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي وأخبرني من أودية المدينة فإذا منزلة فيها  
رؤوس كانت تحرس كحرسكم وتعلم كعلمكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي عظام بلا جلد  
وهذه العنرات هي ألوان أطمعكم اكتسبها من حيث أكسبها ثم قدوها في بطونهم فأنصبت  
والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رءسهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه  
المقام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد فمن كان باقيا على الدنيا فليكن قال  
فما يرحنا حتى اشتد بكلافنا . وروي أن الله عز وجل لما أهدى آدم إلى الأرض قال له ابن لفراميه  
ولد لثفناه . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم - عليه السلام - يادنيا ما أعوتك أهلى  
الأبرار الذين تصنع وتزينت لهم أنى كلفت في قلوبهم بغضك والصلود منك وما خلقت خلقا  
أهون على منك كل شأئك صغير وإلى الفتاة يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوم لأحد  
ولا يدوم لك أحد وإن يخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطمعوني من قلوبهم  
على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندى من الجزاء إذا غدو  
إلى من قبورهم إلا النور يسمى أمامهم والملائكة حالون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي .  
وقال رسول الله ﷺ : الدنيا مودونة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها  
وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكنى يا لا شيء إني لم  
أرضك لهم في الدنيا أرضك لهم اليوم (٣) وروي في أخبار آدم - عليه السلام - أنه لما أكل من  
الشجرة تحركت معدته فخرج الخلل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه  
الشجرة فلذلك نهاها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل  
أى شيء تريد قال آدم أريد أضع ما في بطني من الأذى فليس للملك قل له في أى مكان تريد أن  
تضعه أهلى القرى أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى هنا مكانا  
يصلح لذلك إبط إلى الدنيا . وقال ﷺ : ليبيتن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كحيال نهاية فيؤمر  
بهم إلى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخسون همة من الليل  
فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبو عليه . وقال ﷺ في بعض خطبه : المؤمن بين محافتين بين  
أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد

(١) صحيح أحمد ٦ / ٧١ وصحيح الجامع (٣٠١٢) .

(٢) (مصرع) د ص ٣٢٢ - المعاني لمصرعه (٢٣٦)

(٣) بحار الشريعة ٩٥

من نفسه بعد ذلك . لا أخوته ومن حياته لوته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم  
حسبم للأخرة . من يله ما بعد الموت من مستحب ولا بعد الدنيا من طار إلا الجنة أو النار  
وقال عيسى . لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء  
والنار في إناء واحد . وروى أن جبريل . عليه السلام . قال لنوح . عليه السلام . يا أطول الأنبياء  
عمر ، كيف وجد ربك فقال . عليه السلام . كدلتها بالآخرة من أغلظت من الآخرة  
وقال بيب . عليه السلام . الدنيا فأتها أسحر من عاروت وتاروت . (١) . وهو الحسن قال خرج  
رسول الله ﷺ من مكة على أصحابه فقال هل معكم من يريد أن يذهب الله عنه النعمي ويجعله  
بميرا إلا أنه مر به في الدنيا وطال أملة فيها أعشى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا  
وقصر فيها أملة أمه فله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا أنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم  
لهم الملك إلا بالقتل ولا الثغر ولا الفخر ولا اللجة إلا باتباع الهوى ، إلا فمن أدرك ذلك  
الزمان منكم فحصر على الفقر وهو يقدر على العنى لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله  
ثواب حمسين صدقاً . وروى أن عيسى . عليه السلام . اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما  
فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوجدت حية على حزمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحادثها فإذا  
هو يكف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت بكل شيء مأوى ولم  
تجعل لي مأوى فوخر الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزواجك يوم القيامة مائة حوراء  
خلقتها بيني ولا حصر . عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين  
الزهاد في الدنيا رور عرس الراعي في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم . عليه  
السلام . ويل لأهل الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وفقره ويأمنها ويثق بها وتعلمه ويل  
للمفترون كيف أرغمهم بكرهون وفارهم ما يحبون وجاءهم ما يوحسون ويول من الدنيا همه  
والخطايا عمله كيف يصبح غدا بلذيه .

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى . عليه السلام . يا موسى مالك وللدار الغالين إنها ليست  
لك دار أخرى . ودارها بعقلك فيست الدار هي إلا لامل يعمل فعمت الدار هي يا  
موسى ابن مريم . حتى أخذ منه للمظلوم . وروى أن رسول الله ﷺ : بعث أبا عبيدة بن  
الجارح فدعا . . . سمعت الأنصار يقدم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول  
الله ﷺ فمد يده . . . به انصرف فتمرضوا له فقبض رسول الله ﷺ حين وأهم ثم قال :  
أصكم سمع . . . أقدم بشي قالوا أجل يا رسول الله قال أيشروا وأملوا ما يركم هو الله  
ويعرف حشر . . . ركني أغشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان  
قبلكم فتنبهوا . . . صرغ فتهلككم كما أهلكتكم . وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ

« إن أكثر ما أحاط عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقولوا ما يركم الأرض قال وعسى  
الدنيا » (١) وقال ﷺ : لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا » (٢) فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابتها  
عينا . وقال عمار بن سعيد مر عيسى . عليه السلام . بقرية فإذا أهلها عوتى في الأثنية والطرقي فقال يا  
معشر الجوارين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن خير ذلك لصدفتموا فقالوا يا روح الله  
ودعا أنا لو علمنا خبرهم لسأل الله تعالى فأوحى إليهم إذا كان الليل فناديهم فيجيبونك فلما كان الليل  
أشرف على شجر ، ثم نادى يا أهل القرية فأجابوه مجيب ليبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما  
قصتكم قالوا بنتا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا حب الصبي لأنه إذا أقبلت  
فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لأنهم ملجمون  
بلجم من نار يأبى ملائكة خلاص شداد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم  
أكن منهم فلما نزل بهم المذاب أصابني معهم فأتا معلق على شجر جهنم لا أدري أجرو منها أم  
أكبكت فيها فقال للمسيح للمحاورين لأكل خير الشجر بالمع الجرش وليس المسروح والنوم على  
المزابيل كثير مع عاقبة الدنيا والآخرة . وقال أنس : كتبت ناقة رسول الله ﷺ المصيبة لا تبق لجهاد  
أعرابى بنانة فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ : إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا  
إلا وهبته » (٣) وقال عيسى . عليه السلام . من الشئ بيني على موج البحر فلما تلتكم الدنيا فلا  
تدخلوها ثاررا . وقيل لعيسى . عليه السلام . علمنا علما واحدا يحينا الله عليه قال أبغضوا الدنيا  
يحبككم الله تعالى .

وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبنكم كثيرا ولهانتم  
عليكم الدنيا ولأثرتكم الآخرة (٤) ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى  
المصنعة تخارون وتكون على أنفسكم ولتركتكم أمرالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد  
لكم منه ولكن خيب من قلوبكم ذكر الآخرة الأمل فصارت الدنيا أملك بأهكم وصرم كاللبن لا  
يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة عاقل عاقبت ما لكم لا تحابون ولا  
تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبت سرائركم ولو اجتمعتم على  
الجر لحابستم وأنكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم  
الصبيحة لمن يحب ويعنيه كل أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفنون بغير  
الآخرة وشرها كما توفنون بالدنيا لأثرتكم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم فإن قلتم حب العاجلة

(١) (صحيح البخاري) (٦٤٢٧)

(٢) (صحيح) (الحديث السادة) (٨٧٠٨) . وصحيف جامع (١٩٣٤)

(٣) (الدار لطفي) ٤ / ٣٠٧

(٤) (سبي بحريجة)





هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية بالمصيف مرغل والعارية مردودة . وفي ذلك قيل :

وما المال والأثوث إلا وقفا •• ولا بد يوماً أن ترد الودائع

ورار راسة استجابها فذكروا الدنيا فأنبروا على ذمها فقالت استكنوا عن ذكرها فلو لا موقعها من فؤادكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره . وفي ابن إبراهيم بن آدم كيف أب فقال

نوقع ديننا بتمزيق ديننا •• فلا ديننا يلى ولا ما نرفع

نطوي لمجد أكثر الله ربه •• وجاء بدنيها لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره •• ونال من الدنيا سرورا وأنعمها

كبان بنى بنيانه فأقامه •• فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك صعبا •• أليس مصير ذلك إلى انفصال

وما خنياك إلا مثل في •• أظلك ثم أذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني مع دنياك بأخرتك تريحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا

وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء . . جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر والمؤمن يتزود والمنافق يرمي والكافر يمتنع ، وقال بعضهم الدنيا جيفة فمَن أراد منها شيئا فليصير على معاينة الكلاب وفي ذلك قيل

يا مخاطب ادبها إلى نفسها •• تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تخطب غدا •• قريبا العرس من الماتم

وقال أبو الدرداء من هوأ الدنيا على الله أنه لا يمضي إلا فيها ولا يبال ما عنده إلا بشركه وفي ذلك قيل

إذا امتحن الدنيا لبس تكشف •• له عدو في بيت صديق

ومن أوص

يا رافد يدك سرورا بأوله •• يا الخواث قد يفرغ أسعارا

أفى القسود التي كانت منعصنة •• كسر الجديدين إقبالا وإقبارا

كم قد أهدت صروف الدهر من ملك •• قد كان في الدهر ناعا وضارا

يا من يحاقد دنيا لا لقاء لها •• يصسى ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة •• حتى تعانق في العر دوس أنكسارا

إن كنت تبعى جنان الخلد تسكنها •• فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - لما بعث محمد ﷺ أتت إلي من جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال فكن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وإنما أغدوا عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه وأتلفه في غير حقه وإمسكه عن حقه وألحقه كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي - كرم الله وجهه - يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صرح فيها سقم ومن آمن فيها قدم ومن افتقر فيها حزن ومن استخفى فيها افتتن ، في حلالها الحسد وفي حرامها العقاب وفي متشايبها العتاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب . وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزعجها فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزعجها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا شيمة وهذا تشديد عظيم وبرجوا أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له . وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي - كرم الله وجهه - حيث قال الدنيا والآخرة صرطان فبقدر ما رضى أحدهما تسخط الآخر .

وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أمرن عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذالو ذهبت إلى ذا . وقال رجل للحسن ما تقول في رجل أتاه الله مالا فهو يتصلق منه ويصل منه أبغض له أن يتحش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره

وقال الفصيح لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلال لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أقدرها كما يتقدر أحدكم الخبيرة إذا مر بها أن تصيب ثوبه

وقيل لما قلم عمر - رضى الله عنه - الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة جديده يسلمه ويسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورجله فقال له عمر - رضى الله عنه - يا عبيدة هذا فقال يا أمير المؤمنين ، إن هذا يلعن المقليل . وقال سليمان خذ من الدنيا لبدنك ما تريد . الأخيرة لفطيك ، وقال الحسن والله لقد هددت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بجهنم نسيا . وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا خيعة الأكياس وخيعة الجهال لم يهرطوها حتى خرجوا منها فسألوا الترجعة فلم يرجعوا . وقال لقمان لابنه يا بني إنك استندت الدنيا من يوم برئت واستقلت الأخرة فأتت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها .

وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض لذلك المغبون الذي يلمس بوجهه وهو لا يشعر . وقال عمرو بن العاص على المنبر والله علمايت فوما قط أرحب فيما كان رسول الله ﷺ يهد فيه منكم والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ﴿فَلَا تَتَزَكَّوْا فَمِثْلُ الدُّنْيَا﴾ (١) من قال ذا ناله من خلفها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدين فإن الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على شيء بعب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه حشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بطرف حلالها حساب وحرامها حذاب إن أخله من حله حوسب به وإن أخله من حرام حطب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمعيته في دينه ويحز من معيته في دنياه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك يأخر من كتب عليه الموت فأتى به فاجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالأخرة لم تزل .

وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا دين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم عجبا من يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا من يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا من رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجبا من يعلم أن القدر حق كيف يتعصب .

وقدم على معاوية - رضى الله عنه - رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدته فقال سنات يلاه وسنات رخاء يوم فيوم وثيلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلو لا المولود - حسرتي - لو لا الهالك لصافت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فقره أو أجل حصير ثمعه قال لا أم لك ذلك قال لا حاجة لي بك . وقال داود الطائي - رحمه الله - يا ابن آدم مرحب بوسع أم لك وإنما بلغته بانقضه أجلك ثم سوفت بعملك كان مضته لتعيرك . وقال بشر من - رحمه الله - الدنيا قائما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم عافى الدنيا شيء يترك إلا وقد حصره إليه شيء يملك .

وقال حنبل لا تحرج نفس آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث أنه لم يشبع ما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لم قدم عليه . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالأخرة . وقال ابن خلدون اصطفتنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضها ولا ينهى بعضها بعضها ولا يهتبه الله على هذا فليت شعري أى حذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل من كثير الأثرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها . وقال أيضا إذا أراد الله بعيد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فإذا نفذ أهداه عليه وإذا كان عليه عبد يسط الدين بسطا . وقال محمد بن المنكدر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يعطر وقام الليل لا يتام وتصدق بماله ويجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله خيرا أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صهره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا ضيقة عنه مع اقترافنا من الذنوب . والخطايا . وقال أبو حازم اثبتت مؤنة الدنيا والأخرة فأما مؤنة الأخرة فإني لا أعجز عليها أهواتي وأما مؤنة الدنيا فإني لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا وقوفة بين السماء والأرض كالشئ البالي تنادى ربه من خلفها إلى يوم يصيبها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكني يا لاشيء . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمضى يصل الخير إليه . وقال وهب بن منبه فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه عرف الشيطان من ظله ومن علب علمه هواه فهو القلب . وقيل لشر : مات فلان فقال جمع ادب وذهب إلى الأخرج وضع معه قبل به إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أيوبا من أير فقال وما يمنع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الدنيا . وقيل لحكيم : الدنيا لمن تركها قبل الأخرة لمن هي قال لمن طلبها . وقال حكيم الدنيا دار غراب وأغرب منها قلب من يعمرها وبلغته دار عمران أعمر منها قلب من يطلبها .

وقال الجنيد : كان الشافعي - رحمه الله - من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أعد له في الله وشغفه بالله فقال يا أبا عبيد الله الدنيا دحض منزلة ودار مذلة عمراتها إلى غراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شغلها على الفرقة مؤثرف وفناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إحصار قبيها يزار غامرغ إلى الله وأرض يروق الله لا تتسلف من دار فتلك فإن عيشك في داره رائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك .

وقال إبراهيم بن آدمم أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟ فقال دينار في اليقظة ، بعد كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في دناء والذي لا تحبه في الأخرة كأنك لا تحبه في اليقظة ، وعن اسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون البيت صبا وخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أفصح من هذا لسموها به ، وقال كعب لتحبيب اليكم الدنيا حتى

محبوبها وأهلها . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبسبب غيره قبل أن يدخله وأرصى خالفه قبل أن يلقاه ، وقال أبيه في الدنيا : بلغ من شؤمها أن تمسك لها يدهيك من طاعة الله فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطمىء النار بالنار .

وقال بشار بن خرا وأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في مخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت تيرانها بعش الحرص حتى يصير رماداً ومن أدير عن الدنيا صفت بيرانها فصار سبيكة ذهب يتبع به ومن أقبل على الله أحرقت تيران التوحيد فصار جوهراً لا أحد لقيمه . وقال علي - كرم الله وجهه - إنما الدنيا ستة أشباه مطموم ومشروب وملبوس ومركوب ومتكوح ومشوم فأشرف للمطموحات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف للمشروبات الماء ويستوى فيه البر والعاجر وأشرف للملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات القرس وعليه يقتل الرجل وأشرف المكوحات المرأة وهي مبال في مبال وأن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أن تبع شيء منها وأشرف للمشروبات للسك وهو دم .

### الباب الثاني والثلاثون في ذم الدنيا أيضا

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأجل وتسيان الأجل ولا تركوا إلى الدنيا فيها عذرة قد ترعرت لكم بفرونها وفنتكم بأمانيها وترينت لحاطبها فأصبحت كالعروس للجلية ، اعيون إليها ناظرة والقلوب عليها حاكفة والنفس لها حاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خللت فانتظروا إليها بعين الحقيقة فإنها كثير يوافيها ودمها خالفها جديداً يئس وملكتها يئس وهررها يئس وكثيرها يئس ودها يموت وخيرها يموت . فاستيقظوا ورحمكم الله من غفلتكم وانتهبوا من رقتكم قبل أن يقال فلان حليل أو مدنس ثقيل على النواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعي لك الألباء ولا يرجي لك الشفاء ثم يمال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يقال ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف حسرته وعرف عند ذلك جيبتك وتتابع أينك وثبت يديك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتدلج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانترعت نفسك من الأعضاء ثم هرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتافك ففسلوك وكفتوك فاقطع عرارك واستراح

حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرثيتهم بأعمالك .

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بدم الدنيا وقتلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع أفة تعدو على ماله فتحتاجه " أو على جسمه فتعرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواهد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تعجبه بشيء هو ضنين به بين أحيائه بالدنيا أحق بالقلم وهي الأحدة ما تعطى الراجعة فيما تهب ، بيتا هي تضحك صاحبها إذا أضحكته منه غيره وبيتا هي تبكي له إذا أبكت عليه

وبينا هي تبسط كفها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد الحاج على رأس صاحبها اليوم وتغفره في التراب غدا سواء عليها ذهب ما ذهب وبقاء ما بقى تهجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى لكل من كل بدلا .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا دار ظن ليست دار أقامة وإنما أنزل آدم - عليه السلام - من الجنة إليها عقوبة فاحذر لها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والغي منها فقرأ لها في كل حين فتقول ذلك من أحزها وتمقر من جمعتها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حشفة فكن فيها كالمدأوى جراحه كحتمى قلبا مخالفة ما يكره طويلا وصبر على شدة الدواء مخالفة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدرة الخنزلة الملهمة التي ترينت بخدعها وفتت بفرونها وحلت بأمانيها ، وسوقت بخطابها فأصبحت كالعروس للجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفس لها حاشقة وهي لأرواجها كلهم قالية لا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا المعارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر فعاثق لها قد ظفر منها بحاجته فاهتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها قلبه حتى رلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وناله وحسرات الموت بهضته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد ولدم على غير مهاد فاحذر لها يا أمير المؤمنين ، وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه إلى مكروه الضار في أهلها غار والافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسروها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدير ولا يدرى ما هو أت فينظر أمانيها كاذبة وأملها باطلة وصغرها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر أن عقل ونظر فهو من السماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخائف لم يخبر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكائن الدنيا قد أيقظت النائم وبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها راجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل شأوه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرخت على سبيك ففكها بفتاحها وخزانتها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأي أن يقبلها أذكره بخالط على أمره أو يحب ما أبغضه خالفه أو يرفع ما وضعه مليكه ، فزواها عن الصالحين اختبأوا وبسطها لأعدائه

[illegible][illegible][illegible][illegible]

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

[illegible][illegible]

المحرى حتى يتسهي إلى الغيبة وكتم عسى أن يبقى من له يوم الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يدرجها فلا يجرعوا لئلا يسها وصرائها فإنه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعماته فإنه إلى روال ، - هجيت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمفول عنه ، وقال محمد بن الحسين لما علم أهل العسل بيلهم والمعرفة والآداب أن الله عز وجل قد أحسن الدنيا وأنه لم يرخصها لأولياته وأنها عده حضرة دليمة ، وأن رسول الله ﷺ رهد فيها وحذر أصحابه لئلا ياكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي ليسوا من التيب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها الآخرة وإلى الآخرة بأنها باقية فترو ودوا من الدنيا كزار الراكب فخرىوا الدنيا وعصروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلا ونعموا طويلا كل حلك يتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكروه ما كره لهم .

### أبواب الثالث والثلاثون

#### في فضل القناعة

اعلم أنه ينبغي أن يكون الفقير قائما متقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتبع بقلوب الضرورة من المطعم والملبس والسكن ، ويقتصر على أقله قدره وأخسه نزعاً ويرد أمله إلى يومه أو سهره ولا شغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمله فإنه عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكبات المنكرات المخرقة للمروءات ، وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يفتى بهما ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (١) وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله ﷺ إذا أوصى إليه أياء يملأها ما أوصى إليه ، فحينئذ دات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ، وإن كان له الثمان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو برامة ثم رفعت وحفظ منها وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم وادي من مال لحنى وادي ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب وقال ﷺ : « مهوم مهوم لا يشبعان مهوم العلم ومهوم المال » ، وقال ﷺ : « يهرم ابن آدم

(١) (صحيح أحمد ٤ / ٣٦٨ ، والترمذي ٢٣٣٧)

ويشيب معه اتئان الأمل وحب المال أو كما قال » (١) ولما كانت هذه جبلة للأدعي مضلة وغريزة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة ، فذكر ﷺ : « ما من أحد فقير ولا عس إلا واد يوم القيامة أنه كان أوليه قوتا في الدنيا » ، وقال ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ألما الذي غنى النفس » (٢) . ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ﷺ : « أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة »

وروى أن موسى - عليه السلام - سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم ، أعطيتهم قال فأبهم أحدك قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس تنث في روعي أن نسا لن نموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فمليك برغيث وكواز من ماء وعلى الدنيا الدمار » . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « كن ورعا تكن أعبد الناس . وكن قنعا تكن أشكر الناس » ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع ، فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عطني وأرج فقال : « إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحنن بعثت تعتذر منه غذا واجمع اليأس عما في أيدي الناس » . وقال خوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فيسطنأ أيلينا فيبايعناه فقال قائل منا قد بايعتك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض أولئك الثغر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يتأوله إياه . وقال عمرو - رضي الله عنه - إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وأنه من يأس عما في أيدي الناس استثنى عنهم ، وقيل لبعض الحكماء ما الفناء قال قلة نيك ورغبتك بما يملكك وفي ذلك قيل :

المعيش ساعيات تمر ••• وخطوب أيام تكرر  
اقبح بعيشك ترغبه ••• وأترك هواك تعيش حمر  
ملرب حاتف سافه ••• ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يمل الخبز اليأس بماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ، وقال صبيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ، وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك يتأدى يا ابن آدم قليل يكفك خير من كثير يطعك ، وقال سميط بن صجلان

(١) (صحيح أحمد ٣ / ١٩٢ ، والترمذي ٢٣٣٩)

(٢) (صحيح البخاري ٦٤٤٦ ، ومسلم ١٠٥١)

١٠٨ يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار ، وقيل الحكيم ما مالك قال انتجمل في الظاهر  
١٠٩ في الباطن واليأس مما في أيدي الناس .

١٠٩ يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها إلا القوت  
١١٠ صبتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود إذا  
١١١ حركم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فلانما يأتيه  
١١٢ من الرزق أو ما ورقي .

١١٢ كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رفعت  
١١٣ مني إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت ، وقيل لبعض الحكماء أي  
١١٤ أسير للعقل وأبها شيء أصون على دفع الحزن ، فقال أسرها ما قدم من صالح العمل  
١١٥ وأبها له على دفع الحزن الرضا بمحتم القضاء ، وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما  
١١٦ دواهم عيشا الفئوع وأصبرهم على الأذى الغريص إذا طمع وأخفهم عيشا أنفسهم  
١١٧ الدنيا وأعظمهم تنامة العالم المفرط وفي ذلك قيل :

أرقه يسأل فتى أمسى على ثقة \* \* \* إن الذي قسم الأرزاق يوزقه  
١١٨ فالعرض منه مصبون لا يلدسه \* \* \* والوجه منه جليل ليس يخلقه  
١١٩ إن القساعة من يحلل بساحتها \* \* \* لم يلق في دهره شيئا يوزقه  
١٢٠ ولد قيل أيضا :

١٢٠ حتى متى قفا في حل وترحال \* \* \* وطبول سمى وإدبار وأقبال  
١٢١ فالزح الفلر لا انفك مغتريا \* \* \* عن الأحبة لا يندرون ما حالي  
١٢٢ في الأرض طيرا ثم مغتريا \* \* \* لا يخطر الموت من حرمي على يالي  
١٢٣ فتمت آتاني الرزق في دعة \* \* \* إن الفئوع الغنى لا كسرة المال

١٢٤ قال عمر - رضي الله عنه - ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى ، حلتان لشعائي  
١٢٥ الم ، وب يسعني من الظهر لحبي وعصري وفروني بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست  
١٢٦ هم ولا بأوصعهم هو الله ما يرى أبجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة  
١٢٧ الحمية التي تحب القناعة بها . وعاتب أمراي أخاه على الحرص ، فقال يا أخي أنت طالب  
١٢٨ - يطلبك من لا تعرفه وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت  
١٢٩ فأت عنه كأنك يا أخي لم تر حرصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل :

١٠٩ أراك مزبدك الإثراء حرصا \* \* \* على الدنيا كذلك لا تحسوت  
١١٠ فهل لك ضاجة إن صرت يوما \* \* \* إليها قلت حسبي قد وضعت

١١٠ وقال الشعبي حكى أن رجلا صادا قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال اغضبك وأكلك قالت  
١١١ وأبها ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ونكر أعينك ثلاث حصال من خير لك من أكلتي ، أما  
١١٢ واحدة فأعلمتك وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فإذا صرت على  
١١٣ الجبل قال هات الأولى قالت لا تلغض علي ما ماتك مغلها فلما صارت على الشجرة قال هات  
١١٤ الثانية ، قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقي لو  
١١٥ فبهتني لأخرجت من حوصلي دوتين زنة كل حرة عشرون مثقالا قال فعض على شغيفه ونهف ،  
١١٦ وقال هات الثالثة قالت أنت قد سبت انتسب فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلغض علي ما  
١١٧ فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون مثقالا فكيف يكون في حوصلي  
١١٨ درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت مضت . وهذا مثال لفرط طمع الأدمى فإنه يعميه  
١١٩ من ذك الحقد حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون .

١٢٠ وقال ابن السماك أن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج  
١٢١ القيد من رجلك ، وقال أبو محمد الميزي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوبة فيها  
١٢٢ بالدعبل فلم راني تيسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين ، قال نعم وجدت هذين البيتين في  
١٢٣ بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأتسنى :

١٢٤ إذا سد باب عنك من دون حاجة \* \* \* فلهما لا تحسري يفتح لك بابها  
١٢٥ فإن قراب البطن يكفيك ملؤه \* \* \* ويكفيك موات الأمور اجتنابها  
١٢٦ ولا تك مبدلا لمرضك واجتنب \* \* \* ركوب المعاصي يجتنيك عقابها

١٢٧ وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يلعب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها ،  
١٢٨ قال الطمع وشراء النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للمفضل مري قول كعب ، وقال يطمع  
١٢٩ الرحمن في الشيء يطمع فيذهب عليه دبه وأما الشره وشراء النفس في هذا وفي هذا ، حتى لا تحب  
١٣٠ أن يعوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قصاها لك حرم أنفك وقادك حيث  
١٣١ شاء وأستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعذته إذا مرض لم  
١٣٢ تسلم عليه الله عز وجل ولم تعدد الله قلوب لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك .

## الباب الرابع والثلاثون

## في فصل العقراء

قال ﷺ : خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تضرعا في الجنة ضعفاؤها <sup>(١)</sup> . وقال ﷺ : إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاذ <sup>(٢)</sup> . وروى أن حبرين عبد السلام سأل علي رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويعبر أحب أن أحصل هذه الحبال ذهبا وتكون معك أيما كنت ؟ فأتى رسول الله ﷺ ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا طوله وماله من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثالث .

وروى أن المسيح - عليه السلام - مر في سمعته برجل نام ملتف في عبادة فأيقظه ، وقال يا نائم قم فادكر الله تعالى فقال ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم اذا ما حببتي ، ومر موسى - عليه السلام - برجل نام على التراب ولحم رأسه لينة ووجهه ولحيته في التراب وهو مترو بعبادة فقال يا رب حببتك هذا في الدنيا ضائع ، فلو حي الله تعالى إليه يا موسى أما علمت إني اذا سطرت إلى عبد بوجهي كله رويت عنه الدنيا كلها .

وقال ﷺ : الفقر أربعين بالمؤمن من العطار الحسن على عهد الفرس <sup>(٣)</sup> . وقال ﷺ : من أصبح مكم معافى في جسمه أما في سره عبده فوت يومه فكأن حيزت له الدنيا بعد عمرها . وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى - عليه السلام - اذا رأيت العقر مقبلا فقل مرحبا بشمار الصالحين . وقال عطاء الخراساني مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا برجل بهطاد حينا ، فقال باسم الله والقي الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان والقي الشبكة فخرج فيها من الحيتان ما كان يتفاحس من كثرتها ، فقال النبي ﷺ يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشعوا لعبدى عن منزليهم ، ولما ولى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهرا قال وضيت يارب . وقال نبينا ﷺ : اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء . وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار قتل ما شأنهم فليل شغلهم الأحمران الذهب والزعفران <sup>(٤)</sup> .

وقال ﷺ : تحفة المؤمن في الدنيا الفقراء <sup>(٥)</sup> . وفي الخبر : آخر الأغنياء دخول الجنة سليمان

بن داود - عليهما السلام - فكان ملكه وآخر أصحابه دخلا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه ، وفي حديث آخر رأته دخل الجنة زحما . وقال المسيح - عليه السلام - بشدة يدخل النسي الحنة . وفي خبر آخر عن أهل البيت - رضي الله عنهم - أنه ﷺ قال إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا . وفي الخبر إذا رأيت فقرا مثيلا فقل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته . وقال موسى - عليه السلام - يارب من أحبائك من خلقت حتى أحبهم لأجلك فقل كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الفقر . وقال المسيح عليه السلام أتى لأحب للسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسامي إليه - صلوات الله عليه - إن يقال له يامسكين ، ولما قلت سادات العرب وأغياؤهم للنبي ﷺ اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا تحي ويحيو إليك ولا يجيئون يحنو بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأي ذو غيابة من الأوت وهمار بن ياسر وأي هيرة وأصحاب الصفة من الفقراء - رضي الله عنهم - أجمعين ، أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا إليه التادي براتعتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرتوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الأغنياء ، منهم الأقرع بن حابس التميمي وعبيدة بن حصن المراري وعبيد بن مرداس السلم وغيرهم فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وليأمرهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ﴾ يعني الفقراء ﴿ تريد ربة الحياة الدني ﴾ يعني الأغنياء ﴿ ولا تطع من أغفل قلبه عن ذكرنا ﴾ <sup>(١)</sup> يعني الأغنياء ﴿ وفي الحق من ربكم لعرض فليؤم ومن شاء فليؤم ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجز من أشرب فريش مشق ذلك على النبي ﷺ فأمر الله تعالى ﴿ عسى ونولي ﴾ أن جاءه الأعشى . وما يتربك لله بركي <sup>(٣)</sup> أو يذكر فضله الذكرى <sup>(٤)</sup> أما من سطن <sup>(٥)</sup> فأنت له تصدى <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> يد من عد الشريف

وقال - عليه السلام - : أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة . وقال ﷺ : دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ومطرت من أعلاها فردا فقراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضر بهن الأحمران الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتبعوا بطول الحساب وتفقدت صحابى دم أر عبد الرحمن بن عوف ثم

(٢) آية (٢٩) سورة النكهة

(١) آية (٢٨) سورة النكهة

(٣) آية (٦) سورة عب

(١) تحف الدود ٩٧٥ - وصيه ٥٦٧ (٢) (موضح) نزهة التنجدة ١٨٢ / ٢

(٣) صعب ، الطوسي ٧ ٣٤٣ - صعب جامع (١٠٢٩)

(٤) (صحيح) البخاري (٣٧١)

(٥) سبق تخريجه



جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقالت ما خلفك عني ، قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت أنني لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بعالي ، فانتظر إلى هذا وحيد الرحمن صاحب السابغة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل بيته وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استنصر بالغنى ، إلى هذا الحد ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال ﷺ : ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أعبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . (١) وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاء فقال عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قلت نعم يا بني أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف باب فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أدخل فقلت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله ؟ قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على إلا عيادة قال استنص بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته كيف يرأسى فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتاه كيف أصبحت ثالث أصبحت والله وجعة وذخني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام أكله فقد أضرم من الجوع فبكى رسول الله وقال لا تجزعى يا ابتاه مو الله ما فقت طعاماً منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن أثرت الآخرة على الدنيا ، ثم هرب بيده على متكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة ، قالت فأبى أسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال أمية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من نصب لا أذى فيها ولا ضغب ولا نصب ، ثم قال لها اتعنى بأبن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة .

وروي عن علي - كرم الله وجهه - أن رسول الله ﷺ قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم وماهم الله بأومع خصال ، بالتمسك من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولائ الأحكام ، والشركة من الأعداء . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ذو الدرهمين أشد حبساً أو قال حبساً من ذي الدرهم . ولوسل عمر - رضي الله عنه - إلى سعيد بن عامر بألف دينار فحار حرياً كنيب فعالت ، أمر أنه أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أربى ذرعك الخلق فشفه وجعله صريراً ومرفه ثم قام يصلى إلى القبلة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيسترح .

وقيل جاء فقير إلى مجلس الثوري - رحمه الله - فدل له تحيط لو كنت غنيا لما قربتك وكان لأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تفرقه للفقراء وحرمانه من الأغنياء ، وقال المؤمن ما رأيت العس أدن منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعض منه في مجلس الثوري - رحمه الله - . وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خالف من الذر كما يخالف من العفر لشجا منها جميعاً ولو رغب في الجنة كما يرغب في الفنى لمار بهما جميعاً ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً . وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالعتى وأهان بالفقر . وقال لقمان - عليه السلام - لا تهقرن أحداً خلقان ثيابه فإن ريك وربه واحد . وقال يحيى ابن معاذ حيك للفقراء من أخلاق المرسلين وإتارك مجالستهم من علامة المنافقين . وفي الأخبار عن الكتب السالفة ، أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه - عليهم السلام - أحذر أن أمتك تنسقط من عيني فأصعب عليك الدنيا صبا . ولقد كتبت عائشة - رضي الله عنها - ترق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وأن درهما لم يرق ، وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تقطرين عليه وكانت صائمة ، فقالت لو ذكرتنى لعلت وكان قد أوصاه رسول الله ﷺ وقال : إن أردت اللعوق بين فعليك بعيش الفقراء وإليك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى ذرعك حتى ترقعيه . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ، لا أفعل ذلك أبداً - رضي الله عنه - . وقال رسول الله ﷺ : طوبى لمن عدى إلى الإسلام وكان عيشه كعادنا وقنع به . (١) وقال ﷺ : يا معشر الفقراء أطعوا الله الرضا من قلوبكم تظهروا بشواب فقركم . (٢) ، والإدلاء فالأول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بفهمه أن الخريص لا ثواب له على فقره ، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتى تحقيقه فلمل المراد الرضا هو الكرامة لفعل الله في حبس الدنيا عنه وروى راضٍ في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر .

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة للمسكين والفقراء لعبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة » (٣) الفقير القانع برقه الراضى عن الله تعالى . وقال ﷺ : اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا ، وقال « ما من أحد غنى ولا فقر إلا وديوم القيامة أنه كان أوتى قوتاً في الدنيا » . وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل - عليه السلام - اطلبى عند المنكسرة قلوبهم ، قال ومن هم قال الفقراء الصادقون . وقال ﷺ : « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً » (٤) وقال ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقى

(١) صحيح أحمد ٦ / ١٩ ، وفتح مكي (٢٣٤٩) . (٢) انجاف السادة ٩ / ٢٨٣

(٣) موضوع (انجاف السادة ٩ / ٢٨٣) ، وضعيف الجامع (٤٧٣١)

(٤) انجاف السادة ٩ / ٢٨٣

منه ، الملائكة ومن هم يارثنا فيقول فقراء المسلمين القانعون لصنادي الراضون بقدرى أذخروهم الحمة ، فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون . فهذا في القانع والراضى وأما الراشد فيستذكر فضله إن شاء الله تعالى .

وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ، ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع ، وقد قال عمر - رضي الله عنه - إن الطمع فقر والياس غنى وأنه من يشرب حما في أيدي الناس وقع استمعى عنهم ، وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - ما من يوم إلا ومثل ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطعميك . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ما من أحد وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دابان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما يتبع مال يزيد وعمر ينقص . وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قللة لميك ورضاك بما يكفيك . وقيل كان إبراهيم بن أحمد من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض جلسائه إذا قام فجتني به ، فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم لها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعته قال نعم قال ثم تحت طيبا قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تنفع بهذا القدر . ومرو رجل يعاصر بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً ويقال فقال له يا عبد الله أوصيت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا هو رضا عن الأخرة . وكان محمد بن واسع - رحمه الله عليه - يخرج خبزاً باباً فيبله بللاً ويأكله يملح ويقوم من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقوام أقسم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ : ﴿ وَلِي السَّعَاءُ بِذُنُوبِكُمْ وَمَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فَوَدَّ السَّعَاءُ وَالْأَوْخِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿ ١٦ 〉 الآية . . وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يوماً جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له أجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هبة ولا سفة ، فقال يا هذه إن بين أيدينا عتبة كؤود لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راغبة . وقال فولتون - رحمه الله - أقرب الناس إلى الكفر ذو قاعة لا صبر له . وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال اتجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس عما في أيدي الناس .

ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب للسلف المنة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن منها إلا القوت فإذا أنا أعطيت منها القوت وجعلت حسابها على خيرك فإنا محسن إليك وقد قيل في القناعة

إصرع إلى الله لا تنصرع إلى الناس ••• وافتنع بياس فإن العز في اليأس

واستغن عن ذي قريب وذي رحم ••• إن الغنى من استغنى عن الناس وقد قيل في هذا المعنى أيضا :

يا جامعاً صانعاً والهدى يرمقه ••• مقدراً أي باب منه يخلقه  
مفكراً كنهف تأتيه منيته ••• اقتضاه أم بهت يسهر فتطرقة  
جمعت ما لا يقل لي هل جمعت له ••• يا جامع المال أهاما تفرقه  
المال عنك مخزون لوارثه ••• ما المال مالك إلا يوم تنفقه  
أرفه يسأل فتى يشكو على ثقة ••• إن الذي قسم الأرزاق يورقه  
فالعرض منه مصون ما يدنس ••• والوجه منه جليل ليس يخلقه  
إن القناعة من يحل بإحتها ••• لم يلق في ظلها هما يورقه

### الباب الخامس والثلاثون

في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى

وفي بيان العورات

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَعِمَّ الثَّارُ ﴾ (١) الآية . . قال بعض المفسرين أجمع أهل الأمة على أن الركوب مطلق الميل والركون يسرا أو كسرا . وعن عكرمة لا تصطنعوهم . والظاهر من الآية عموم النهي عن الركوب إلى المشركين وفسقة المسلمين . وقال النيسابوري في تفسيره قال المحققون الركوب المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو ترخيص طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من أبواب المظالم فأما مدخلتهم لدفع شيء من الضرر أو اجتلاب منعة عاجلة فغير داخل في الركوب . قال وأقول هذا من طريق المعاش والمروعة ومقتضى التقوى هو الاحتساب معهم بالكلية ﴿ أَلَسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (٢) قلت ولقد صدق فحسم مادة الركوب إليهم أولى سيما في هذه الأزمان التي لا يمكن فيها إتكاف المنكر والأمر بالمعروف مع ما في الركوب إليهم من الضرر والغرور وإذا كان حال الميل في الجملة لمن وجد منه ظلم ما في الإفضاء إلى عسائس النار هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ، ويلقى شرا شرا على مؤاستهم ومعاشرتهم ويتتهج بالتزين بزيهم ويعد عيبه إلى

زهرتهم المانية ويعطيهم بما أوتوا من المقطوف الدانية وهو في الحقيقة من الجنة طفيف ومن جنتاح المعوضة بمنزل من أن يميل إليه القلوب ويضعف الطالب والمطلوب . قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » . (١)

وروى : مثل الجاني للمتلح مثل جانيك للمسك إن لم يملك أصابك من ربحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكبر إن لم يحرقك أصابك من دغائه قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين اتبعوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخدت بيتاً ﴾ (٢) الآية . وقال ﷺ : من عظم غيب لغناه فقد ذهب ثلث دينه . وقال ﷺ : إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتر لذلك العرش ، وقال الله تعالى . ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ (٣) يسي في عرصات القيامة ، وقد اختلف المفسرون في تعيين الإمام الذي يدعى كل أناس به فقال أبو عباس وغيره أنه كتاب كل إنسان الذي فيه عمله أي يدعى كل إنسان بكتاب عمله ويؤدي هذا قوله تعالى . ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ (٤) الآية وقال ابن زيد : الإمام هو الكتاب المنزل فيقال بأهل التوراة بأهل الإنجيل بأهل القرآن وقال مجاهد وقطادة إمامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد ﷺ وعليهم . وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المراد بالإمام إمام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بإمامهم الذي كانوا يأثمون بأمره ويتبعون بنيه . وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل خافز لواء فيقال هذه خدوة فلان ابن فلان .

وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ في تفسيره هذه الآية يدعى أحدهم ليطي كتابه يمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعاً ويبقى وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فيطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم اتتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل وجل منكم مثل هذه . وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعاً على صورة آدم وليس تاجاً من شوك فيراه أصحابه فيقولون يعود بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا ، قال فيأتيهم فيقولون اللهم آخره فيقول أبعذك الله من لكل رجل منكم مثل هذا . وقال الله تعالى ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ (٥) وأخرجت الأرض أنهارها ﴿ إلى آخر السورة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الأموات والدفائن . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ (٦) قال أتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال فلان أخبرها أن تشهد على كل

بعد وأمه بكل عمل عمل على ظهره . وعن رسول الله ﷺ أنه قال تحفظوا من الأرض فإنها أمكم وأنه ليس من أحد عامل عليها غيراً أو شراً إلا وهي مغيرة . . . أخرجه الطبراني .

### الباب السادس والثلاثون

#### في النسخ والفزع والحشر من العقاب

قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحتى الجبهة وأصغى بالآذن ينتظر متى يؤمر فينسخ » (١) قد مقادير الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل - عليه السلام - وأصبح فاه على القرن كهية البوق وفاترة وأمس القرن كعرش السموات والأرض وهي شائخص بيصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينسخ النسخة الأولى فإذا نفع صقع من في السموات ومن في الأرض . أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يبلث الخلق بعد النسخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحى الله إسرائيل فأمره أن ينسخ النسخة فذلك قوله تعالى . ﴿ ثم نفيخ فيه نفخاً آخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٢) على أرجلهم ينظرون إلى البعث ، وقال ﷺ . حين يبعث أئمة أصحاب الصور فأهوى به إلى فيه ، وقدم وجلاً وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر والنسخ لا فاتوا النسخة فتفكر في الخلق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الاتبعات خوفاً من هذه للصعقة وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقوة وأنت فيما بينهم مكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من المترفين والأعتياء المنتعشين فملوك الأرض في ذلك اليوم أدل أهل أرض الجميع وأصغرهم وأحقهم يوطون بالأقدام مثل الدرر بعد ذلك تقبل الوحوش في البراري والجبال منكسة رؤوسها محتالطة بالخلات بعد توحشها ذليلة ليوم الشور من غير خطيئة تلذست بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهو النسخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى . ﴿ وإذا الفجر فحشرنا ﴾ (٣) ثم أنبلت الشياطين والمردة بعد فمردعها وعنتها وأدعت حاشمها من هيئة العرعر على الله تعالى تصديقاً لقوله : ﴿ ففوجك فنحشرهم والشياطين ثم نحبسهم بحول جهنم جهنماً ﴾ (٤) لتفكر في حالك وحال قلبك هنالك .

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والشور حفاة عراة لا إلى أرض المحشر أرض يبشاه قاع صصيف لا ترى فيها عوجاً ، ولا ترى عليها ريوحة يحتمى الإنسان ورامعاً ولا وهذه يحفض عن

(١) (حسن) - رمدي (٢٤٣١) - أحمد - ٣٢٦ - (٢) به (٦٨) سورة الزمر

(٣) به ٥ - سورة التكاوير (٤) به (٦٨) سورة مريم .

(١) (حسن) - الترمذي (٢٣٧٨) .

(٣) به (٧١١) سورة الإسراء

(٥) به (١-٢) سورة الزلزلة .

(٢) آية (٤١) سورة التكاوير

(٤) آية (١٩) سورة الحاقة

(٦) آية (٤) سورة الزلزلة

الأعين فيها ، هو صعيد واحد بسيط لا تقابوت فيه يساقون عليه زمرا ومرا ، فسبحان من جمع الخلاق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذا ساقهم بالراجعة تتيها الرائدة والراجعة هي النعمة الأولى والرادة هي الثانية . وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجعة وتلك الأبيصار أن تكون حاشية . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ (١) قال ابن عباس يراد فيها ويمص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وقد مد الأديم للعكاظي أرض يغشاها مثل النعص لم يسمك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدة فزائه إذا اجتمع الخلاق على هذا الصعيد تآثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلت الأرض لعمود سراجها فينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وتشتت مع غلظتها وشدها خمسمائة عام وللاثقة قيام على حافاتها وأرجائها ، فياهول صوت انشاقها في سمعك وبها هبة يوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدها ثم تنهار وتسيل كالفضة اللذابة تخالطها صفرة فصارت وودة كالدخان وصارت السماء كالمهل وصارت اجيال كالعهن ، وانتشرت الناس كالفرش الميثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله ﷺ : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألبسهم للعرق ويبلغ شعور الأذان » (٢) . قالت سورة زوج النبي ﷺ رواية الحديث قلت يا رسول الله واسرائاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم : ﴿ لَكُلٌّ أَمْرٌ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّ نَفْسَهُ ﴾ (٣) فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والإثفات ، كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الإكثفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف وكيانا ومشاة وحلى وجوههم ، فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قالوا على أن يمشيهم على وجوههم » (٤) .

في طبع الأدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على يطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل ، والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فهلك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة ، لكنت قد أنكارا لها فاحضر في قبلك صورته وأنت واقف عاريا مكسوبا دليلا مسحورا متحررا مبهوتا متظرا لما يجري عليك من

القصد بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة . ثم تفكر في ازدحام الخلاق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشترقت عليهم الشمس وقد تصاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدبت من رؤوس المالمين كغلاب قورسين ، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستقلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضجى لحر الشمس قد صهرته بحرهما وأشدت كربه وضحه من وهجه ثم تذاقت الخلاق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام والنضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاحتزاء عند العرض على جبار السماء ، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سأل على صعيد القيامة ، ثم ارتفع على أقدامهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يقبض فيه .

قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ يوم يقوم الناس لرب المالمين حتى يغيث أحدهم في رشفه إلى أنصاف أذنيه . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ أذانهم . . كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح . وفي حديث آخر قياما شاحمة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب . وقال عتبة بن عامر قال رسول الله ﷺ تندو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس من الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خباصرته ومنهم من يبلغ فاه ، وأشار بيده فألجمها فاه ، ومنهم من يغطي العرق ويحرب بيده على رأسه هكذا . فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب ارحمني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرج من العتب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف وبهي عن منكر ، فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة يطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمنا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته طريقه ملته

\*\*\*

(١) ب (٤٨) ، سورة إبراهيم

(٢) (صحيح) إمامكم ٥٦٤ / ٤ ، والنسائي ١١٤ / ٤

(٣) آية (٣٧) سورة هج

(٤) (حسن) الترمذي (٣١٤٢) ، وأحمد ٣٥٤ / ٢

### كتاب السابع والثلاثون

#### فى بيان القضاء بين الخلائق

قال أبو هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فىنا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسنة وهذا من حسنة فإن فئت حسنة قيل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح من النار » (١) ، فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إدا ليس يسلم لك حسنة من أهات الرياء ومكائد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة فى كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا يقضى عنك يوم إلا ويجرى على لسانك من فيية المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك ، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات ، وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتصر فيه للجماة من القرناء .

فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى شأتين يتطحان فقال يا أبا ذر أتترى قيم يتطحان قلت لا قال ولكن الله يسدري سيقضى بينهما يوم القيامة - وقال أبو هريرة فى قوله عز وجل : ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمنا لكم ﴾ (٢) أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، اليهانم والدواب والطيور وكل شيء يبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوى ترابا فذلك حين يقول الكافر ﴿ يا ليتنى كنت قرأنا ﴾ (٣) فكيف أنت يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك ، فتقول أين حسناتى : فيقال نقلت إلى صحيفة خصماؤك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصيبك وأشد بسبب الكف عنها عاؤك ، فتقول يارب هذه سيئات ما قارفتها قط ، فيقال هذه سيئات القوم الذين عتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبهمة والمجاورة وللخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمفاصلة وسائل أصناف المعاملة .

قأ ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد يش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ونكر سبى رضى منكم بما هو دون ذلك بالحقرات ، وهى الموبقات فتفوقوا الظلم ما استطعتم فإن عبيد يجيء يوم القيامة بأشال الجبال من الطاعات فيرى أنهم سينجيهم فما يزال عبيد يجرى فيقول رب فلان ظلمي بمظلمة فيقول أمع من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته

(٢) آه (٣٨) سورة الأناج

شيء ، وأن مثل ذلك مثل سفر نزلوا صلاة من الأرض ليس معهم خطاب فتفرق القوم فحطبوها فلم يلبثوا أن أعظموا بأرهم وصعوا ما أرادوا ، وكذلك الديوب ود نزل قوله تعالى ﴿ وإلهم يتوب ﴾ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تحصنون ﴾ (١) ، قال الربير يا رسول الله أيكرو علي ما كان يسا فى الدنيا مع خواص الديوب ، قال نعم ليكررو عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذى حق حقه . قال الزبير والله إن الأمر لشديد وأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخررة ولا يتجاوز فيه من لظمة ولا من كلمة حتى يتقم للمظلوم من الظالم .

قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد هرة فبرا يهما قال قلنا ما يهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا لللك الديان لا يبعى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه . حتى النظمة قلنا وكيف بأنى الله عز وجل عراة غرا يهما ، فقال بالحسنة والسيئات فأتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى مباشرتها ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالعمرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أبواب المظالم فليكثر من حسنات ليوم القصاص ، وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله يكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لظمة الذى ادخره لأحبابه المؤمنين من دفع مظالم العباد عنهم . كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « يسا رسول الله ﷺ جالس إذ رأياه يضحك حتى بدت ثيابه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله بأنى أنت وأمى قال : رجلا من أتى جشيا بين يدي وب العزة فقال أحدهما يارب خط لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أحك مظلمت فقال يارب لم يبق من حسناتى شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء ، قال يارب وتحمل عسى من أورارى ، قال وماض عبا رسول الله ﷺ بالبكاء ، ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج لى أن يحمل عنهم من أورهم ، قال فقال الله للطالب أرفع رأسك وانظر فى الحان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لآى نبى هد أو لآى صديق هذا أو لآى شهيد ، قال من أعطى الشمس ، قال يارب ومن يهلك ثمه قال أنت فلكه ، قال وما هو قال هموك عن أخيك قال يارب إنى قد عفوت عنه ، قال الله تعالى خط بيد أخيك فأدخله الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « اتقوا الله وأصبحوا ذلت بيكم فإن لله يصمح بين المؤمنين » وهذا تيميه على أن ذلك لى بالبال بالحق بأحلاق الله وهو إصلاح ذات البين وصائر الأخلاق فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تظلم لك

(١) آه (٣٠ - ٣١) سورة الزمر

حي عفا عنه وأبقت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في متصرفك من مفضل القضاة وقد عيبك خادمة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وينعيم لا ينور يحواشيه الفناء ، وعند حد قلبك سرورا وفرحا يبيض وجهك واستار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم حرك بين الخلائق ولقما رأسك خاليا من الأوزار ظهرك ونفخة نسيم التميم ويرد الرضاء يتلألأ من حيث وعلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويفطونك في حسرتك وجمالك ، سحابة يمشون بين يديك ومن خلفك ويتنادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان - رضى الله عنه - وأرضاه وقد سعد مسعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا للتصيب ليس بأعظم من محنة نبي تالها في قلوب الخلق في الدنيا بينك ومذمتك وتصمتك وتزينك . فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوصل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص للصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله ، فلي تدرك ذلك إلا به وإن تكن الأخرى والتميز بالله إن خرج من صميمك جريمة كنت تحسبها هبة وهي عند الله عظيمة ، فمفقتك لأجلها قتال عليك لعنتي يا همد السوء لا أقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم يغضب الملائكة للغضب الله تعالى ، فيقولون وعليك لعنتا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتألم إليك الزمانية وقد غضبت لغضب خلقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعزعتها وصورها النكرة . فأخذوا بتأنيبك بسحوتك على وجهك على ملا من الخلائق ، وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خربك وأنت تتأدى بالويل والنبور وهم يقولون ها فلان ابن فلان كشف الله من فضلكة ومحنته ولعنته بفتاح ماويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا ، وربما يكون ذلك بظن أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم ، مما أعظم جهلك لئلا تحترز عن الافتضاح عند طاعة مسيرة من عباد الله في الدنيا المخترعة ثم لا تحس من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدي الرتبة إلى سواء المحجيم بهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر .

### الباب الثامن والثلاثون

#### في بيان ذم المال

ب الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ يَخْاسِرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) من حذر ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما وقال عز وجل : ﴿ مَنْ

(١) آية (١٥) القصص

(٢) آية (٤) سورة النفاق

كَانَ يُرِيدُ النِّعَةَ الدُّنْيَا وَرَبُّهَا ﴾ (١) الآية وقال ﴿ كَذَلِكَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٌ مُّقْتَصِفٌ ﴾ (٢) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَكُمُ الْكُفْرُ ﴾ (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « حب للذن والشرف يمتدان النمان في القلب كما يمت الماء البقل » (٤) وقال ﷺ : « ما ذكبان ضاربان أرسلا في زوية غنم يأكلن إفسادا فيها من حب الشرف وأمال والجفاء في دين الرجل المسلم » . وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله حكما وحكدا وقيل ما هم » وقيل « يا رسول الله أي أمتك شر قال الأعياء » وقال ﷺ : « سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطيب الدنيا وألوانها ، ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يملكون ويروحون إليها ، إتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم ، إلى أمرها يتبهون ولها وهم يقيمون فريضة من محمد بن عبد الله لأن أدرك ذلك الزمان ، من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازتهم ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أصاب على هدم الإسلام » . وقال ﷺ : « دحر الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنقه وهو لا يشعر » (٥) . وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي ومالي من مالي إلا ما أكلت فأفقيت أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأصدقت » . وقال رجل يا رسول الله « مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله أن قدمه أحب أن يلدحه وأن خلفه أحب أن يشغله معه » . وقال ﷺ : « أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله ، والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله ، والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله » .

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء - رضى الله عنهما - يا أخى ليك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكلم به الصراط قال له أمص فقد أدبت حق الله في ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكلم به الصراط قال له ماله وبلك إلا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور » وقال ﷺ : « اد مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف » وقال ﷺ : « لا تتخذوا الصبيحة فتحبوا الدنيا » (٦) .

وروى أن رجلا نال من أبي الدرداء ، ولواه سوفا فقال اللهم من فعل بي سوفا فأصح جسمه

(١) آية (٦-٧) سورة البقرة

(٢) آية (١) سورة النفاق

(٣) آية (١) سورة النفاق

(٤) آية (١) سورة النفاق

(٥) آية (١) سورة النفاق

(٦) آية (١) سورة النفاق

(١) آية (١٥) سورة هود

(٢) آية (١) سورة النفاق

(٣) آية (١) سورة النفاق

(٤) آية (١) سورة النفاق

(٥) آية (١) سورة النفاق

(٦) آية (١) سورة النفاق

وَمِنْ عَمَرِهِ وَكَثْرَةِ مَالِهِ ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ رَأَى كَثْرَةَ الْمَالِ غَايَةَ لِبِلَاءٍ مَعَ صِحَّةِ الْجَسْمِ وَطُولِ الْعُمُرِ ، لَا لِأَدْوَابٍ يَمُصُّ إِلَى الظُّمِئَانِ . وَوَصَّعَ عَنِ كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ دَرَاهِمَ عَنِ كَعْبِهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا أَنْتَ مَلِكٌ تَخْرُجُ عَنِّي لَا تَنْفَعُنِي .

وروي أن عمر -رضي الله عنه- أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسلته إليك. صر من الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعتة وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأبتمها لم رعت بذها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هـ ، فكانت أول ساء رسول الله ﷺ لحوا فيه . وقال الحسن والله ما أهر الدرهم أحدا إلا أدله الله ، وقيل أن أول ما ضرب الديار والدرهم فمعهما إيليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عيلى حقا . وقال سميط بن حجلان إن الدرهم والدنانير أزمة المظفين يقادون بها إلى النار ، وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقوب فإن لم تحسن رقيقته فلا تأخذ له فإنه إن لدحك قتلك سمه قيل وما رقيقته قال أحده من حله ووضعته في حقه . وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل رينة فقلت أهوذا بالله من شرك فقالت إن شرك أن يعيلك الله منى فأبغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذا توصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وبى ذلك قيل :

إني وجدت لكلاً تخفونوا فيه •• أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته ❖❖ فاعلم بأن ثقلك تقوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يخرنك من المرء قميص رقعته ••• أو يزار فوق عظم الساق منه رفعه

أو جبهين لاح فيه أثر قد خلعه ••• آره الدرهم تعرف حبه أو ووجه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عند موته ، فقال يا أمير المؤمنين صمتت صمتاً لم يهضمه أحد قبلك تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال أقعدوني فأعده فقال أمأولك ثم أدع لهم ديناراً ولا درهما فبني لم أسعهم حقاً لهم ولم أعطهم جعاً لغيرهم إنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فإله كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاصي لله فلا أألى على ما وقع .

وروی آن محمد بن کعب القرظی اصحاب مالا کثیرا فقیر نه لو ادخیره لولیک من بعدک قال لا ولکنی ادخیره لنفسی عندی وادخیری لولدی .

وہروی ان رجلا قال لابی عبد ربہ یا اخی لا تلعب بشر وتترك أولادك بخیر فأخرج أبو عبد

قوله من ماله مائة ألف درهم ، وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمح الأولون و : ح . ر . ش . هـ .  
 للعبد في ماله عن موته قيل وما هذا قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله .

## الباب التاسع والثلاثون

### ففى الأعمال والميزان وعذاب النار

يا أيُّها لا تنفصل عن الفكر في الميزان وتطير الكتب إلى الإيمان والشمال فمَنْ نَسْرِعُ  
السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حصة ، فيخرج من النار حتى أسود فيلقطهم لفتة تطير الحُب  
ويتطوى عليهم ويلقيهم في النار فتلتهم النار ويتدى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقد أحرز  
سيئة لهم ، فهنادى منادى ليقيم الحمدادون لله على كل حال فيقومون ويروحون إلى نجدة ثم يقص  
ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى . ويتدى عليهم  
سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الأكثر غلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يقضى  
عليهم ولا يخفى على الله تعالى ، إن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم  
فذلك ليبين فضله عند العفو وعذله عند العقاب فتطير الصحف والكتب مطوية على الحسنات  
والسيئات ، وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أنتم في اليمين أو في الشمال ثم إلى  
لسان الميزان أهمل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطير فيها عقول  
الخلاقي .

روى المحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة -رضي الله عنها- فنصر  
فذكرت الأخيرة فبكيت حتى سال دمعها منق على خد رسول الله ﷺ فأنشبهه فقال ما يبكيك يا  
عائشة قالت ذكرت الأخيرة هل تذكرون أهلكم يوم القيامة ، قال والذي نفسي بيده في ثلاث  
مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر برئومه أيخلف  
ميزانه أم ينقل وعند الصحف حتى ينظر أليميته يأخذ كتابه أو يشمله وعند المصروع

وعن أنس قال يأتى بابى آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويؤكى به صلبه فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان بسعادة لا يشقى بعدها - وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان بشقاوة لا يسعد بعدها أبداً - وبعد خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية ويأبىيهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون عصب النار إثر النار ، وقال رسول الله ﷺ فى يوم القيامة : « أنه يوم يتدلى الله تعالى فيه - عبه التسليم - فيقول له قم يا آدم عابثت بعث النار ، فيقول وكم بعث النار فيقول من كل أمة سمعته وسمعه وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أيلسوا حتى ما أوضعوا لها حكمة ، فلما رأى رسول الله ﷺ -

عند أحدكم ، قال اعملوا وأمروا ، فوالذي نفس محمد بيده إن فيكم خلقين ما كانا مع أحد قط إلا مع من هلك من بني آدم ، وفي نبي ، قالوا وما هذا يا رسول الله قال بالأجر وما أوج قال من عن القوم فقال اعملوا وأمروا ، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشاة في جيب البعير أو كالرقعة في فراع الدابة . يا أيها العاقل عن نفسه الممرور بما هو فيه من شدة هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والروال ، دع التعمق فيما أنت مرجل عنه وأصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن البار مورد للجميع لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضًى ﴾ (٧٧) ثُمَّ نَجِّنِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ﴿ (١) فانت من الورود على يقين ومن السجدة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فمساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلاق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فيها هم في كربها وأهوالها وقولها يتطرون حقيقة آياتها وتشفيع شفاعتها إذ أحاطت بلجزمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها رفيراً وجرجرة تصعج عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالمعطف وجئت الأم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلًا أهن فلان ابن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيادوله بمقامع من حديد ويستقبلونه بحظائم التهديد ويوقونه إلى العذاب الشديد ويتكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم ، فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يعلد فيها الأسير ويوقد فيها الحميم ، شرايهم فيها الحميم ومسترهم الحميم الزبانية تغمصهم والهاوية تهمهم أمانهم فيها الهلاك وما لهم فيها لكلك قد شلت أقدامهم إلى السواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعصية يتأدون من أكابرها ويصيحون في نواحها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحنيد يا مالك قد نصجت منا الجلود يا مالك أخرجننا منها فإننا لا نعود فنقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا غروج لكم من دار الهوان فاحسأوا فيها ولا تكلموا ولا أخرجن منكم منها لكتنم إلى ما نهيتهم عنه تعودون عند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا إلى جانب الله حاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يفتيهم الأسف بل يكون على وجوههم معلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار من إيمانهم والنار عن شمائلهم فهم عرسي من النار ، طعامهم نار وشرايهم نار ولياسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران ومرايل الفطرون وصرت لمقاع وثقل السلاسل ، فهم يتجلبطون في مصابفها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين هوائيهما تعلق بهم النار كعلى القفود ويهتدون بالنار والمويل ومهما دعوا بالنشور صب من فوق رؤوسهم الحميم يهصر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد نهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتقطع من المعطن أكبادهم وتسيل على

الجلود خدقهم ويسقط من نواجذ حرمهم . وسقط من لأطراف شعورهم ، بل جلودها وكلف نصجت جلودهم بدلوا جلودها غيرها ، وقد عريت من اللحم عظمهم فبقيت الأرواح موطاة بالمروق وحالاق المصيب وهي تنش في لعم تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سواداً من الحميم وأحسيت أصدارهم ، وأبكت ألسنتهم وقصصت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت أفانهم ومزقت جلودهم وعمت أهدبهم إلى أهدبهم ، وجمع بين نواصيهم وأفانهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويعطاون حنك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في يواطن أحرارهم وحيات الهاوية وعفانها متشعبة بظواهر أعصابهم . هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن من تشمين أحوالهم وتعكر أبعاضها في أودية جهنم وشعابها . فقد قال النبي ﷺ : إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب وفي كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا يتبى الكافر والمتناق حتى يوافع ذلك كله . وقال - كرم الله وجهه - قال رسول الله ﷺ تعودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي أو جب الحزن قال واد في جهنم تعود منه جهنم كل يوم سبعين مرة أهد الله تعالى للقرء المرأتين ، فهذه سعة جهنم وانشعب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعاباتها وعند أبوابها يعلد الأضواء السبعة التي بها يمشى العبد ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنم ثم سقر ثم نظى الخطئة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن من عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا يتبى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة : كنا مع رسول الله ﷺ فسمعا رجلاً يقول فقال رسول الله ﷺ أنزوني ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الأخيرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ، فكما أن انكباب الناس على الدنيا يضاهون فمن مهلك مستكثر كالعروق فيها ومن خائض فيها إلى حد مخلود فكذلك تناول النار لهم متفاوت . فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيما كان به لكن واحد حد معلوم على قدر عصبية ودينه ، ألا إن أقلهم عذاب لو عرست عيه الدب بحدابها لا فتدي بها من شدة ما هو فيه . قال رسول الله ﷺ : أن أدنى أهل النار عدلاً يوم القيامة يتلعل سبعين من نار يعني دماغه من حرارة عليه . فانظر الآن إلى من عصف عليه ، وأعير من شدد عيه ، ومهما تشككت في شدة عذاب النار فاقرب أصبعك من النار وفس ذلك به ثم دعك أنك أحطت في القياس فإن نار الدنيا لا تسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب في الدب عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم به ، وهيهات لو وحد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاصوها طائفتين هرباً مما هم فيه ومن هذا ورد في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت



يسمين ماء من مياه الرحمة حتى أطافها أهل الدنيا . بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال : « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوادها مظلمة » . وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في قسمة في الشتاء وتذهب في الصيف فأشد ما تجذبه في الصيف من حرها ، وأشد ما تجذبه في الشتاء من زمهريرها » .

وقال أنس بن مالك يؤتى بأئمة الناس في الدنيا من الكفار ، فيقال لهم في النار خمسة ، ثم يقال له هل رأيت نعيماً قط فيقول لا ، ويؤتى بأشد الناس حرّاً في الدنيا فيقال لهم خمسة في الجنة خمسة ، ثم يقال له هل رأيت حرّاً قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار ماتوا ، وقد قال بعض العلماء في قوله : « تلغح وجوههم النار » أنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ، ثم تنظر بعد هذا في متن الصلوة الذي يسيل من أبدانهم حتى يفرقون فيه وهو القساق . قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : « لو أن دلواً من خساق جهنم ألقى في الدنيا لانت أهل الأرض » فهذا شرابهم إن استغاثوا من العطش فسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيبه ويأتي الموت من كل مكان وما هو بيت ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فبئس الشراب وساءت مرتفعاً ﴾ (١) ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى : ﴿ ثم إنكم أنها السائلون المبكون ﴾ (٢) لا تكون من شجر من زقوم ﴿ فمالقون منها الطون ﴾ (٣) فمالقون طونهم ﴿ فمالقون زقومهم ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ فيها فجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ (٥) طلقها كأنه رؤس الشياطين ﴿ فإنهم لا يكون منها فمالقون منها الطون ﴾ (٦) ثم إن لهم عليها ثوباً من حميم ﴿ ثم إن من جهنم إلى الجحيم ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ تصلي ناراً حامية ﴾ (٨) تسقى من حميم ﴿ الآية ﴾ (٩) وقال تعالى ﴿ إن لدينا أنكلاً وجحيماً ﴾ (١٠) وطعاماً ذا فحة وهذاها أهما ﴿ (١١) وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحر الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » (١٢) وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : « ارجعوا فيما رغبكم الله واحذروا أو حافوا ما غوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم ، فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دياركم لتي أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دياركم لتي أنتم فيها عبيتها عليكم » . وقال أبو السدراء : قال رسول الله ﷺ : « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام من هريع لا

(١) آية (٢٩) سورة نكهف  
(٢) آية (٦١-٦٨) سورة الضحى  
(٣) آية (١٦-١٧) سورة البرق  
(٤) آية (٥١-٥٢) سورة الواقعة

(٥) آية (٤) سورة العنكبوت  
(٦) آية (٤) سورة العنكبوت  
(٧) آية (٤) سورة العنكبوت  
(٨) آية (٤) سورة العنكبوت  
(٩) آية (٤) سورة العنكبوت  
(١٠) آية (٤) سورة العنكبوت  
(١١) آية (٤) سورة العنكبوت  
(١٢) آية (٤) سورة العنكبوت

يسمن ولا يثني من جوع ، ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي فحة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون النخس في الدنيا يشرب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الجحيم بكلاليب الحديد ، وهذا دت من وجوههم شوت وجوههم ، وإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم ، فيغثولون ادعوا حرّة جهنم ، قال فيدعون حرّة جهنم أن ادعوا إليكم بعصفها يوماً من المحتاب ، فيقولون أو لم تكن تأتيناكم رسلكم بالنبات ؟ قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعوا الكافرين ولا لي ضلال ، قال فيقولون ادعوا مالكا فيدهون فيقولون يا مالك ليقتض علينا ربك ، قال فيجيبهم أنكم ماكشون قال الأعمش أنبت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إليهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا إليكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غيب علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين ربنا أخرج منها منّا من هبنا فلما ظالمون قال فيجيبهم ﴿ افسقوا فيها ولا تكلمون ﴾ قال بعد ذلك يسرا من كل خير وعد ذلك أحدوا في الرير والخسرة والويل

وقال أبو أمامة : قال رسول الله ﷺ في قولة تعالى : ﴿ وسقى من ماء حديد ﴾ (١) يتجرعه ولا يكلا يسيقه ﴿ قال يقرب إليه فينكره فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره . يقول الله تعالى : ﴿ وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ﴾ فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقابها وعقاربها وإلى شدة سؤمها وعظم أشخاصها وعظامة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغربت بهم فهي لا تفر عن النهش واللذغ ساعة واحدة . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من أتاه الله مالا لم يزد ركانته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له ربيبتان يطرقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بدعائه يمس أشداقه فيقول أنا مالك أنا كركك ، ثم تلا قوله تعالى . ﴿ ولا يحسب الذين يخفون بما آتاهم الله من فضله ﴾ الآية . . وقال رسول الله ﷺ إن في ادس الحيات مثل أعناق البعث يلسس اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وإن فيها العقارب كاليفال المؤكفة يلسس اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فم تمثّل له

ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار ، فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وحرّاً حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسبون بلقيع النار ولذخ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعه وحده عن السواي . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « ضرس لكافر في النار مثل أحد وغلط جلده مسيرة ثلاث » . وقال رسول الله ﷺ : شقته السفلى ساقة على صدره والعلوى قالصة قد عطب رجعه ، وقال - عبه انسلام - إن الكافر ليحرق لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فحجدهم وجلودهم وحوهم . قال الحسن في

قوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جَلُودُهُمْ فِيْ ذُلْفِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكتنهم قيل لهم عودوا كما كنتم ، ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور ، فإن ذلك يسلط عليهم في أول إنقاذهم من النار . قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بهم يومئذ له سبعون ألف رصاص مع كل رصاص سبعون ألف ملك » وقال أنس قال رسول الله ﷺ « يرسل عبي أهل النار الكاه فيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يسكون الدم حتى يرى في وجوههم كهية الأعدود لو أرسلت فيها السفس لحوت » (١) وما دام يؤذد لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة والويل والثبور فبهم فيه مستروح ولكنهم يسمعون أيضا من ذلك .

قال محمد بن كعب لأهل النار خمس دهرات يجيبهم الله هر وجل في أربعة فإذا كانت الحامسة لم يتكلموا بعدها أبدا فيقولون . ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِالْغَيْبِ وَأَحْبَبْنَا الْغَيْبَ فَأَعْرَضْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ ﴾ . فيقول الله تعالى مجيبا لهم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَٰكِن يَسْأَلُ بِهٖ تُؤْمِنُوا فَالْمَحْكُمْ لَهُ الْغَيْبُ الْكَبِيرُ ﴾ ثم يقولون ربنا أهبنا وسمعتنا فأرجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ نَكُونُوا لَمْ نَكُنْ مِن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴾ فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل . فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُدْكِرُ الْغَيْبُ تِلْكَ آيَاتُ الْقُدْرِ فَذُوِّرُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصْرِ ﴾ ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما غاليين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . فيجيبهم الله تعالى ﴿ اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس - رحمه الله عنه - قال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ سِرًّا عَلَيْنَا أُمْرًا أَمْ سِرًّا مِّنَّا مَن مَّحِيصٍ ﴾ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح يذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » (٢) وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتى كنت ذلك الرجل وروى الحسن - رحمه الله عنه - جالسا في روية وهو يكي فقبل له لم يكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي بهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل فهو معها أحزانها وعصها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة قوت نعيم الحنة وقوت لقاء الله تعالى وقوت رضاه مع علمهم بأنهم بأعوار كل ذلك بشمن بخص دواهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكذبة منقصة ، فيقولون في أنفسهم وأحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا العسر أياما قلائل ولو صبرنا لكأننا قد انتفضت عنا أيامه وبقيت الآن في جوار رب العالمين متعصمين بالرضا والرضاوان ، فبالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم ويلواي بلواي به ولم يبق معهم

(١) (ضعيف) ابن ماجه (٢٣٦٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٤٧٣٠) .

شيء من نعيم الدنيا ولداتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم . فقد قال رسول الله ﷺ : يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشقوا رائحتها ويطروا إلى فصولها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها تودوا أن يصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها . فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أربتنا من ثوابك وما أهددت فيها لأوليائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم كنتم إذا خروتم بمرتوني بالعظام وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبئين تراود الناس بحلال ما تعطون من قلوبكم هبتم الناس ولم تهلبوني وأجلتكم الناس ولم تهملوني وتركتم الناس ولم تنزكوا لي فالיום أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب العظيم . قال أحمد بن حنبل إن أهلكنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى - عليه السلام - كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح فذا بين أطباق النار يصيح . وقال داود الهادي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ، فانتظروا مسكين في هذه الأحوال وأعلم أن الله تعالى خلق النار وأهلها وخلق لها أهلا لا ينلدون ولا يخلصون وأن ملا أمر قد قضى وفرغ منه . قال الله تعالى ﴿ وَأَنذَرْتُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ يَفْطِنُ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي حَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ولحسرتي إلا إشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالحسرة منك حيث تصحكت وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بما سبق في حرك فإن قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مالي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء لي حتى فلك علامة تستأنس بها وتصديق رجائك يسيبها وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لا خلق له فإن كان قد يسر لك الخير فأبشر فإنك مبعث من النار وإن كنت لا تقصد خيرا إلا ومحيط بك المواق فتدفعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فأعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على البسات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ وإن الفجار لفي جحيم ﴿ فأعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مشترك من الدارين والله أعلم .

### باب الأبرار

#### في فضل الطاعة

أعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات الضلوم إلى أنوار معرفة القدوس ، ويتمتعون في دار التعميم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر ، فإنهم لم يخلقوا ، حيث لا يجزى اللين أساوراً بما عملوا ويجزى اللين أحسنوا بالحسن وهو العنى عن طاعتهم ولا تقصير معصيتهم ولا تقصير من كماله شيئاً ، فإن استكبروا فاللين عبد ريث يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ، من عمل صالحاً لنفسه ومن أساء لنفسه والله العلى وأنتم الفقراء ، يا عجباً أهدنا بشرى الرقيق وجب أن يكون قائماً بما يلزم من الخدمة ما صبح فيها منقاداً لولاء الذى استولى عليه بالمركب المسير العانى ويمتته بركة واحدة ويغضب عليه وربما منعه مرتبه أو طرده أو باعه ، فما لنا لا نطيع مولانا الحقيقى الذى خلقنا وسوانا ونقع فى رلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه ع وإمداداته التى أولاه لهلكنا وهو قادر على البطش بما يجرد ، ونكاث رلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويمرر زلتنا ويستر هورتنا ، فالعاقب يعرف من هو الأحق بالطاعة فيقبل عليه ويوجه بكلبته إليه ، وكلما أذنب تاب وإلى خلقه أناب ولا يياس من رحمته ويتعجب إليه بشكر نعمه ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين لياتيه الموت وهو مشتاق إلى مولاه ومولاه أشد شوقاً إلى لقاءه .

قال أبو الدرداء لكعب - رضى الله عنهما - أخبرنا عن أخص آية معنى فى التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الأبرار إلى تعالى واتى إلى لقاءهم لأشد شوقاً ، قال ومكتوب الى جانبها من طلبى وجلى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، وهى أخبار داود - هـ السلام - أن الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحببى وجلس لمن جالسى ومؤنس لمن أنس بكبرى وصاحب لمن صاحبتى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحببى عهد أعلم ذلك بقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحببه حباً لا يتقدمه أحد من خلقى ، من طلبى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارتضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من عرورها وهدموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وأنسوا بى أو أنسكم وأنساروا إلى محبتكم فإنى خلقت طينة أحمالى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نبيى ومحمد صفى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى .

وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين أن لى عبادة من عبادة يعجوس وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويدكروننى وأذكروهم ، ويظفرون إلى وأنظر إليهم ، فإن حدثت طريقهم أحسنت وإن عملت عنهم مقتت - قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى النقيق غنمه ، ويمتنون إلى غروب الشمس كما يمن الطائر إلى وكفه عند الغروب فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وغلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم والفتشوا إلى وجوههم ونجسوا بكلامى وتعلقوا إلى بأنعامى ، فبين صاوخ وبك وبين متأوه شاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يعنى ما يتحملون من أجلى ويسمى ما يشكون من حى ، أول ما أعطيتهم ثلاثاً ، أقلب من نورى لى

قلوبهم فيحرون عى كما أحرعهم ولشبهه بو كات السماوات والأرض وما فيها لى مواريتهم لا تستلها بهم وإنشبه قبل بوجهى فترى من أقلت بوجهى حبيبه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه .

وهى أخبار داود - هـ السلام - قل لعبادى اتوجهين إلى محبى ما عىكم إذا احتجبت هن خلقى وروعت الحجاب فيها بينى وبينكم حتى تظروا إلى يمينون فويكم وما خسركم ما رويت حكم من الدنيا إذا بسطت دهنى لكم وما خسركم مسخطة الخلق إذا انقسمت وهالى .

### الباب الحادى والأربعون

#### فى الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وقال تعالى ﴿ هَذَا ذِكْرُ مِمَّا أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لى وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِعِبَادِهِمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَقِمْتُمْ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَسَجِّدُوا لِلشَّاكِرِينَ ﴾ وقال عز وجل اختياراً عن إبليس اللعين لأتعدن بهم صراطك المستقيم ، قبل هو طريق الشكر طعن اللعين لى الخلق ، قال : ﴿ وَلَا تَعِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ مِنْ عِبَادِ الشَّاكِرِينَ ﴾ وقد قطع الله تعالى بالمريد مسج الشكر ولم يستثن فقال تعالى : ﴿ تَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فقال تعالى : ﴿ لَسَوْفَ يَشْكُرُكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ وقال ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقال : ﴿ وَيَفْزَعُ مَا دُونَ ذَلِكَ نَسْ ﴾ وقال : ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهو خلق من أخلق الربوبية إذ قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ عَلِيمٌ ﴾ وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذى صَدَقَ وَعْدَهُ ﴾ وقال : ﴿ وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله ﷺ : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » (١) ، وروى عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ حكيت ومالت رأى شاه لم يكن عجباً أنأتى ليلة فدخل معى لى فراشى أو قالت لى لحافى حتى مس جندى جلده ثم قال ياليتى أبى بكر فوعتى أتعد لربى ، قالت قلت لى أحب قربك لكنى أوتر هوائك فعدت له فقام إلى قربة ماء فتوشأ فلم يكثر صب الماء ثم قام بصلبى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركب فبكى ثم مسجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فأدبه بالصلاة ، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ألا أكون عبداً شكوراً ولم لا أقبل ذلك وقد أنزل الله تعالى على : ﴿ إِنْ لى خلقى السجود اب

(١) (حس) الترمذى (٢٤٨٦) ، وأحمد ٢ / ٣٤٣

والأرض» (١) الآية . . وهذا يدل على أن اليكاه ينبغي أن لا يتقطع أبداً ، وإلى هذا السر يشهد ما روى أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال مد سمعت قوله تعالى : ﴿ وَفَوْقَهَا النُّفُسُ وَالْجَبَابِرَةُ ﴾ (٢) فأنابني من حوجه فسأل الله به أن يجيره من النار فأجابه : ثم أراه بعد مئة على مثل ذلك فقال لم تكن الآن فقال ذلك يكاه الخوف وهذا يكاه الشكر والسرور وقلب العبد كالجمارة أو أشد قسواً ولا تزول قسوته إلا باليكاه في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه رحمه الله أنه قال : « ينادي يوم القيامة ليقيم الحمدادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفي لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال رحمه الله : الحمد رداء الرحمن » (٣) . وأوحى الله تعالى إلى أيوب - عليه السلام - إنني رغبته بالشكر مكافأة من أوليائي . . في كلام طويل . . وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها أنهم هم الشكر وهو غير الكلام وعند الشكر أمستهم وبالنظر إلى أربهم . ولما نزل في الكور ما نزل قال عمر - رضي الله عنه - أي المال تتخذ ، فقال - عليه السلام - « ليخذ أحدكم لساناً فأكرا وقلبا شاكرا » (٤) فأمر ، باقتناء للقلب الشاكر بدلا عن اللسان » . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإخماده لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العنين أن تستر بكل عيب تراه لحلم وشكر الآخرين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به به . فقد قال رحمه الله لرجل : « كيف أصبحت قال بحير فأعاد رحمه الله السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال رحمه الله هذا الذي أردت منك » .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإخماده لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العنين أن تستر بكل عيب تراه لحلم وشكر الآخرين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به به .

(١) آية (١٦٤) سورة البقرة -

(٢) آية (٢٤) سورة البقرة -

(٣) تحف السادة ٩ / ٤٨

(٤) صحيح ابن ماجة (١٨٥٦) ، وصحيح بخير (٥٣٥٥)

وقد قال رحمه الله لرجل : « كيف أصبحت قال بحير فأعاد رحمه الله السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال رحمه الله هذا الذي أردت منك » .

وكان السلف يتسألون ويتشجع استعراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستطيق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء بإظهار التسوق وكل عبد مثل من حال فهو بين أن يشكر أو يسكت ، فالشكر طاعة والشكر معصية فيبحة من أهل الدين وكيف لا تفتح الشكر من ملك الملوك ويبدى كل شيء إلى عبد ملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به والضعف إلى الشكر أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء ودل العبد لولاه عز والشكر إلى غيره ذل وإظهار الليل للبيد مع كونه عبد مثله من قبيح . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَصِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْطِئُوا عِدَالَهُ الْفِرْقَانِ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَصِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ جِبِلٌّ مُبْتَلِكُمْ ﴾ (١) فالشكر باللسان من جملة الشكر .

وقد روى أن وقد أقدموا على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير ، فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسب لكان في المسلمين من أسمن منك فقال تكلم فقال لنا وقد الرغبة ولا وقد الرهبة فقد أوصلنا إلينا فاسلك وأما الرهبة فقد آمنت منها بذلك وإنما نحن وقد الشكر جنتك تشرك باللسان وتصرف .

### باب الثاني والاربعون

#### في بيان ضم الكبر

قد قم الله الكبير في مواضع من كتابه وضم كل جبار متكبر فقال تعالى : ﴿ مَا صَرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ وقال عمر - رحمه الله - ﴿ كَذَلِكَ يَقَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَمِيدٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ وروى تعالى : ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعِزُّوا عِزًّا كَبِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ودم الكبير في القرآن كثير . وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خرفل من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من حرد من إيمان . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « الكبيره رذائي والعظمة إدري فمن يدرى واحد منهم ألقينه في جهنم ولا أبالي » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فخرافا (١) به (١٩٤١) سورة الأعراف

لمعنى ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب فقالوا ما يركب يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من كان في قلبه مثقال حبة من غرود من كبر أكرهه الله في النار على وجهه . وقال رسول الله ﷺ : لا يزال الرجل يلعب بنفسه حتى يكتب في جحيم . يعصيه ما أصابهم من العذاب . وقال سليمان بن داود - عليهما السلام - يوما للطير والآنس والجن واليهائم اخرجوا في ماكنى آلف من الإنس وماكنى آلف من الجن فرفع حتى سمع رجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم غمض حتى مست أقلامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال مرة من كبر لمسفت به أبعد مما رفعت ، وقال ﷺ يخرج من النار عتق له أذان تسمعان وهذان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار هند ، ويكل من دها مع الله الها آخر ، ويخلصون . وقال ﷺ لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سىء للملكة . وقال ﷺ تحاجت الجنة والنار ، فقلت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة ملى لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وهجزهم ، فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي لأرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أحذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما مئوها . وقال ﷺ : « يس العبد عبد تكبر واعتمد ونسى الجبار الأهل ، يس العبد عبد تكبر واختال ونسى الكبير لاختال ، يس العبد عبد عنى وبغى ونسى المبدأ والمتهى » وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال : أليس بعدة موت .

وقال عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « إن نوحا - عليه السلام - لما حضرته الوفاة دعا إليه بنوه ، وقال إني أمركما بالثنتين وأنهكما عن اثنتين أنهماكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان وضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها ، ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله الله عليها لفصمتها وأمركما بسبحان الله ويحمده فإنها حلقة كل شيء وبها يرزق كل شيء » . وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا .

وقال ﷺ : « أهل النار كل جعفرى جواظ متكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقنون » . وقال ﷺ : « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتصهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتصهقون قال المتكبرون » . وقال ﷺ : « يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور اللور يطأهم الناس في مثل صور الرجال يملوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنبار يسقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنبار يسقون من طين الخيل عصارة أهل النار » . وقد أبو هريرة قال النبي ﷺ : « يحشر الخسارون والمتكبرون يوم القيامة في صور نظرم الناس لهنانهم على الله تعالى » . وعن محمد بن واسع

قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال إن في جهنم وادي يقال له عيب حتى على الله أن يسكنه كل جبار فليكن يا بلال أن تكون عمر يسكنه . وقال ﷺ : « إن في النار قصورا يجعل فيه المتكبرون ويطلق عليهم » . وقال ﷺ : « يس أعود بك من نقعة الكبر » . وقال « من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة الكبير والدين والعلو » . وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لا يحقرن أحد أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير . وقال وهب لما خلق الله الجنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر . وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب أمرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر ، وسئل سليمان بن السيرة لا تنفع معها حسنة فقال الكبر .

وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصائد وفخوخا وإن من مصائد الشيطان وفخوخه الطر بأنعم الله والمعبر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة منه وكرمه . وقال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل يهر إزاره بطرا » . وقال ﷺ : « بينما رجل يتبختر في برديه إذ أصعبته نفسه فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » (١) . وقال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » . وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بس ، رفع أزارك فرأى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء » (٢) .

وقال ﷺ : « إذا مشى أمسى المظيئة وغسلتهم فلرسى والرسوم ملط الله بعضهم على بعض » (٣) . وقال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال ﷺ : من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان . وعن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأعمى يريد المقصورة وعليه جباب خر قد ضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قبالة وهو يمشى يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة ، فقال ألب آف شامخ بأنعه ثاني عطفه مصرعه خده ينظر في عطفيه أي حميق ، أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله منها في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به نعمة والله لأن يمشى أحد طبيعته أو يتخلج تخليج المجنون خير له من هذا . فسمع ابن الأعمى مرجع يعتذر

(١) (صحيح) البخاري (٥٧٨٩)

(٢) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥)

(٣) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥) ، وصحيح الجامع (٨٠١)

ربيه ، فقد لا تعتمد إلى وتبني ريك ، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ ولا تمس في الأرضي مرجاً يأتك من تغرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ (١) مباحس شاب عليه برة له حسنة فدهاه ، فقال له ابن آدم معجب بشيئك معجب لشمالك كأن القبر قد وارى بدتك وكأنك قد لاقيت حملك ، ويحدث داوود فك حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم ورأى محمد بن واسع وبه يحتال فدهاه ، وقال أتدري من أنت أما أمك فاشترتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلاً يجر إزاره فقال إن للشيطان إحراماً يكررها مرتين أو ثلاث .

ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة عز فقال يا عبد الله هذه مشية يخفها الله ورسوله ، فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أفرقت أولك نقطة مطرة وأخرك جيفة قنبرة وأنت بين ذلك تحمل المطرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشوا في هذا المعنى .

عجبت من معجب بصورته ••• وكان بالأمس نقطة مطرة  
وفي غد بعد حسن هيئته ••• يصير في القبر جيفة قنبرة  
وأشد خطف الأحمر :

لن صطح مولع بالخلاف ••• كثير الخطأ قليل الصواب  
أشد لجأ من الخنفاء ••• وأزهى إذا ما شئ من خراب  
وقال آخر :

قلت للمعجب ما ••• قال مثلي لا يراجع  
يتأرب المهدي بالمر ••• ج لم لا تتواضع  
ومثله لذا اللون المصري :

أبها الشامخ الذي لا يرام ••• نحن من طيبة عديك السلام  
إنما هذه الحيلة مناع ••• ومع الموت تستمرى الأقدام  
وقال مجاهد في قولي ﴿ ثم ذهب إلى أهله فمطى ﴾ أي يتبختر والله تعالى أعلم

### الباب الثالث والأربعون

#### في التعكر في الإيمان ونورها

قد أمر الله تعالى بالتعكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى فقال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار في الآية أي تعاقبهما في المجرى والذهاب يحل محل أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده . قال تعالى ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار حلفة ﴾ قال بعده أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل :

بارق الليل مسرورا بأوله ••• إن الحوادث قد تطرق أسحارا  
لا تفسرحن بليل طلب أوله ••• لسرب لغمر ليل أجمع النارا  
وقول آخر .

إن الليالي للإتام مناعل ••• تطوى وتنتشراتها الأسمال  
فصاير من الهوم طويلا ••• وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - إن قوما تفكروا في الله عز وجل ، وقال النبي ﷺ : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره (١) وعن النبي ﷺ أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتعكر في خلق الله عز وجل ، قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضها يضاء نورها يبايضها ويأفها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصنوا الله طرفه حين قالوا يا رسول الله فآين الشيطان منهم ، قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا (٢) وعن عطاء بن أنطقت يوم أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة - رضي الله عنها - فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد : ما يمنعك من ريارتنا ، قال قول رسول الله ﷺ ﴿ زوروا تزددوا ﴾ (٣) ، قال ابن عمير فأحبرتنا بأعجب شيء رأيناه من رسول الله ﷺ قال : فيكيت وقالت كل من أمره كن عجيباً أتاني مرة في بيلتي حتى من جلده جلدني ثم قال درسي أتعبد لربي عز وجل فسام إلى القرية فتوضأ بها ثم نام يصلي فيكن حتى بن لحيتته ثم سجد حتى بل الأرض ثم

(١) صحيح (تحف السادة ١/ ١٨٠) وصحيح (مجموع ١٤٧٠)

(٢) صحيح (الطبراني ٤/ ٦٠) وصحيح (جامع ٣٥٦٨)

(١) به (٣٧) سورة الإسراء .

صطحب علي حبيبته حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر  
 لك ربك من ذنبك وما تأخر ، فقال ويحك يا بلال وما يبكي أن أبكي وقد أنزل الله  
 بعلي عن هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾  
 ثم دل رجل لمن قرأه ولم يتفكر فيها ، فقبل بالأوراعي من عتبة التمر فبينهم ، قال ' يقرؤون  
 ويعقلون . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم در بعد موت أبي در  
 فسألها عن عيادة أبي در ، فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال تفكر  
 ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقبل لإبراهيم  
 أنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يمشي يقول القائل :

إذا المرء كانت له فكرة ••• فنفى كل شيء له هـيرة

وعن طاووس قال : قال الخواريزمي لعيسى ابن مريم يا ورح الله هل غنى الأرض اليوم مثلك  
 فقال : نعم من كان منطقته ذكرا وحسنته ذكرا ونظرة عبدة فإنه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه  
 حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لغو ، وفي  
 قوله تعالى ﴿ مَا أَصْرَفَ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٢) قال أمتع قلوبهم التفكر  
 في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : أعطوا أعيانكم حظها من العيادة ،  
 فقالوا يا رسول الله وما حظها من العيادة قال النظر في المصعب والتفكير فيه ، والاعتبار عند  
 عجائبه . وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتفكرين بعكها  
 إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقرر لهم في  
 الدنيا عيش . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان أنك تدبم  
 الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان أنس لك فيقول لقمان أن طول الوحدة أدوم للفكر  
 وطول الفكر دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم  
 امرئ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات .  
 وقال عبد الله بن المبارك يوما سهو بن علي ورأى ساكنها متفكرا أين أنت قال الصراط . وقال بشر  
 لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس وكنتان مقتصدتان في تفكر  
 خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يشي إذا جلس فتفتح بكسائه فجعل يبكي فقبل له ما  
 يبكيك قال تفكرت في دهاب عمري وعلة عملي واقترب أجلي وقال أبو سليمان هودوا أعيانكم  
 بالبكاء وقلوبكم بالتفكر ، وقال أبو سليمان أيضا العكر في الدنيا حجاب عن الآخرة يورث الحكمة  
 ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التمر يزيد الخوف ،

وقال ابن عباس سكر من حب الله عز وجل . وقال ابن عباس سكر من حب الله عز وجل . وقال  
 الحسن أن أهل بيتي خير من أهل بيتي . وقال ابن عباس سكر من حب الله عز وجل . وقال  
 قلوبهم فتطقت بالحكمة . وقال ابن عباس سكر من حب الله عز وجل . وقال  
 في ليلة قمران فتفكر في سكوت سموت و الأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في  
 در جداره ، قال موت من حب الله عز وجل . وقال ابن عباس سكر من حب الله عز وجل . وقال  
 داود رجع ووضع السيف ، وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك . وقال  
 الجعيد أشرف المجالس وأعلامها جلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتسميم بسبب المعرفة  
 والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ، ثم قال يا لها من  
 مجالس ما أجملها ومن شراب ما الله طوي لمن رزقه . وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا  
 على الكلام بالصمت وعلى الاستباط بالعكر ، وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من  
 الغرور ، والمستم في الرأي سلامة من التفريط والندم ، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم  
 والعطية ، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ، ففكر قبل أن تعزم وتدير قبل أن  
 تهجم وشاور قبل أن تقدم . وقال أيب الفضائل أربع أحداها الحكمة ، وقوامها العكرة والثانية  
 العفة وقوامها في الشهوة ، والثالثة القوة وقوامها في الغضب ، والرابعة العدل وقوامها في اعتدال  
 النفس .

### الباب الرابع والأربعون

#### في بيان شدة الموت

عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته ولله فقال : هو فتر ثلثمائة خربة بالسيف  
 وسئل عن الموت وشدته فقال أن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من  
 الصوف إلا ومعها صوف . ودخل علي مريض ثم قال : أتى أعلم ما يلقي مات عرق إلا  
 وبالم للموت على حدة . وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول أن لم تقتلوا تموتوا  
 والذي نفسي بيده لألف خربة بالسيف أهون على من موتى على فراش . وقال الأوزاعي بلغنا أن  
 الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره . وقال شبلد بن أوس الموت أفزع هول في الدنيا  
 ولاخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمنشير وقرض بالمقارضي وعلى في القدر ولو أن الميت  
 نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتضعوا بعيش ولا نلوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا  
 بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها يعلمه شدة هيب الموت ليبغ يسكرات الموت وكربه  
 حرجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثوابه .

فيصير إلى النار . ومن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجهلون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجهده فقال كأن السماوات مطيقة على الأرض وكان نفسى يحرج من ثق ابرة . وقال ﷺ : « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر » (١) .

وروى عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال : لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما تراءى الله تعالى لأن من كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات .

وروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها للهابت .

وروى أن إبراهيم - عليه السلام - لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي ؟ قال كسفرة جعل في صوف وطب ثم جلب فقال أما أنا قد هونا عليك .

وروى عن موسى - عليه السلام - أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له وبه يا موسى كيف وجدت الموت ، قال وجدت نفسى كالصفور حين يقلى على القلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير .

وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسليخ بيد القصاب .

وروى عن النبي ﷺ أنه كان عنده قسح من ماء عند الموت فجعل يذخل يده في الماء ثم يحسح بها وجهه ويقول اللهم هون على نفسى سكرات الموت ، وفاطمة - رضى الله عنها - تقول واكرهوا لكرهك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم . وقال عمر رضى الله عنه لكتب الأخبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين أن الموت كعصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل وأحدث كل شوكة يعرق ثم جلده رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي ﷺ : « أن العبد ليحالج كرب الموت وسكراته وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تغارقى وأفارقك إلى يوم القيامة » (٢) . فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبائه فحب حائنا وبحس المهمكون في المعاصي وتولى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث الأولى شدة النزع كما ذكرناه ، الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلو رأى صورته أننى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته .

فقد روى عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - أنه قال ملك الموت هل تستطيع أن ترى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر ، قال لا تطيق ذلك ، قال بلى قال فأعرض عنه ثم لفت

(١) (هيف) أحمد ٣ / ٤٢٤ ، وضعيف الجامع (٥٨٩٦)

(٢) (موضوع) تزيه الشريعة ٢ / ٣٧٥

فلما هو برجل أسود فلقم الشمر مشق الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيريه لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم - عليه السلام - ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى . فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أن داود - عليه السلام - كان رجلا غيورا وكان إذا خرج خلق الأبواب فعلقها ذات يوم وحزج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار ، فقلت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقي من عناه فجاء داود فرأه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الموت ولا يمنعهم منى الحجاب ، فقال فأنت والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه .

وروى أن عيسى - عليه السلام - مر بهجمة فضر بها برجله فقال تكلمنى بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودى وحشمي على سرير ملكي إذا بدا لي ملك الموت فرل منى كل عضو على حاله ثم خرجت نفسى إليه ، فبليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وبليت ما كان من ذلك الإنس كان وحشة فلهذه داهية يلحقها العصاة ويكفهاها المطيعون .

فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة التزع دون الروعة التى يذركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتفص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال ، وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها . لقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم - عليه السلام - كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك حارى فقال أدخلنيها ربه ، فقال أنا ربه ، فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت ، قال هل تستطيع أن ترى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ، قال نعم فأعرض عنى فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورته كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قال لا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وأن كان فاجرا قال لا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خير فذلك شخص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا .

لداية الداهية مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم تلك المشاهدة فإنهم في حال سكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج لرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نعمة ملك الموت بإحدى البشريات أما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالخنة ومن هذا



كأن خوف أرباب الأكباب وقد قال النبي ﷺ : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » (١).

### الباب الخامس والأربعون

#### فصل بيان القبر وسؤاله

قال رسول الله ﷺ : يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما حرك بي ألم تعلم أي بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما حرك بي أد كنت تمر بي فلذا ، فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر أرأيت أن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر إني إذا تحول عليه غضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى والفلان هو الذي يقدم رجلا ويؤخر آخرى هكلنا فسره الراوي ، ولعل عبيد بن عمير الليثي : ليس من ميت يموت إلا ناحت حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والافتراء فإن كنت في حياتك الله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وأن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج ومن دخلني عاصيا خرج مشورا (٢).

وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعليه أو أصاب بعض ما يكره ناداه جيرانه من المؤمنين أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبرا أما كان لك في متفدسا إليك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك . وتناديه مقام الأرض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في باطن لأرض بمن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبر وأنت تراه محمولا لا تهاده أحبه إلى المزل الذي لا يد له منه .

وقال يزيد الرقاشي بلغني أن للميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت أيها العبد المتعبد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أتيس لك اليوم عندما ، وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والركعة والجهاد والصدقة ، قال فتجي ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطلال في القيم له عليهما ، يأتونه من بين رأسه يقولون الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطلال ظمأ لله في دار الديب فلا سبيل لكم عليه ، يأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أصيب نفسه وأنتب بدمه وحج وجاهد لك فلا سبيل لكم عليه فإن ماتوه من قبل يديه فتقول

(١) بحرف باده ١٠ / ٢٦٦

(٢) حبيه لأول ٦٠ / ٩٠

الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من مائتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئ طبت ميتا ، قال وثأيت ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثروا من الجنة وفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بتسليط من الجنة يستص سورة إلى يوم يبعث الله من قبره .

وقال عبيد الله بن سحر في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « أن الميت يقعد وهو يسمع حطير مشيمه فلا يكلمه شيء إلا قبرة يقول ويحك يا ابن آدم قد حذرتني وحذرت شيملي وثمى وعدني ودودي عمدا أعدت لي » (١).

قال الجراء بن عازب خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة وجل من الأنصلو فجلس رسول الله ﷺ على قبره متكسا رأسه ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا . ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبره من الآخرة بحث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد روحه قيل أي رب عبيدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ (٢) الآية . وأنه ليسمع خفق بعالمهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هلم من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ . قال فيتهراته انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مباد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يَحْيَىٰ اللَّهُ الدَّهْرَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ (٢) الآية . ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقبم فيقول وأنت فيشرك الله بخبر من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله عملت أن كنت لسريعا إلى طاعة الله تعالى بطينا عن معصية الله فجزاك الله حبرا . قال ثم يتنادى مباد أن أفرشوا له من درش الجنة واتحوا له باب الجنة فيعرض له من مرش الجنة ويمتنح له باب الجنة ، فيقول اللهم صعد قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبره من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسراويل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه تذبذبه قيل أي رب عبيدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض ، فيقول عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ الآية

(٢) أية (٥٥) سورة طه .

(١) القناد السادة ١٠ / ٣٩٧ .

(٢) آله (٢٧) سورة إبراهيم .

وأنه ليسمع حقوق نعمائهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري ، فقال له لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منق الرياح فسيح الشباب فيقول أنا عمك الخثيث والله أن كنت لسريعا في معصية الله بطينا عن طاعة الله فجرك الله شرا فيقول وأنت مجرك الله شرا ثم يقبض له أصم أصم أكبر من ممرية من حديد لو اجتمع عليها الثفلان على أن يفلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه ضربة ليصير ترابا ثم تعود إليه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربه يسممها من على الأرضين . قال ثم ينادي مناد أن أفرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار فيفرض له لوحان من نار ويضع له باب إلى النار .

وعن محمد بن حبيب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّهِ  
لَوْ جِئْتُنِي (١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (١) قال أي شيء تريد وفي أي شيء ترعب أتريد أن  
ترجع لتجمع المال وتغرس وتبنى البنيان وتشقق الأنهار ، قال لا لعلي أعمل صالحا فيما تركت  
قال فيقول الجبار كلا لأنها كلمة هو قائلها أي ليقولنها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ :  
للؤس في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضي حتى يكون كالقمر ليلة  
البدر ، هل تدرون فيما أنزلت ؟ فإن له معيشة هناك ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال في طلب  
الكافر في قبره يسلط عليه تسمة وتسعون تينا هل تدرون ما التين تسمة وتسعون حبة لكن حبة  
سبعة رؤوس يحدثنونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ، ولا ينبغي أن يتعجب  
من هذا العدد على الخصوص فإن هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق الممومة من الكبير  
والرياء والحسد والغفل والحقده وسائر الصفات ، فإن لها أمولا معدودة ثم تشعب منها فروع  
معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات بأعقابها هي للمهلكات وهي بأعقابها تنقلب  
عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التتير والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤدي إلى ذلك  
الخبة وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بؤر البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن  
مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بؤر النبوة ، فأما هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية  
عد أرباب البصائر واضحة فمن لم تتكشف أي حقائقها فلا يسعى أن ينكر ظواهرها بل أقل  
درجات الإيمان التصديق والتسليم .

\*\*\*

## الباب السادس والعشرون

فِي بَيَانِ عِلْمِ الْيَقِينِ وَعَيْنِ الْيَقِينِ-

## والسؤال يوم العرض

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ يعنى لو تعلمون أمر اليقين بالهكاهم  
هى ذلك أى هى التكاثر والتفاخر ولعلمهم ما ينفعكم من الخير ولتركهم ما لا ينفعكم ، ويقال حقا  
لو تعلمون عليم اليقين كما يعلمه الرسل أن المال والحساب فى الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما  
اقتصرتم بالمال وكثرة العدد لتروا الجحيم . أقسم الرب أنكم ترون النار وشديتها يوم القيامة حينها  
ثم لترونها عين اليقين يعنى لتروا الجحيم ، الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة  
التي لا شك فيها ، فإن قيل ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للأنبيا  
بنسوتهم ، وعين اليقين للملائكة لأنهم يحايتون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسى  
فتكون لهم عين اليقين . إن شئت قلت علم اليقين علم للموت والقبور وللأحياء لأنهم يعرفون بأن  
الأموال فى القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للأموال لأنهم يحايتون القبور ،  
إما روضة من رياض الجنة وأما حمرة من حفر النار . وإن شئت قلت علم اليقين علم القيامة  
وعين اليقين معاينة القيامة وأحوالها وأن شئت قلت عليم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين  
الرؤية ﴿ فَمَن تَسَاءَلُونَ يُجِيبُهُمْ ﴾ يعنى تستألفون يوم القيامة عن نعم الدنيا من صحة الأبدان  
والأسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المأكول والمشارب وغير ذلك هل أدبتم شكرها لمولاهما  
وعرضتموه بها أم كفرتم بها .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ الْكَافِرُ ﴾ يعنى عن الطاعة ﴿ حَتَّى زَوَّيْتُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ يقول حتى يأتيكم الموت ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى لو قد دخلتم قبوركم ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم ﴿ كَلَّا لَر تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيُسْنِ ﴾ قال لو قد وضعت على أعمالكم ميز يميز بينكم ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فجاج مسلم ومخدوش مسلم ومخدوش فى نار جهنم ﴿ ثُمَّ لَنَسْأَلُ عَنْهُمْ عَنْ النَّعِيمِ ﴾ <sup>(١)</sup> يعنى شمع الطوبى ويارد اشراب وظلال المساكن وعتلات الخلق ولذة لوم . وعن علي - رضى الله عنه - قال العليم الصالحية . وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ فى الآية قال ناس من أمتي يعقدون النسيان والعسل النقي فيأكلونه . وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة يا رسول الله أى نعيم نحن فيه وإنما يأكل فى انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه ﷺ قل لهم اليس تحتفون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم . وروى الترمذى

(١) به (٨) سورۃ النکاح

(١) ايه (٩٩ - ١٠٠) سورة الاحقاف

وعبره - ب - برث ﴿ أَنهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فقرأ حتى بلغ الحميم قالوا يا رسول الله أى مقيم نستل منه وأنت هذا الأسودان الماء والنمر وسوقنا على رقابنا والعنود حاضر فمن أى مقيم سأل . قال أما أن ذلك سيكون . ومن أى مقيم - رضى إليه - قال . قال رسول الله ﷺ : « أن أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من التميم أن يقال له ألم نصبح نك جسمك ونزوك من الماء البارود » <sup>(١)</sup> وروى مسلم وغيره عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال خرج النبي ﷺ فإذا هو بأبى بكر وعمر فقال : ما أخرجكمما من بيوتكما الساحة قالوا الجوع يا رسول الله ، قال والذي نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجك من بيوتكما فقاما معه ، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا فقال النبي ﷺ أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله ﷺ وصحابه فقال الحمد لله ما أحد طيرم أكرم أضيافا منى ، فانطلق فجاء بعدنق فيه بسر وجر فقال كلوا من هذا وأخذ المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ إياك والمحلوب فليبع لهم ماكلوا من الشاة ومن ذاك العلق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - : والذي نفسى بيده لتسألن عن هذا التميم يوم القيامة .

### باب السابح والاربعون

#### فى فضل ذكر الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُحْسِنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> قال ثابت البناني - رحمه الله - إنى أعلم منى يذكرنى ربى عز وجل معزوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا انْقَضَتْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ لَئِذَا قُضِيَتْ صَلَاتُكُمْ فَالْأَذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ﴿ لَئِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَالْأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> قال ابن عباس - رضى الله عنهما - أى بالليل والنهار وبهر والبحر والسر والخصر والنس والمفر والمرص والصحة والسر والملاية . قال تعالى فى دم المساقين : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وقد عز وجل : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ النَّجْهِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قال ابن عباس - رضى الله عنهما - له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه . ولاخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات . وقال رسول الله ﷺ ذكر الله فى

الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم . وقال ﷺ : ذكركم لله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين . وقال ﷺ : يقول الله عز وجل أنا يوم يحلى ما ذكرنى وتحركت شعثا بى . وقال ﷺ : ما عمل ابن آدم من عمل أغنى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا يا رسول الله ولا اخيهاد من سبيل الله قال ولا اخيهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسمك حتى يقطع ثم تضرب به حتى يقطع . وقال ﷺ : من أحب إن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل . وسئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل فقال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى عز وجل . وقال ﷺ : أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله نصيح ونس وليس عليك خطيئة . وقال ﷺ : لذكر الله عز وجل بالمعاش والموت أفضل من حطم السيف فى سبيل الله ومن إعطاء المال مسحا وقال ﷺ : يقول الله تبارك وتعالى : « إذا ذكرى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإذا ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا غير من مثله . وإذا تقرب منى شيئا تقربت منه فراهها وإذا تقرب منى ذرها تقربت منه ياهها وإذا مضى إلى هرولت إليه » يعنى بالهرولة سرعة الإجابة . وقال ﷺ : سمعة يظلم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلتهم رجل ذكر الله غالبا ففاحست عيناه من خشية الله <sup>(١)</sup> ، وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم . قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما . وقال ﷺ : قال الله عز وجل : « من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » <sup>(٢)</sup> والمفضل بلغنا أن الله عز وجل قال : « يا عبدى أذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما » وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول : « أيما عبد أطلعت على قلبه لم رأيت القلب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليلة ومجانية وأنيته » .

وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند حرم الله عز وجل .

ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل ، وقال معاذ بن جبل - رضى الله عنه - ليس يتحضر أهل الجنة على شىء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . وقال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وخشيتهم الرحمة وذكروهم الله تعالى فيمن عنده » <sup>(٣)</sup> . وقال ﷺ : ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم متاد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بذلت لكم سيئاتكم حسنت . وقال ﷺ : ما قد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على

(٢) (حسن) الترمذى (٢٩٢٦)

(١) (صحيح) البخارى (٦٦٠) .

(٢) (صحيح) أحمد (٤٩ / ٢) ، (صحيح) الجامع (٥٦٠٨)

(١) الطبري (٣٠ / ١٨٦) ، والذليل للثور ٣٨٨ / ٦ . (٢) أية (١٥٢) سورة النمر . (٣) أية (١٩١) سورة آل عمران . (٤) أية (١٠٣) سورة النور .

أبى الله أن كان عليهم حسرة يوم القيامة . وقال داود - عليه السلام - إلهي إذا رأيتني أجوز محاسن الدائرين إلى مجالس العافلين فأكسر وجلي دونهم فإنهم نعمة نعم بها عبي ، وقال صلى الله عليه وسلم : لا يجلس الصالح يكفر عن الذنوب ألفي ألف مجلس من مجالس السوء .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تترأى النجوم . وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اهتز الشيطان والديب فيقول الشيطان للعنبا ألا ترى ما يصنعون فتقول الدنيا دهمهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأصنافهم إليك .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه دخل السوق وقال أراكم هنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يفكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تتادوا هلموا إلي بفتيكم فيجيتون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادي يصنعونه ، فيقولون تركناهم يحمولوك ويمجولوك ويسبحونك ، فيقول تبارك وتعالى وهل رأوي فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتمجيذا فيقول لهم من أي شيء يتعبدون ، فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها ، فيقولون لا ، فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد تقورا ، فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون ، فيقولون الجنة ، فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكفوا أشد عنها حرصا ، فيقول جل جلاله إني أشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقولون كان فيهم ملان ولم يردهم إنما جاء الحاجة ، فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم <sup>(١)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم : أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما معناه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة ، كانت له حرزا من الشيطان يومه وعند له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم : من عبد توصا بأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

(١) (صحيح) أحمد ١ / ٤٤ ، وصحيح الجامع (٢١٣٧)

### الباب الثامن والأربعون

#### في فضائل الصلوات

قال الله تعالى - ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَفَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفاهن بحشون كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذب به وإن شاء ادخله . وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل مهر علب فخير يباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما تروى ذلك يبقى من دهره ؟ قالوا لا شيء ، قال صلى الله عليه وسلم فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدور ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر . كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَ بُدْهِنِ السُّبُحَاتِ ﴾ ومعنى بدھيتها يكفرها حتى كأنها لم تكن . وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود إن رجلا أصاب من امرأة ليلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك كأنه يسأل عن كفارتها فأنزلت عليه ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي هُنَّ ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية . فقال الرجل يا رسول الله إلى هنا قال هي لمن عمل بها من أمتي . وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا قال أقممت الوضوء وصليت معنا أنا ؟ قال نعم قال فأنك من خطبتك كيوم وليلتك أمك فلا تعد . وأنزل الله حيثط على رسول الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ الآية وقال صلى الله عليه وسلم : « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من لقي الله وهو مصيب للصلاة لم يعأ الله بشيء من حسنته » <sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين . وسئل صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لو أقيمتها . وقال صلى الله عليه وسلم : من حافظ على الخمس بأكمل طهورها ومراقبتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان . وقال صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة الصلاة » <sup>(٤)</sup> . وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة لم يتركها . وقال صلى الله عليه وسلم : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من الله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من الله » .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج حامداً إلى الصلاة فإنه

(١) به (٣) ، سورة البقرة

(٢) تحف السادة شريف ٣ / ٤

(٣) به (١٤) سورة هود  
(٤) (صحيح) الترمذي (٤) ، وصحيح الجامع (٥٦٦٥)

في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوته حسنة ونعمى عنه بالآخرى سبباً ، بهذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أضيقكم أجراً أهدكم داراً قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وقال رسول الله ﷺ : ما أقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود عصى . وقال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة

وروى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يزوجني مراقتك من أختي فقال ﷺ أصي بكثرة السجود . وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ وَسُجِدُوا وَالْقُرْآنُ ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ سِجِّتُمْ فِي دُجُوهِهِمْ مِنْ أُنْزُورِ السُّجُودِ ﴾ (٢) ففيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، فليل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح ، وقيل هي الغرائثي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء . وقال ﷺ لما فرأى ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيكي ولقوله يا ويلاء أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار .

وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكفوا يسومونه السجدة .

وروى أن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوصف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل الرض لما بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حول بيني وبين ذلك . وقال سعيد ابن جبور ما أسى على شيء من الدنيا ما أسى على السجود . وقال حنيفة بن مسلم ما من غصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يفر ساجداً . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أقرب ما يكون للعبد إلى الله عز وجل إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك

### الباب التاسع والأربعون

#### في بيان عقوبة تارك الصلاة

قال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (١) لأننا لم نذكر من أهلها (٢) ولم نذكر نعيم المكين (٣) وكنا نغرض مع الخاضعين (٤) .

(٢) سورة الصبح

(١) سورة البقرة (١٩٠-٢٢٠) سورة البقرة (٢٢٠-٢٢٩) سورة البقرة (٢٢٩-٢٣٠)

وأخرج أحمد : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (١) ومسلم « بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة » وأبو داود والنسائي : « ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة » والترمذي « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » وابن ماجه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ، وصح كما رويته في غير ذلك أنه ﷺ قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » والطبراني بإسناد حسن « ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهرا » وفي رواية : « بين العبد والكفر أو الشرك » .

ترك الصلاة فإد

عن عبيدة بن عبد الله - رضي الله عنه - أوصاني خليلي ﷺ بسبع خلال ١ قال لا تشركوا بالله شيئا وإن طعنتم أو حرمتم أو صدمتم ، ولا تتركوا الصلاة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة ، ولا تركبوا المنصبة فإنها سحق الله ، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها . . . الحديث والترمذي كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وصح خبر « بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » . والبزار : « لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » (٢) والطبراني لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد . وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال « أوصاني خليلي ﷺ أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن حرقته ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها باب كل شر » .

والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الخدقة قبل مداويك وبدع الصلاة أي ما قلت لا إن رسول الله ﷺ قال « من ترك الصلاة نفى الله وهو عليه غضبان » (٣) .

والطبراني بسند لا بأس به في المتابعات « أتى رسول الله ﷺ وجل فقال يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا فعلته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقته ، وأطع والدك وإن أخرجك من مالك ومن كل شيء هو لك ، ولا تترك الصلاة متعمداً فإن من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله . . . الحديث .

وهي رواية متدها صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقته ، ولا تعفن والدك وإن أمرك إن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من

(٢) (صحيح) مجمع الرواة ١ / ٢٩٢

(١) (صحيح) أحمد ٣ / ٣٨٩ .  
(٣) مجمع الرواة ١ / ٢٩٥

ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فإنه أى شربها رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سحق الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس وإن أصاب الناس موت فابيت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم في الله .

وابن حبان في صحيحه « يكرهوا بالصلاة في يوم النسيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر » .

والطبراني عن أئمة مولاة رسول الله ﷺ قال : « كنت أصيب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ، ولا تعصى والدنياك وأن أمرك إن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ، ولا تشربن خمرا فإنها مفتاح كل شر ولا تترك صلاة متعمدا ، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » . الحديث .

وأبو نعيم « من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار من يدخلها » والطبراني والبيهقي « من ترك الصلاة لما أمر الله به وأمره وماله » والحاكم بن علي أنه ﷺ قال « والله يا معشر قريش لتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين » . . . الحديث .

والبزار « لا مبهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » .

وأحمد مرسل « أربع فريضات لله في الإسلام فمن أتى بثلاث لم يفتن عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا ، الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت » .

والأصبهاني « من ترك صلاة متعمدا حبط الله عمله وموتت منه ذمة الله حتى يرجو الله عز وجل توبة » . والطبراني « من ترك الصلاة فقد كفر جهارا » . وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تترك الصلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فإنه برئت منه ذمة الله ورسوله » . وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي - رضي الله عنه - قال « من لم يصل ، فهو كافر » ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس « من ترك الصلاة فقد كفر » . وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال « من ترك الصلاة فلا دين له » وابن عبد البر موقوفا على جابر « من لم يصل فهو كافر » ، وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبي الدرداء قال « لا إيمان لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » .

وقال ابن أبي شيبة قال النبي ﷺ : « من ترك الصلاة فقد كفر » وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول سمعت عن النبي ﷺ « أن تارك الصلاة كافر » وكذلك كان رأى أهل العلم من لون النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدا من غير علم حتى يذهب وقتها كافر . وقد أيوب ترك الصلاة

كفر لا يختلف فيه . وقال تعالى : « فحلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٢٥) إلا من تاب » (١)

قابن مسعود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلي ولكن أضاعوها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين : هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتي العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أو علمه الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره ، شديد عقابه . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الضالون » (٢)

قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعته أو صعبته أو ولده كان من الضالين ، ولهذا قال ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب خسر » . وقال تعالى : « فترى للمصلين (٣) الذين هم عن صلاتهم ساهون » (٣) . قال ﷺ : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه « أنه ﷺ ذكر الصلاة يوما لقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » .

قال بعض العلماء وإنما حشر مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه ، أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه ، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه .

والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال « سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل : « الذين هم عن صلاتهم ساهون » قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » ، وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي : يا أبتاه أرايت قوله تعالى : « الذين هم عن صلاتهم ساهون » أيت لا يسهر أيت لا يحدث معه ، قال ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت . والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله ويندم على ما فرط .

وابن حبان في صحيحه « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » . والشيوخ والأربعة  
 « الذي يتره صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »<sup>(١)</sup> ، راد ابن خزيمة في صحيحه قال مالك  
 يتره فذهب الوقت ، والنسائي « من هذه الصلاة يعني فكأنما وتر أهله وماله يعني العصر »  
 ومسلم والساني « أن هذه الصلاة يعني العصر عرّض على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ  
 منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطبع الشاهد « أي النجم . وأحمد  
 والبخاري والنسائي « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ، وأحمد بإسناد صحيح وابن أبي  
 شيبة « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تقوته فقد حبط عمله » وابن أبي شيبة مرسل « من ترك  
 العصر حتى تغيب الشمس من غير حذر فقد حبط عمله » ، وعبد الرزاق « لأن يوتر أحدكم أهله  
 وماله خير له من أن يقوته وقت صلاة العصر »<sup>(٢)</sup> . والطبراني وأحمد « من ترك صلاة العصر  
 متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله » ، والشافعي والبيهقي « من فاتته الصلاة فكأنما  
 أوتر أهله وماله » .

والبخاري عن سعدة بن جندب - رضي الله عنه - قال « كان رسول الله ﷺ عما يكثر أن يقول  
 لأصحابه من رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني  
 الليلة آتيان وأنهما أتبعنا بي وأنهما قالوا لي إنطلق واتى إصطبلت معهما وإنا أتينا على رجل  
 مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيلغ رأسه فيشدده الحجر ،  
 أي فيندرج فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعله  
 في المرة الأولى قالت قلت لهما سبحان الله ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فأتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر قائم عليه بالكلب من حديد إذا هو ياتي أحد شقي  
 وجهه فيشرشر أي يشق شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه . قال وربما قال أبو رجاء  
 فيشق ، فقال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، قال فما يفرغ من  
 ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى ،  
 قال قلت سبحان الله ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على مثل التنوير ، قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لفظ وأصوات قال  
 فاطلنا عليه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتونهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك  
 الدهب هوضوا أي يفتح المجمعين وسكون الراوي صياح مع انضمام ونزع . قال قلت ما  
 هؤلاء قالوا لي انطلق انطلق .

(١) (صحيح البخاري) (٥٢٢) ، ومسلم (٦٢٦)  
 (٢) الطبراني ١٩ / ٢٣٠ ، ومجمع الرواة ١٠ / ٣٠٨

قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا هو في النهر رجل  
 سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق يسبح  
 ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فإى بقاء فمجمعة مفتوحين فتح ماء فالقمة حجرا . قلت لهما ما  
 هذه قالوا لي انطلق انطلق

فانطلقنا فأتينا على رجل كبره المرأة كأكبره ما أتت راه ورجلا مرثيا وإذا عنده نار يحثها (أي  
 بمحلاة مضمومة لمجمعة) يوقدها ويسعى حولها ، قال قلت ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا على روضة معتمة أي طويلة النبات من أعتم إذا طال فيها من كل نور الريح وإذا بين  
 ظهراني الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان  
 رأيهم ، قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة ثم أر دوحة فط أعظم ولا أحسن منها قالوا لي أرق فيها  
 فارتقت فيها إلى مدينة مبية بلى ذهب ولين فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخناها  
 فلقنا رجلا ، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راه وشر منهم كأقبح ما أنت راه قالوا لهم أذهبوا  
 فقموا في ذلك النهر ، قال وإذا النهر معترض بجرى كأن مائه للمحس أي الخالص في البياض ،  
 فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالوا لي هذه  
 جنة عدن وهذا منزلك ، فما أي ارتفع بصري صعدنا بهمتين إلى فوق فإذا قصر مثل الربابة أي  
 السحابة البيضاء قال قالوا لي هذا منزلك ، قال قلت لهما بارك الله فيكما فلهذين فأدخله قالوا أما  
 الآن فلا وثقت داخله ، قال قلت لهما فأتيت من الليلة عجبيا فما هذا الذي رأيته ، قال أنا  
 متحرك .

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلج رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ويسم  
 عن الصلاة بالكنوة

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه  
 الرجل يغلب من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الأفاق

وأما الرجل والنساء العراة اللين هم في مثل به التنوير فإنهم الرية والروى

وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا .

وأما الرجل الكبره المرأة الذي عند النار يحثها ويسعى حولها فإنه مالك لخازن النار

وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، أما الولدان الذين حول فكل مولود مات  
 على لفطرة

فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين .

وأما الصوم الذي كانوا شطروا منهم حسن وشر منهم قبيح فإنهم فرموا غلطوا عملا صالحا وأخر سيئا مجاورا لله عنهم .

وفي حديث البزار قال : ثم أتى النبي ﷺ على يوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رخصت عادت كما كانت ولا يستر عنهم من ذلك شيء . قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تناقلت رؤوسهم عن الصلاة .

وأخرج الخطيب وابن النجار على ، الإسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بعدها ووقتها وستبها فهو مؤمن . وابن ماجه قال : قال الله تعالى « افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي بهذا أن من حافظ عليهن لوقتتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي » .

وأحمد والحاكم « من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأدائها دخل الجنة » ، والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون - ثم عمله على ذلك » والنسائي « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس في الدعاء » .

وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أتمها كتبت له تامة وإن لم يكن أتمها قال ملائكتك انظروا هل يحمدون لعبدى من تطوع فيكملون بها فريضته ، ثم الزكاة ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » (١) . والطبراني « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر » .

وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم : « أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة يقول ربنا عز وجل ملائكتك وهو أعلم انظروا في صلاة عبدى أتمها أم نقصها ، فإن كانت تامة كتبت تامة وإن كانت انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع أعزوا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم يأخذ بالأعمال على ذلك » .

والطبراني والطبراني . والضياء في الاختارة « أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول إنى افترضت على أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن على

وخسوتهن وموافيتهن وركوعهن وسجودهن كأن له بهن عهد أن أدخله الجنة ، ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئا فليس له عندي عهد إن شئت عذبت وإن شئت رحمت » .

والبيهقى « الصلاة ميزان فمن أوفى استوفى » (١) . والذهلى « الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره » ، والتحاب في الله والتودد في العلم يقطع دبره فإذا فعلتم ذلك تباحد منكم كمثل الشمس من مغربها » (٢) . والترمذي وابن حبان والحاكم « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وآدوا زكاة أموالكم وأطيعوا دوى أمركم تدخلوا الجنة بكم » .

وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله » . والبيهقى عن عمر - رضى الله عنه - قال « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله فى الإسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » . ولذلك لما عمن عمر رضى الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما أنه لا حظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى - رضى الله عنه - وجرحه يجرى دمه .

وروى الذهلى أنه ﷺ قال : « إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني ، وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها » .

وأخرج أبو داود أنه ﷺ قال « ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة ديارا أى بعد أن تغرته » .

قال بعضهم ورود فى الحديث « أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال ، يرفع عنه شيق العيش ، وعذاب القبر ، ويمطيه الله كتابه يومئذ ، ويمر على الصراط كالبرق » ، ويدخل الجنة بغير حساب . ومن تهان عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس فى الدنيا ، وثلاث عند الموت ، وثلاث فى قبره ، وثلاث عند محروجه من القبر .

فأما اللواتى فى الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره ، والثانية لمحوسبها الصالحين من وجهه ، والثالثة كل عمل يعمل لا بأجره الله عليه . والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين .

(١) صحيح ( كثر الأعمال / ١٨٨٩٢ ) ، وصحيح ( خاتم / ٢٥٧٣ )

(٢) ( صحيح ج ) كثر الأعمال ( ١٨٨٩٣ ) ، وصحيح ( الجامع / ٣٥٦٠ )



وأما التي تصيبه عند الموت فينبأه الموت فيلأ ، والثاني يموت جاعاً ، والثالثة يموت عطشاً ، ولو سقى جحر الدنيا ما روى من عطشه .

وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر ناراً فيقلب على أجبر ليلاً ونهاراً ، والثالثة يسقط عليه في قبره نيران سمه الشجاع الأقرع عيبه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع ، لأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمري ربي أن أصيرك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأصيرك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، وأصيرك على تضييع الصلاة المغرب إلى المغرب ، وأصيرك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأصيرك على تضييع صلاة العشاء إلى الفجر ، فكلما ضربه ضربة يفوق في الأرض سبعين فراساً ، فلا يزال في القبر معذب إلى يوم القيامة .

وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فتشده الحسب ، وسخط الرب ، ودحول البار .

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاث أسطر مكتوبات ، السطر الأول يا مضيق حق الله ، السطر الثاني يا مغموصاً بغضب الله ، السطر الثالث كما ضيقت في الدنيا حق الله فأيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن الفصل أربع عشرة فقط . فعمل الراوي نسي الخامس عشر .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل لموقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب عبداً ، فيقول تعالى تأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذباً .

قال بعضهم أيضاً وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه : « قولوا اللهم لا تدع بيننا شقياً ولا محروماً » ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم قتلوا ويس هو يا رسول الله قال تارك صلاة .

قال أيضاً يروى أنه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تارك الصلاة وأن في جهنم وأدياً يقال له لمم فيه حيات كل حية بشخن رقة البعير طولها مسيرة شهر تلمع تارك الصلاة فيخلو سمها في حمله سبعين سنة ثم ينهرى حمله .

قال وروى أيضاً أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى - صلى الله عليه وسلم - نبيها وعليه

وعلى سائر النبيين . « فقامت يا سي الله أدنيت دنيا عظيماً وقد تبت إلى الله تعالى فادع الله أن يعصر لي دمي ويشوب علي ، فقال لها موسى وما حدث ، قالت يا نبي الله رثيت وولدت ولد . فقتلته ، فقال لها موسى - صلى الله عليه وسلم - عليه أفضل الصلاة والسلام - أخرجني بما جرة لا تزل نار من السماء فتحرقك شؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب بمنزل جبريل - عليه السلام - وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت الثالثة يا موسى أما وجدت شراً منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة حاملاً متعمداً .

وقال أيضاً روى عن بعض السلف أنه دفن أخاً له ماتت لسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع إلى قبرها فقبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزناً فقال يا أمه أخوك يني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤا لك عنها قال يا أمه رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً قال فيبكت وقالت يا ولدي كانت أخطك شهواتك بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يعلى فتسأل الله تعالى أن يعسا على الحافظة عليها بكلماتها إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

### باب الضمور

#### في بيان موهبات جهنم وعذابها

قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سِتْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مُقْسُومٌ ﴾ (١) والمراد بالجزة هنا الحزب والطائفة والعريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق . قال ابن جرير النار سبع دركات وهي جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم مقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ، والرابعة للصابئين ، والخامسة للمجوس ، والسادسة للمشركين ، والسابعة للمنافقين ، معهنم أعلى الطبقات ثم ما يعلمها تحتها . ثم كذلك .

قيل والمعنى أن الله تعالى يجزئ أتباع إبليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلهذا اختلعت مراتبهم في النار ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان واليطن والبرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة .

رضي الله عنه - قال أطيان جهنم سبعة بعضها فوق بعض ليملا الأول ثم الثاني  
لاكلها

الخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « جهنم  
سها إلى سل السيف يلي أمي - وروى الطبراني في الأوسط أن جبريل جاء إلى  
من غير حجة الذي كان يأقبه فيه ، فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي  
أه قال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بفتح النار ، فقال رسول الله ﷺ يا  
أه النار أو أتعت جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها  
نار ، فبقيت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام  
فهي سوداء مظلمة لا يهدأ شررها ولا يطمأ لها والذي يبعث بالحق نبيا لو أن قدر  
من جهنم مات من في الأرض كلهم جميعا ، والذي يبعث بالحق لو أن خزانا من  
نار جهنم مبرور إلى أهل الدنيا مات من في الأرض كلهم جميعا ، من قبح وجهه وقرن ريحه ،  
والذي يبعث بالحق لو أن حلقة من خلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على  
الذي لا يبعث بالحق لكانت وما تفرقت حتى تنهى إلى الأرض السفلى .

قال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا تنصدع قلبي فأمرت ، قال فنظر رسول الله ﷺ إلى  
أهله فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ، فقال ومالي لا أرى  
أهلي أبكي ، فقلت ما أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدرى لعلي أبكي ،  
فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلي أبكي بما أبكي به هاروت وماروت ، قال  
رسول الله ﷺ ويكي جبريل ، فمدألا بيكيك حتى نودي أن يا جبريل ويا محمد إن الله  
أمر أن تمصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر يقوم من الأنصار يصحبون  
أصحابهم ووراءهم جهنم ، فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبعثتم كثيرا ولما  
مضوا فخرجتم إلى الصعدات فجأروا إلى الله عز وجل ، فنودي يا محمد لا  
تبعثك ميثرا ولم أبعتك معسرا - فقال ﷺ سدحوا وقاربوا .

مرام أحمد أنه ﷺ قال لجبريل : « مالي لا أرى ميكايل ضاحكا قط قال ما ضحك  
من النار » (١) . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة  
معام مع كل زمان سبعون ألف ملك يجرونها .

\*\*\*

### الباب الواحد والخمسون

#### فمن بيان عذاب جهنم أيضا

روى أبو داود والسنائي والترمذي وصححه وما معناه لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل  
جبريل إلى الجنة ، فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر إليها وإلى ما أعد الله  
لأهلها فيها فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحطت بالكاهن فقال  
إني خشيت ألا يدخلها أحد فقال ارجع إلى النار فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب  
بعضها بعضا فرجع إليه . فقال وعزتك لا يسمع أحد قيدخلها ، فأمر بها فحطت بالشهوات ،  
فقال ارجع إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

والبيهقي يستدل بأش به عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي  
بشعر كالفصص ﴾ (١) أما أني لست أقول كالشجر ولكن كالخوص والمداخن ، وأحمد وابن ماجه  
وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه : « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا  
قبل أن يبلغ قعره » (٢) والترمذي « ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ  
قعره » . وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب  
الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمئة مرة ، قيل يا رسول الله من يدخله قال  
أعد للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ، الجورة .  
والطبراني أن في جهنم لودايا تشبه جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمئة مرة أعد للمرائين  
من أمة محمد ﷺ . وابن أبي الدنيا : إن في النار سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب  
في كل شعب سبعون ألف حجر في كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار . والبخاري في تاريخه  
يستدل فيه نكارة أن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب ، في كل شعب  
سبعون ألف دار ، في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون  
ألف ثعبان في شدة كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينهي الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله  
والترمذي يستدل فيه انقطاع أن الصحرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتعوى فيها سبعين  
خريفا وما تفضي إلى قرارها .

وكان عمر - رضي الله عنه - يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وأن  
مقامها حديد . والبخاري وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي لو أن حجرا قذف به في  
جهنم لهورى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها . ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال

(١) آية (٣٢) سورة المراتل -  
(٢) (ضميف) أحمد ٧٥ / ٣ ، والترمذي (٣١٦٤) ، وضميف الجامع (٦١٤٨)

فدسمنا وجبه فقال النبي ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا من جهنم مثل سبعين خروفاً لئلا ن حين انتهى إلى قعرها . والطيراني عن أبي بصير رضي الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ صوتاً هاله فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال : ما هذا الصوت يا جبريل ، فقال هذه صخرة هوت من شعير جهنم من حين يلبث يقعرها فأحبب الله تعالى أن يسمعك صوتها . فما روى رسول الله ﷺ فيه حتى قرعه الله عز وجل . وأحمد والترمذي وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه أجمعة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبغلت الأرض . ثم أرسلت من رأس السلالة لآرت أربعين خروفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أحمد وأبو يعنى وأخاكم وصحبه لو أن مقعاً من حديد جهنم وضع في الأرض لآلت ما أقلوه من الأرض ، وأخاكم وصحبه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد من فحلر ملدا ، ( المقمع المطراق ونيل السوط ) وابن أبي الدنيا أن الحجر الواحد منها جبال الدنيا لذبت منه وأن مع كل إنسان منهم حجراً وشيطاناً . وأخاكم وصحبه تسبع بين كل أرض ، والتي تلبث مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت في السماء والحيوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثابتة مسجن الرياح فلما أراد يهلك عاد أمر خازن الرياح أن يرسل عليهم ريحاً تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من بحر القشور ، قال له الجبار تبارك وتعالى إذن تكلم الأرض ومن عليها ولكن لم يقلو غاتم فهي التي قال الله في كتابه العزيز ﴿ ما قلن من شيء أتت عليه إلا جفافته ﴾ والثالثة فيها حجارة جهنم ، والرابعة فيها كبريت جهنم ، قالوا يا رسول الله اللبار نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لدمت فيها حيات جهنم أن أفواها كالأودية تلعب الكافر اللعة فلا يلقى منه لحم واللعة فيه عقارب جهنم أن أدنى عقرب منها كالخيل للوكفة تضرب الكافر بسيفه حر جهنم ، والسابعة فيها إيليس مصعد بالعنيد يد أمامه ويد خلفه فإذا أراد أن يمشي رعاها أطلقه .

١- الصبرنى وابن حبان فى صحيحه واحكام وصححه أن فى النار حيات كأمثال  
٢- ثلث أحدها النسعة فيجذ حرها سبعين خروفا ، وأن فى النار عقارب كأمثال  
٣- ثلث أحدها النسعة فيجذ حموها أربعين مرة . والترمذى وابن حبان فى  
٤- صحيحه عنه **عنه** فى قوله بارك وتعالى : ﴿ كَاتِبُهَا ﴾ قال كعب بن الزيت مراد  
٥- به سائر مروء وجهه فيه والترمذى وقال حسن غريب صحيح أن الحميم ليصب على

رأس الكافر فينزل الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيست ما في جوفه حتى يمرق من قلميه وهو  
 الصهر ثم بعد ذلك كما كان الحميم للماء الحار الذي يهرق . **« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ مِنْ  
 تَعَالَى الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ يُسْفَوْنَ وَيُسَبَّحُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ »** ، وثيل هو ما يجتمع من صواع أعينهم في  
 حياض النار فيسقونه ، وقيل غير ذلك وهو المذكور في قوله تبارك وتعالى : **« وَاقْبُوا مِنْهُمْ  
 قَطْعَ أَعْيُنِهِمْ »** <sup>(١)</sup> وأحمد والترمذي وقال قريب والحاكم صحيح على شرط مسلم عنه  
**عَنْهُ** في قوله تعالى : **« وَنُفِخَ مِنْ قُورْئِينَ »** <sup>(٢)</sup> **« وَنُفِخَ مِنْ قُورْئِينَ »** <sup>(٣)</sup> قال بقرب إلى فيه  
 فيكرهه مردا دنا منه شوى وجهه ووقعت لروء رأسه فإذا شربه قطع أعماه حتى يخرج من دبره .  
 وقال الله عز وجل : **« وَاقْبُوا مِنْهُمْ قَطْعَ أَعْيُنِهِمْ »** وقال جل ذكره : **« وَإِنْ يَسْطَبِقُوا يَفْئَلُوا  
 بِمَا هُمْ كَائِمُونَ يَفْئَلُوا الْأُجُوهَ بِأَنْفُسِ الْفُتَرَاءِ »** وأحمد والحاكم صحيحه لو أن دلوا من خبثاق يهرق  
 في أنفيا لأنت أهل الدنيا والغساق وهو المذكور في قوله تعالى : **« فَلْيَذُوقُوا حِمِيمَ وَغَسَّاقِ »**  
 وقوله تعالى : **« إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا »** واختلف فيه لعند ابن عباس - رضي الله عنهما - هو ما يسيل  
 من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم ، وقال كعب هو عين في جهنم يسيل إليها حمة  
 كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستفقع ليوثي بالأدعي فيغمس فيها لحمة واحدة  
 فيخرج وقد سقط جلده ولحمه من العظام ويتعلق بجلده ولحمه في عقيه وكعبه فيجر لحمه كما  
 يجر المرء ثوبه . والترمذي وقال حسن صحيح أنه **عَنْهُ** قرأ هذه الآية **« تَقْبُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْبِهِ وَلَا  
 تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »** فقال **عَنْهُ** لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على  
 أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ، وفي رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره ، وصح  
 عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : **« وَطَعْنًا ذَا نَصَبٍ »** <sup>(٤)</sup> شوك يأخذ بالخلق  
 لا يدخل ولا يخرج ، والشيخان ما بين منكى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع ، والمكب  
 مجمع رأس الكتف والعنق ، وأحمد ضرر الكافر مثل أحد ، وفخذه مثل الياء أي وهو جبل  
 ومقعدة من النار كما بين قنيد ومكة أي نحو ثلاثة أيام وكشافة جلده اثنا وأربعون ذراعاً بلراع  
 الحار أي منك دليص له ذراع معروف المقدار . كذا قال ابن حبان وغيره . وقيل ملك بالعجم .  
 وروى مسلم ضرر أن قال باب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث . والترمذي ولفظه  
 قال رسول الله **عَنْهُ** : **« ضَرَسَ الْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَحَدٍ وَفَخْذُهُ مِثْلَ الْيَسَاءِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ  
 مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ مِنَ الرِّبَةِ أَيْ كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرِّبَةِ »** <sup>(٥)</sup> . وأحمد بسند جيد : **« ضَرَسَ الْكَافِرُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَحَدٍ وَهَرَضَ جُلْدُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَعَضْدُهُ مِثْلَ الْيَسَاءِ وَفَخْذُهُ مِثْلَ وَرْقَانٍ وَمَقْعَدُهُ مِنَ  
 النَّارِ مِثْلُ يَبْيِ وَبَيْنَ الرِّبَةِ »** وفي رواية ومقعدة من النار مسيرة ثلاث من الربة . وأحمد

(۱) ۱۵۰۰ سوره، (۲) ۱۵۰۰ سوره، (۳) ۱۵۰۰ سوره

(۲) آیه (۱۶، ۷) - سورہ زیر اہم  
(۱) (جس) - الزم مدی (۲۵۷۸)

عن أبيه ومياده في يوم من الأيام الحسن كما قاله الحافظ المنذرى . والترمذى عن الفضيل بن يزيد أن  
 جده يسحب يسانه العرجح والعرجحين يتوطأ الناس ، والفضيل بن يزيد عن أبي العجلان أن  
 جده يجبر سانه فرسخين يوم القيامة يتوطأ الناس . أخرجه البيهقي وغيره وهو الصواب . قال  
 رحمه الله : يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبع مائة  
 سنة وأن عظم جلده مسجون فواغا وأن خصره مثل أحد <sup>(١)</sup> . وأحمد يستند صحيح وصححه .  
 عن محمد بن عيسى بن عباس أتتني ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدري إن بين شحمة  
 إلى شحمة وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجري فيه أودية القبح والدم قلت أنهار قال لا بل  
 نوبة

### الباب الثاني والخمسون

#### قال بيان فضل الخوف من الذنب

أعلم أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسلطوته وحل حرقه عقابه  
 وخضوعه وطعته <sup>(٢)</sup> .

جاءه <sup>(٣)</sup> دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تمهلك قال أرجو الله يا رسول الله  
 وأخاف فتوى ، فقال رسول الله <sup>(٤)</sup> لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الوطن إلا أعطاه الله ما  
 يرجو وأتمه بما يخاف . وعن وهب بن الورد قال كان عيسى - صلى الله عليه وآله وسلم - على نبينا وعلى سائر  
 الأنبياء والرسل - يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المصيبة ويعدان العبد  
 من لدن الدنيا وشهواتها ومعاصيها . وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق  
 أحدهم عبد الفصير ذهبيا يخشى أن لا يتجو لعظم الذنب في نفسه . وقال رسول الله <sup>(٥)</sup> هل  
 تسمعون اسمع أطلت السماء وحق لها أن تظط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا  
 ومث محد له تعالى أو قائم أو راكع ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا  
 . خرجوا وصعدتم إلى الصعدات أي الجبال تجارون إلى الله تعالى خوفا من عقاب سلطوته وشدة  
 انتقامه . وفي رواية لا تدرون تتجرون أو لا تتجرون . وقال بكر بن عبد الله المزني من أتى الخطيئة  
 . فمر يصحب دخل النار وهو يكي . وفي الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب  
 . من صبر ورضي للصحيحين قام رسول الله <sup>(٦)</sup> حين أنزل عليه <sup>(٧)</sup> وأنبأ خبرك الأقربين <sup>(٨)</sup>  
 . من صبر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابني عبد مناف لا أغنى  
 من الله شيئا ، يا عباس هم رسول الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد

سليبي من مالي ما شئت لا أغنى عنكم من الله شيئا . وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت يا  
 رسول الله والذي يؤتون ما أتوا قلوبهم وجلة أنهم أتوا إلى ربهم واجمون ، يا رسول الله هو الذي  
 يزن ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله . قال لا يثبت أبي بكر يا بخت الصديق ولكنه  
 الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه . رواه أحمد . وقيل للحسن البصري  
 يا أبا سعيد كيف تصنع بمجالسة قوم يؤسونا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال له إنك والله  
 تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك  
 المخاوف . ولما طعن حمير بن الحظاب - رضي الله عنه - وفريت وفاته قال لا به والله ضيع غنى  
 على الأرض لا أم لك ، وويلي وأى ويلي إن لم يرجعني . وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا  
 أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الأمصار وفعل بك وفعل ، قال وددت أن أجرو  
 لا على ولا لي . وفي رواية لا أجرا ولا وزرا . وكان زين العابدين بن علي بن الحسين - رضي  
 الله عنهم - إذا تروضا وفسرغ من وضوئه أدخلته رعدة فقليل له في ذلك ، فقال ويحكم أتدرون  
 إلى من أقوم ولى أريد أن أتأجى .

وقال أحمد بن حنبل الخوف يمتنع من أكل الطعام والشراب لما أشتبه . وفي الصحيحين  
 أنه <sup>(٩)</sup> ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رجلا ذكر الله أي  
 وعبيده وعقابه خاليه ففاضت عيناه أي خوفا مما جناه والقرعة من المخالفات والذنوب . وفي  
 حديث ابن عباس عن النبي <sup>(١٠)</sup> أنه قال عيان لا تمسهما النار حين بكت في جوف الليل من خشية  
 الله وعين بأنت تخرس في سبيل الله تعالى وفي حديث أبي هريرة عن النبي <sup>(١١)</sup> أنه قال كل حين  
 باكية يوم القيامة إلا عينا غشت عن محارم الله وعينا سهوت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل  
 رأس الذباب من خشية الله تعالى . وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح عن أبي هريرة - رضي  
 الله عنه - ، وقال : قال رسول الله <sup>(١٢)</sup> لا يبلغ أى لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى  
 حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم . وقال عبد الله بن  
 العاص - رضي الله عنهما - لأن أضع دعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .  
 وقال عون بن عبد الله بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم  
 الله ذلك المكان على النار وكان لصبر رسول الله <sup>(١٣)</sup> أربع كآبر للرجل من الكآء أى قوران  
 وغياض كعبان انقدر على النار . وقال الكندي البكاء من خشية الله تطفى النعمة منه أمثال البخار  
 من النار . وكان ابن السملك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعلمين عمل المنافقين  
 ومع ذلك دابة بظلمين أب تدخليها هيهات هيهات للنجة قوم أحرون ولهم أعمال غير ما نحن  
 عاملون

وعن سفیان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصني ، قال

(٢) آية (٦٣) سورة النور

لا سيور لا مروءة لكذب ولا راحة لحسود ، ولا إحصاء للملوك ، ولا سؤدد لسي الخلق ، يا ابن رسول الله ردى ، قال يا سفيان كذب عن محارم الله تكن علينا وأرض بما قسم الله لك تكن مسلماً ، وأصحاب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من مجوره أى الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور فى أمرك الدين يخشون الله ، قلت يا ابن رسول الله ردى ، قال يا ابن رسول الله ردى ، قال أديس أبى بثلاث قال لى أبى بنى إن من يصحب صاحب سوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يشتم ، ومن لا يملك لسانه يندم . وقال ابن المبارك سألت وهيب بن النور أيجد طعم العبادة من يعصى الله تعالى ، قال لا ولا من يهيم بمصيبة الله تعالى . وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزى الخوف هو النار المحرقة للشهوات فإذا قضيتك بقدر ما يحرق من الشهوة ويقل ما يكف عن المصيبة ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف إذا هو فضيلة وبه تحصل العفة والتورع والتقوى والمجاهدة والأعمال العاقلة التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والأخبار كقوله تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِأَبَائِهِمْ يَرْجُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ إِذْ كُنْهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ سِذْكَرٌ مَنْ يَخْشَى ﴾ وكل مد دل من الآيات والأحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم . وأخرج ابن أبى الدنيا أنه عليه السلام قال : إذا أقشعر جسد العبد من محافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة اليابسة ورقها .

وقال عليه السلام قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَأَمِنْ مَكْرٍ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

### الباب الثالث والخمسون

#### عن بيان فصل التوبة

حاء من فصل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ ثَمَنٌ تَغْفِرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنُكِّلْهُ اللَّهُ إِلَى الْأَعْدَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُعَذِّبُهُ فِيهَا ﴾ (٢٨) إلا من تاب وأناب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً (٢٩) ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً (٣٠)

والأحاديث من ذلك كثيرة أخرج مسلم : « وأن الله يسطر به بالليل ليشوب منى النهار ويسطر به بالنهار ليشوب منى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (١) . والترمذى وصححه أن من قيل المغرب ليلاً مسيرة عرصة أربعون عاماً أو سبعون سنة فتحمه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يعنفه حتى تطلع الشمس منه . وصحح أيضاً أن الله تعالى جعل بالمغرب باب عرصة مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يهلك ما لم تطلع الشمس من قبله . ودلت قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَهْلِهَا بِبَعْضٍ نَفْسًا بِأَمَانَتِهَا ﴾ (٢) الآية . . . قيل وليس في هذه الرواية ولا الأولى تصحيح بله كما صرح به البيهقي . . انتهى . ويجاب بأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأى منه حكم المرفوع ، والطبراني يستد جيد لجنة ثمانية أبواب مبيعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، وابن ماجه يستد جيد لو أخطأتم حتى تبلغ غطايكم السماء ثم تبتم لقلب الله عليكم والحاكم وصححه : « من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإجابة » (٣) والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، والشيطان أن عبداً أصاب ذنباً فقال يارب إني أذنبت ذنباً فاغفره لى فقال له ربه علم عبيدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر فقال يارب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يغفر له ، ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال يارب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فقال له ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء . قال المنذرى قوله فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب فما آخر فليعمل إذا كان هذا ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستمراره كعادة لأنه فلا يضره لا أن المعنى أنه أدب اللب فيستغفر منه بلسانه من غير إفلاج ثم يعاوده فإن هذه توبة للكلايين .

وروى جماعة وصححوه إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت تكتبه سوداء في قلبه فإن تاب وتزع واستعصر صقل منها وإن زاد زادت حتى يخلق بها قلبه فلذلك التراب الذي ذكره الله في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ والترمذى وحسنه أن الله لا يقبل توبة العبد ما لم يفرح أن تبلغ روحه خلقومه . والطبراني يستد حسن لكن فيه انقطاع . والبيهقي يستد فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدي رسول الله ﷺ فمضى ميلاً ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام

(١) صحيح (مسند) (٢٧٥٩)

(٢) سورة (٢٨) سورة (٢٨)

(٣) صحيح (الحاكم) ٢١٠ / ٢



عمر أهدب فلا شك في توثق ، فانطلق يريد بها حتى إذا كان بين القريتين أفرقه الموت ، فسالت الملائكة وبها عنه فقال انتظروا إلى أي القريتين كان أقرب فاكثبوا من أهلها فوجدوه أقرب إلى بصرة فبدا أهدب من أهلها

### الباب الرابع والخمسون

#### فصل ببيان النهي عن الظلم

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ ظَلَمَ ظُلْمًا فَلْيَمُوتْ أَوْ يُقْلَبْ يُقْلَبُونَ﴾ (١) وقال ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال ﷺ : « من ظلم شبرا من أرض طوفه الله من سبع أرضين يوم القيامة . وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري » (٢) .  
ما أحسن قول بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كانت مقشورا • • • لا تظلم يرجع عقبا إلى الندم  
تمام صيغتك والمظلوم منتبه • • • يدعوك حليك وهين الله لم تنم  
وقول الآخر :

إذا ما الظلوم استوطأ الأرض مركبا • • • ولـمـيـحـ غلوا فبيح اكتسابه  
فكـلـه إلى صرف الزمان ليله • • • صوري له ما لم يكن في حيايه

وقال بعض السلف لا تظلم الصعفاء فتكون من شرار الأقوياء . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أن الجباري لتموت هولا في وكرها من ظلم ظالم . وقيل مكتوب في التوراة ينادي ناد من وراء الحشر يعني الصراخ ، يا معشر الجبابرة الطغاة والمعشر للترميم الأشقياء إن الله سيحلف بعزته أن لا يحدور هذا الحشر اليوم ظلم ظالم . وعن جابر - رضي الله عنه - قال لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال ألا تحبوني بأهبي ما أريتم في أرض الحبشة فقال قتيبة وكان معهم على يا رسول الله يسما يحي يوما جنوس إذا مرت بنا صجور من مهاجرة تحمل على رأسها قنة من ماء ، فمرت فبني منهم فجعل إحدى يديه بين كفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتها وانكسرت قلنها ، فلما قامت انتفتت إليه ثم قالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي لجميع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل عما كانوا يكسبون سوف تعلم ما

أمرى وأمرك عنده غدا . قال قتال رسول الله ﷺ ما معناه كيف يرحم الله قوما ضاع الحق بينهم أو كما قال ، وقال ﷺ خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والآخرة بهم في الآخرة إلى النار . أمير قوم يأخذ حقه من وجهه ولا يتصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قوم يطعمونه ولا سوى بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يهتد بهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيرا فاستمعله ولم يوفه أجره ، ورجل ظلم امرأة في صداقتها . وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال أن الله تعالى لا خلق الخلق واستوتوا على اقتسامهم فقموا رموسهم إلى الله وقالوا يا رب مع من أنت ، قال مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه .

وعن وهب بن منبه - رضي الله عنه - : بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت صبيحة فقيرة فنت إلى جانيه شيئا تأوى إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها ، فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر بهدمه ، فجاءت المعجوز فرأته مهلوما فقالت من هدمه فقبل لها الملك رآه فهدمه ، فرفعت المعجوز رأسها إلى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة ففئت أين كنت . قال فأمر الله عز وجل أن يقلب القصر على من فيه قلبه .

وقيل لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أيت بعد العز صرنا في القيد والحبس ، قال يا بني دعوا مظلوم سرت بليل غفلت عنها ولم يمس الله عنها . وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا تناصر له إلا الله يقول في حسي الله ، الله يني وييك .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال يجرى لظلم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم فلقبه المظلوم وحرف ما في ظلمه بما يبرح الدين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينعوا ما بأيديهم من الحسنة فإن لم يجدوا لهم حسنة حملوا من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار . وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة خروا بهما فيناديهم ناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا ينفي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار أن يدخل النار وحينئذ مظنة حتى القلعة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا ، قلنا يا رسول الله كيف وإنما نأني حفاة عراة خروا بهما ؟ قال بالحسنة والسيئة جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا . وعنه ﷺ أنه قال : من ضرب موطئا ظلما أقصص منه يوم القيامة

وعا ذكر أن كسرى اتخذ مؤديا لولده يعلمه يؤديه فلما بلغ الغاية في الفضل والأدب استعصره المؤدب يوما وفهره غريبا وجيما من غير جرم ولا سب ، ففقد الولد على المعلم إلى

(١) آية (٢٢٧) سورة الشعراء .  
(٢) (ضعيف) الدر المنثور ١ / ٣٥٣ ، وضعيف الجامع (٨٦١)

أن كرم ومات أبوه فتولى أملاك بعده ، فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن تصرى من يوم كذا صبراً وحجماً من غير جرم ولا سب ، فقال له المعلم أعلم أيها الملك أنك لما بلغت العاية من العسل والادب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذكك طعم الصرب وآلم الظلم حتى لا تنظم أحداً بعد فقال له جزاك الله خير ثم أمر له بجائزة وعصره .

### الباب الخامس والخمسون

#### فى النفس عن ظلم اليتيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً ﴾ (١) قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولى مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلماً أى لأجل أو حال كونهم ظالمين خرج به أكلها بحق كأكّل الولي بشرطه المقررة في كتب الفقه . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ ظَلُومًا فَلْيَسْتَعِظْ وَمَنْ كَانَ ظَلُومًا فَلْيَتَّقِ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) أى بمقتضى الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضاً أو بقدر أجره عمله أو بأن يضطر فإن أسرف قضاه وإلا فهو في حل . وقد نه تعالى على تأكيد حق الأيتام ومزيد الاحتناء به بقوله قبل هذه الآية : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً فَاعْلَمُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ (٣) إذا المراد شهادة السياق خلافاً لمن حمل الآية على أنها في الوصية يأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في حجة يتيم على أنه يحسن إليه حتى في الخطأ فلا يخاطبه إلا ينحو . يا بنى ، مما يخاطب به أولاده ، ويفعل معه من البر والمعرفة وإحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل بماله ويلزمه من بعده فإن الجراء من جنس الممل ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ أى الجراء كما تدان أى كما تفعل يفعل معك بينما الإنسان آمن متصرف في مال العبير وعلى أولاد غيره وإذا بالموت قد حل به فبحره الله تعالى في ماله وذريته وهيباته رسائل تعلقاته بنظير ما فعل مع غيره إن خيراً أخيراً وإن شراً فشر فليحش العاقل ربه ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولى أولاده لو كانوا أيتاماً عليهم في ماله .

وجاء أن الله تعالى أوحى إلى داود - صلى الله عليه وسلم - يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكى للأرملة كالزوج الشقيق واعلم أنك كما تزوج كلًا لحصد أى كما تفعل يفعل معك إذ لايدان تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة - وجاء في التشديد في أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما في الآية من دك الوعد الشديد تعديراً للناس عن هذه

(١) يه (١) سورة النساء  
(٢) يه (٩) سورة النساء

العاجزة الوخيمة المهلكة ، أخرج مسلم وغيره بألفاظ أركض ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب نفسي لا أقمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم . والشيطان وغيرهما : اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن ، قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . الحديث واليزار : الكبار سبغ الإسترار بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . الحديث ، والحاكم وصححه أربع سنن على أنه أن لا يدخلهم الجنة ولا يذهبهم نعمها : مدمن خمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه . وابن حبان في صحيحه أن من جملة كتابه ﷺ الذى أرسله مع عمرو بن حرم إلى أهل اليمن وأن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشرار بالله ، وقتل النفس المأومة بغير حق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ورمى للمعصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .

وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تاجع أرواحهم ناراً ، فقيل من هم يا رسول الله . ألم تروا أن الله يقول . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ وفى حديث المصراع عند مسلم فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يتكئون لحاهم ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أرواحهم فتخرج من أديارهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ، وفى تفسير القرطبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى بي قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أرواحهم صخوراً من نار تخرج من أسفلهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

### الباب السادس والخمسون

#### فى بيان ذم الكبر

ذكر مما ورد في ذم الكبر زيادة ما تقدم لشوبه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من إبليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والأرض إلى عذاب السعير . وفى الحديث القدسي لكبرياء رذائى ، والعظمة إرارى ، فمن باره في واحد منهم فصمته ولا أبالى ووود يحشر التكبرون أمثال الذر في صور الرجال يشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار . وقال ﷺ : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك جائر ، وهائل مستكبر . وعن عمر - رضى الله عنه - أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ فقال إنا لله وإنا إليه راجعون . قام رجل يأمر

(٢) يه (٦) سورة النساء



معرفة فقتل مقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف يقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كره ، من محمود كفى بالرجل إثماً إذا قيل له اتق الله ، قال عليك نفسك ، وقال للرجل كي يبيت قال لا أستطيع ، فقال النبي ﷺ لا استطعت فما تمتع إلا كبره قال مما رفعها بعد ذلك إلى من أي عنت يده وروى أن ثابت بن نسيب بن شماس قال يا رسول الله أتى امرؤ حب إلى من أحمال ما ترى أمس الكبر هو ؟ فقال ﷺ لا ولكن الكبر بطن الحق وغمض الناس أي أذرائهم واستحقارهم وهم عباد الله أمثاله أو غير منه .

قال وهب بن منبه لما قال موسى - عليه السلام - لفرعون آمن ولك ملكك ، قال حتى أشاور ممان مشاور ممان ، فقال ممان بينما أنت رب تعبد إذا أنت عبد تعبد فاستكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأخرقه الله .

وقالت قريش فيما أخبر الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُؤْتِكُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ ﴾ قال قتادة عظيم القرية هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي ﷺ إذ قالوا غلام يتيم كيف بعث الله اليها فقال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ثم أخبرهم الله عن تعجبهم حين دخروا النار إذ لم يروا فيها الذين أزدروهم كأهل الصفة ، فقالوا ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار ، قيل يعنون عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد - رضي الله عنهم - ، قال وهب - رضي الله عنه - العلم كالغيث يتزل من السماء حاراً صافياً فتشربه الأشجار بفروعها فتحوله على قدر طعموها فيرداد المر مرارة والحلو حلوة ، فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيريد المتكبر كبراً والتواضع تواضعاً وذلك لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فاراد كبراً وإذا كان الرجل خافوا مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزاد خوفاً واشفاقاً وتواضعاً ولذلك قال ﷺ فيما رواه العباس - رضي الله عنه - يكون قوم يرمون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ، ومن أعلم منا ، ثم انفتحت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار .

وروى أن رجلاً ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان مسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له نبي ﷺ أسألك بالله حديثك منك أن ليس في القوم أفضل منك ، قال اللهم نعم قرأى رسول الله ﷺ بنور النبوة ما استكن في قلبه سعة في وجهه . قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ يمجس من القراء كل مضحك فأما الذي تلقاه بيشر ولفاك بعوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله

روى عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال قبلت رجلاً عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ : يا أبا ذر طف الصع لم الصاع ليس لابن أبيبصه على ابن السوداء فضل (١) . قال أبو ذر رحمه الله فاضجعت وقلت للرجل قم لطا هي عدي . وقال كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الدار فينظر إلى رجل قاعد بين يديه قوم قيام . قال أنس لم يكن شخص أحب إلى أصحابه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالثبتم ويمش فيهمهم ، إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والمعجب

### الباب اسابع والخمسون

#### فصل فضل التواضع والقناعة

قال رسول الله ﷺ : ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه . وقال ﷺ : طوبى لمن تواضع في غير مسكنة ، أنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل اللذ والمسكنة ، عاظموا أهل العفة والحكمة (٢) . وروى أن النبي ﷺ كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون ، فقال سائل على الباب وبه زماعة يتكره منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال له أطعم فكان رجلاً من قريش اشعأ عنه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زماعة . وقال ﷺ : خيرى ربي بين أمرين إن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما أختار وكان صفى من الملائكة جبريل فرفضت وأسى إليه ، فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً . وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمته ولم يتعظم على خلقه وألزم عوفى . وقال ﷺ : الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى (٣) .

وقال المسيح - عليه السلام - : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلين بين الناس في الدنيا هم الذين يرشون الفردوس يوم القيامة ، طوبى لمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلغنى أن النبي ﷺ قال إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فلذلك من صفوة الله . وقال ﷺ أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب ، الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا .

(١) مشكل لأثر ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٥ .

(٢) صيف ( صيف ) ٤ / ١٨٢ ، وضعيف الجامع ( ٣٦١٢ ) .

(٣) صيف ( صيف ) ٨ / ٣٥٢ ، وضعيف الجامع ( ٤٢٩٩ ) .

ويرى أن رسول الله ﷺ كان يطعم لجهاد وجل أسود به جذرى قد قشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جبهه ، فاجلسه النبي ﷺ إلى جبهه ، وقال ﷺ : إنه ليعجس أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه . وقال ﷺ لأصحابه يوماً ما إلى لا أرى عليكم حلاوة العباد ، قالوا ما حلاوة العباد ، قال التواضع وقال ﷺ : « إذا رأيتم المتواضعين من أمي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » (١) . ومن أحسن ما قيل شعراً :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر •• على صفحات الماء وهو رفيع  
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه •• على طبقات الجو وهو وضيع

وعما جاء في فضل القناعة راحة على ما تقدم

قال ﷺ عز والمؤمن استعاضه من الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى ما شئت تكن أميره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك . وقال بعضهم ما ربيت غنى أفضل من القناعة ولا فقر أشد من الرغبة وأنشد :

أفادتني القناعة ثوب عز •• وأى غنى أعز من القناعة  
فصبرها لنفسك رأس مال •• وصبر يصلحها للتقوى بضاعة  
تجسد ويحين تغنى عن خليل •• وتعلم في الجنان بصبر ساعة  
وقال آخر :

تباع النفس بالكفاف وإلا •• طلبت منك فوق ما يكفيها  
إنما أنت طول عمرك ما •• عمرت في الساعة التي أنت فيها  
وقال آخر :

إذا الرزق منك بأى ما صطير •• ومنه اتنع بالذى قد حصل  
ولا تشعب النفس في تحصيله •• فإن كان ثم نصيب وصل  
وقال آخر :

(١) المروءة للجمجمة (٢٥٣) ، وتذكرة للخواص (١٩١)

إذا أعطتكَ أكسف اللئام •• كفتك القناعة شبعاً ودياً  
فكن رجلاً رجله في الثرى •• وقامته همته في الثرى  
وقال آخر :

ما طالب الرزق الهنى بقوة •• قهيات أنت بباطل مشغوف  
رعت الأسود بقوة جيف الفلا •• ورعى الدباب الشهد وهو ضعيف

كان رسول الله ﷺ إذا أصابه خصاصة قال لأهله : قوموا إلى الصلاة . ويقول أمرت بهذا ويقرأ : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (١) الآية . . .  
وأنشدوا :

دع التهاوت في الدنيا وزينتها •• ولا يفرتك الإكثار والجشع  
واتع بما قسم الرحمن وأرض به •• إن القناعة مال ليس يقطع  
وحل ربك فغسل العيش أجمعها •• ليس فيها إذا حققت متنع

ومن كلام الحكماء ليست العزة في حسن البزة فإن التمتع بلبس الثياب والتجمل بحسن الزي يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميلاً لدنياه وقلماً يخلو صاحبه من العجب . وأنشد بعضهم :

رضيت من الدنيا بلقمة بالنس •• وليس عباد لا أن سد سواهما  
لأنى رأيت الدهر ليس بدائم •• لدهرى وعمرى فأتيلان كلاهما

### الباب الثامن والخمسون

#### في بيان غرور الدنيا

جميع أحوال الدنيا مصروفة إلى ما يسوء ويسر فليست بمساعدة لجميع أهلها وإنما هي متلوة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه . ﴿ ولا يوالون مخطئين ﴾ (١٥٨) إلا من رحم ربك ﴿ (٢) قال بعض المفسرين مختلفين في الرزق يريد اختلافهم في الغنى والفقر فمن الواجب على من ساعدته دنياه وأخدمها له مولاه أن يتلقى ذلك شكره ويتوجه إليه بصنائع

(٢) آية (١٥٨ - ١٦٩) سورة هود

(١) سورة (١٣٢) سورة هـ

المعروف لهاها تقي مصارع السوء ولا يفر بنيناها وكفى بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ الْبَيْنَةِ وَالْأَمْنِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ كَفٌّ فَعَمَّ أُنْسَكُمْ وَفَرَحْتُمْ وَوَدَّعْتُمْ وَهَرَّجْتُمْ الْأَمْنِ ﴾ الآية تنبيرا عن الغرور بها . وقال ﷺ : « حيلنا يوم الأكيلس وفطرحهم كيف يقبضون شهر الحنفي ولجهادهم ولشغال قرة من صاحب نقوى ويقين أنفيل من ملء الأرض من المعتريه » (١) وقال ﷺ لكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله الأملنى .

وقال الشاعر :

ومن محمد الدنيا لشيء يسره ••• فسوف لصبرى من قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ••• وإن أتيت كنت كثيرا محسوما

وقال آخر :

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها ••• تبقى علينا ويأتى وزقها رعدا  
ما كان فى حق حمر أن يذل لها ••• فكيف هى متاع يضمحل فدا  
وأشد ابن بام :

أف الدنيا ولا يلمها ••• لئلا النحر من مغلقة  
فحومها لا تنقى ساعة ••• حسن ملك فيها ولا سوة  
يا حجابا منها ومن شأنها ••• عدوة الناس معشوقة  
وأشد آخر :

وقلت أرى الأيام تعطى ••• نعم الطير من رزق حشيت  
وتنع من له شرف ومصل ••• ففت لها على أصل الحديث  
وأنت جعل المكاسب من حرام ••• فجاءت بلحبيت على الحديث  
وأشد آخر أيضا :

سل الأيام ما فعلت بكبرى ••• وفيصر وفتصور وساكنها  
أما استبدعتهم للبين طرا ••• فلم تدع الخليم ولا السفىها

وحكى أعرابيا تزل بقوم فقدموا إليه طعام فأكل ثم نام فى ظل خيمتهم فانقلبوا الخيمة فأصابه حر الشمس فارتبه فارحل وهو يقول .

الا إنما الدنيا كظل بنهنته ••• ولا بد يوما أن ظلك زائل  
وقال أيضا :

الا إنما الدنيا مثيل لراكب ••• نفس وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له : قد أسعك الداعي . وأطرد إليك الطالب ولا أحد أعظم رزية من ضيق اليقين واخطاه العمل . وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالافتقار بالله جهلا . وقال رسول الله ﷺ : من أحب الدنيا وسر بها ذهب بحرف الآخرة من قلبه . وقال بعضهم إن العبد يحاسب على ما داته من الدنيا ويحاسب لفرجه فى الدنيا إذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد متكم فيها حرم عليكم أن الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم ، وكان حمير بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات وهى لمسيرين كدام :

نهارك يا مسرور نوم وغفلة ••• وليك نوم والردى لك لازم  
يفرك ما يفتى وتفرج بالنى ••• كما خير بالذات فى النوم حالم  
وشغلك فيها سوف تتركه ••• كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

### باب التاسع والخمسون

#### فى بيان ذم الدنيا والتحذير منها

روى عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يورقنى مالا . قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه . قال يا رسول الله ادع أن يورقنى مالا ، قال يا ثعلبة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسى بيده لو شئت أن تسير معي الحبال دحبا ونفحة لسارت . قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دهوت الله أن يورقنى مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا فعلن ولا فعلن .

قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ فلما فتت كما ينمو الدود ، فطاعت عبيد المدينة فتحي بها سرل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر فى الجماعة ويدع سواهما ، ثم فت وكثرت فتحي حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهى تملوكها ينمو الدود حتى

حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأحبار في المدينة - وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال - ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله اتخذ غصبا مضائق عليه المدينة وأحبروه بأمره كله فقال يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة قال وأنزل الله تعالى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وأنزل الله تعالى مراتب الصدقة بعث رسول الله ﷺ رجلا من جبيته ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فليأخذ الصدقة من المسلمين . وقال : مرا بـثعلبة بن حاطب ويغلان رجل من بني سليم وغلا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ . فقال ما هذه الاجرة ما هذه إلا جرية ما هذه إلا أخذت الجزية انطلقا حتى تفردا ثم تصردا إلى ، فانتطلقا نحو السليم فسمع بهما فلما قام إلى غيل أسنان أبله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياها قال لا يجب عليك ذلك وما نريد أن تأخذ هذا منك . قال بلى خلها نفس بها طيبة وإنما هي لتأخذها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بـثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فتقر فيه ، فقال هذه تحت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي ، فانتطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رأهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للمسلمي فأخبراهم بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليم . فأنزل الله تعالى في ثعلبة : ﴿ وَهُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ فِي آثَارِ مِنْ فَخْلِهِ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فلما أتاهم من فخله بخلوا به وتولوا وهم مغرضون ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوُاهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْفِيُونَ ﴾ (١) وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة ، فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته . فقال إن الله صمى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله ﷺ : هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق - وعسى الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب - وعسى الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان .

وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم - عليه السلام - فقال أكون معك وأصحبك ، فانتطلقا فأتتهما إلى شط نهر فجلب بئردمان ومعهما ثلاثة أرغفة مأكلا رعيين

(١) يه (٧٥ - ٧٧) سورة البقرة

ورعى رغيف ثالث ، فقال عيسى - عليه السلام - إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف ففر للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري ، قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى طيبة ومعهما خشفان نه . قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ، ثم قال للخشف قم ياذن الله فقام فذهب ، فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهى إلى وادي ماء فأخذ عيسى يد الرجل فمشيا على الماء جاوزاه ، قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ، فقال لا أدري فأتتهما إلى معازة فجلسا فأخذ عيسى - عليه السلام - بجمع ترابا وكثبا ثم قال كن ذهبيا يادن الله تعالى فصار ذهبيا فقسمة ثلاثة أثلاث ، ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف ، فقال أنا الذي أخذت الرغيف ، فقال كله لك وفارقه عيسى - عليه السلام - ، فأتته إلى رجلا في المعازة ومعه المال فأخذا منه ويقتلاه ، فقال هو بيننا أثلاثا فابعدوا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما تأكله ، قال فبشوا أحدهم ، فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنني أضع في هذا الطعام سمعا فأقتلهما وأخذ المال وحده ، قال فعزل وقال ذاك الرجل لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قطعاه واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذك في المعازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى ، فمر بهم عيسى - عليه السلام - على تلك فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحطروها .

وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأهلهم شيء عما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكسوها وصلوا عندها وروحوا البقل كما ترحى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالي إليه حاجة وإن كان له حاجة فليأتني : فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتي فأتيت فها أنا قد جئت ، فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيك فقال له ذو القرنين مالي أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ، قال وما ذاك قال لس لكم دبا ولا شيء أصلا أتخدم الذهب والفضة فاستعتم بهما ، قال إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا إلا تأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه ، فقال ما بالكم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحتم تعهدوهم فكسبتموها وصلبتم عندها ، قال أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا متنا قبورنا من الأمل ، قال وأراكم لاطعامكم لكم إلا البقل من الأرض أغلا اتخذتم البهائم من الأنام فاحتلبتموها وركبتموها فاستعتم بها ، قال كرهنا أن نجعل بطونا قبورا لها ورأينا في بيت الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأي ما جاوز الحنك من الطعام لم نعد له

طعما كائنا ما كان من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سيئاته فلك منه حسمه بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعدة قد كان يرى ما يصنع الذي قله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وحشع لله عز وجل وأمر بالمعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ، ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال هذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظرا يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخلك أعيا ووريرا وشريكا فيما أنأتى الله من هذا المال ، قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن تكون جميعا ، قال ذو القرنين . ولم . قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق ، قال ولم . قال يحادونك لما في يديك من الملك والمال ولا أجدر أحدا بماديتي لرفضي لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشيء قال فأنصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به .

وما أحسن قول القائل :

يا من جمع بالدينار وزينتها ••• ولا تام حسن اللذات حينه  
شغلته نفسك فيما ليس تدركه ••• تقول لله مضافا حين تلقاه  
وقول آخر :

عشت على الدنيا لرفعة جهايل ••• وتأخير دى فضل فقلت غدا العزوا  
بو الجهل أباي لهذا رفعتهم ••• وأهل التقى أساء فسررتى الأحرى  
وقول محمود الباهلي :

ألا إنما الدنيا على المرء فستة ••• على كل حال أقبلت أو تولت  
فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائما ••• ومهما تولت فاصطبر وتيت

\*\*\*

### أبواب الستون

#### في فضل الصدقة

قال ﷺ : من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا فإن الله يقبلها بيمينه أي متبسة بيمينه وبركته ثم يريها لصاحبها كما يرى أحدكم مبره حتى أن اللقمة تصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَطْمِئِنَّا أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) ﴿ يَسْخَرُ اللَّهُ الرِّيَاءَ وَيَجْزِي الصَّادِقَاتِ ﴾ (٢).

ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل . وفي رواية للطبراني ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده لصدقة إلا أقيت في يد الله أي إلا قبلها الله تعالى وورثها بها قبل أن تقع في يد السائل ، وما فتح عبد باب مستغلة له عنها غنى إلا فتح الله له باب يقرى العبد مالى مالى وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فألقى ، أو ليس فأبلى ، أو أعطى فأقتى ، وما سوى ذلك فهو ضايع وتاركه للناس .

وفي الخبر ما منكم من أحد ألا سيكلمه الله ليس بيه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، ويتنظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق ثمرة . وقال ﷺ : « الصدقة تطفيء الحطينة كما يطفى الماء النار » (٣).

يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سمعت النار أولى به . يا كعب بن عجرة الناس عاديان فناد في فكاك نفسه فمعتها وغدا فموقها يا كعب بن عجرة الصلاة قريبات والصوم جنة والصدقة تطفيء الحطينة كما يذهب الجليد عن الصفا . وفي رواية كما يطفى الماء النار .

إن الصدقة تطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء . وفي رواية أن الله ليس لأى يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء . وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس . وقيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل ، قال جهد المقل وبدأ بمن نمود ، وقال ﷺ سبق درهم مائة ألف درهم فقال كيف ذلك يا رسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من هرهبه أى جانيبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وقال ﷺ لا ترد سائلك ولو بظلف هو للبر والعزم بمنزلة الخافر لبرص .

سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إلى أن قال رجل تصدق بصدقة فأغضاها حتى لا تعلم

(٢) آية (٢٧٦) سورة البقرة

(١) آية (١٠٤) سورة البقرة  
(٣) حسن (الترمذي) (٦١٤)

شماله ما نفق يمينه .

صانع المعروف تقي مصارع السوء وصديقة السر تطعم غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر - وفي رواية للطبراني : صانع المعروف تقي مصارع السوء والصديقة خفيا تطعم غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف . ومن أخرى له ولاحمد ما في الصدقة يا رسول الله أصدف مضاعفة وعند الله المزيد ، ثم قرأ ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ (١)

فيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال : سرّاً إلى فقير أو جهداً من مغل ثم قرأ : ﴿ إن تدنوا الصدقات نسبنا هي وإن تظفروا وتؤثروا الفقراء فهو خير لكم ﴾ (٢) الآية .

أيما مسلم كما مسلماً ثوباً على هري كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم .

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم أتان صدقة وصلة .

أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي للضمير لغناؤك في كشمه أي خصمه كناية عن باطنه .

ومن منح منيحة لبن أي بأن أعطى لبوا لمن يأكل لبنها ثم يردّها أو ورق أي أقرض دراهم أو هدى وقافاً أي إلى الطريق كان له مثل حتى رقية .

كل غرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت ليلة أسرى على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بشماية عشر - ومن يسر على مصريسه الله عليه في الدنيا والآخرة - أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . أتيتني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء ، فقلت أحبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة ، قال أطعم الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام . أعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام . ومن موجبات الرحمة إطعام المسكين - من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بأعده الله من النار يسبح عباده ما بين كل خصلتين مسيرة خمسمائة عام . إن الله عز وجل - يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرهت فلم تعلمني قال كيف أهوئك وأنت رب العالمين ، قال علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما

علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم فلم تعلمني ، قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تعلمه أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استغفرتك فلم تغفرني ، قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال استغفرك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي .

### الباب الحادي والستون

#### في قضاء حاجة أخيه المسلم

قال تعالى : ﴿ ولما نزلنا على النبي الأنوار ﴾ (١) وقال ﷺ من مشى في عون أخيه ومفغته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله . وقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق خلقهم لقضاء حوائج الناس إلى على نفسه أن لا يحلهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحلثون الله تعالى والناس في الحساب . وقال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم في حاجة قضيت له أو لم تقض غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبرائة من النفاق .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فإن مات في حلال ذلك دخل الجنة بغير حساب (٢) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فأنصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عند أقوام بما يقرأها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقدها إلى غيرهم . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول الأسد في رثيه ، قالوا الله أعلم ، قال يقول اللهم لا تسلط على أحد من أهل المعروف .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يرفعه : إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس ، وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران ، وآية الكرسي ، وإذا أنزلها في الليلة القدر ، وأم الكتاب فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة . وعن عبد الله بن الحسن - رضي الله تعالى عنهم - قال : أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة ، فقال إذا كانت لك حاجة إلى فارس

به (٢) سورة براءة  
الآية : مصدقة ١٦ / ٢

(٢) به (٢٧١) سورة الفرق

(١) آية (٢٤٥) سورة البقرة

رسولاً أو اكتب لي كتاباً فإني لأستحي من الله أن يراك يباهي . وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال والذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لظفاً ، فإذا تولت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطرد عنها كما تطرد عريضة الإبل . وقال أيضاً فوت الحاجة أمون من طلبها إلى غير أهلها ، وعنه أيضاً قال لا تكثر على أخيك الخواص فإن العجل إذا أفرط في مص ثدي أمه نطعته . وما أحسن قول الشاعر :

لا تقطن عادة الإحسان من أحد ••• ما دمت تقدر والأيام تارات  
وذكر فضيلة صنع الله إذ جعلت ••• إليك لا لك عند الناس حاجات  
وقول آخر :

أنض الخواص ما استطعت ••• ت وكن لهم أعنيك فارج  
فلنغير أيام الفتى ••• يوم نفس فيه الخواص

### باب الثاني والستون في فضل الوضوء

قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وفي لفظ آخر ولم يسه فيها غفر ما تقدم من ذنبه . وقال ﷺ أيضاً : ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، ونقل الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ثلاث مرات . وتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين ، أنه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

وقال ﷺ من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ، ومن لم يذكر الله لم يظهر منه إلا ما أصاب الماء . وقال ﷺ : من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات <sup>(١)</sup> . وقال ﷺ : الوضوء على الوضوء نور على نور <sup>(٢)</sup> . وهذا كله حث على تجديد الوضوء . وقال - عليه الصلاة والسلام - : إذا توضأ العبد المسلم تمضمض خرجت الخطايا من فمه فإذا استثر خرجت

الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفار عييه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافذة له

ويروى أن الطاهر كالأصنام وقال - عليه الصلاة والسلام - : من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء <sup>(١)</sup> . وقال عمر - رضي الله عنه - أن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليقبل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وجه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من مصر لكسوة الكعبة ، فترجل الرجل بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حبر من الأحرار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأثاء واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلاً ، ثم دخل على الحبر فسأله ليمسح منه فأعجبه علمه فشكى إليه حبيبه على بابيه ، فقال له الحبر إذا كنا رأيك حين عدلت اليأس على هيبة السلطان فتخوفتك ، وإنما حسبتك على الباب لأن الله تعالى قال لموسى إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فإن من توضأ كان في أمان مما يتخوف فأخفقتنا دونك الباب حتى توضأنا وتوضأ جميع من في الدار وصلينا فأمنك بذلك ثم فتحنا لك الباب

### باب الثالث والستون في فضل الطلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحديث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز . فمما ورد في فضلها ريادة على ما تقدم قوله ﷺ ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤد له في ركعتين يصليهما .

قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - لو خبرت بين ركعتين وبين الجنة لا اختبرت الركعتين على أجرة لأن في الركعتين رضا لله تعالى ورضا الجنة رضائي ، ويقال أن الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعيدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماه ركع ، وأهل سماه قيام على أرجلهم إلى نعمة الصور ، وأهل سماه نوحاً من العبادة ، فأهل سماه سجد ، وأهل سماه مريحة الأجنة من هيبته تعالى ، وأهل عيسى وأهل العرش وقوف بطونهم

(١) (صحيح) ابن ماجه (٥١٢) ، وترمذي (٥٩) ، وصحيح الجامع (٥٥٣٦)  
(٢) (موضوع) (العوالم المجموعه) (٩) ، وقال : قد المرقى في : مطروح الإحياء ، لم أتف عليه

القرآن ، والباقى الركوع لقوله عز وجل ﴿ وَارْكَعُوا ﴾ والحادى عشر السجود لقوله عز وجل ﴿ وَاسْجُدُوا ﴾ والثانى عشر القعود لقوله ﴿ وَارْكَعُوا ﴾ ، وادفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت الصلاة . فإذ وجدت هذه الإثنا عشرية يحتاج إلى الختم وهو الإخلاص لشم هذه الأشياء لأن الله تعالى قال : ﴿ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَخْلِصًا لِنَفْسِكَ ﴾ .

وأما العلم فعلى ثلاثة أوجه ، أولها أن يعرف الفريضة من السنة ، والثانى أن يعرف ما فى الوضوء من العريضة والسنة أيضا فإن ذلك من تمام الصلاة ، والثالث أن يعرف كيد الشيطان قبأخذ فى محاربه بالجهد ، وأما الرضوء فتعامة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تطهر قلبك من العمل والحسد والغش ، والثانى أن تطهر البدن من الدنوب ، والثالث أن تغسل الأعضاء غسلا سابقا بغير إسراف فى الماء . وأما اللباس فتعامة بثلاثة أشياء ، أولها أن يكون أصله من الحلال ، والثانى أن يكون طاهرا من النجاسات ، والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء . وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء ، أولها يكون بصرك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت ، والثانى أن يكون سمعك مع الأذان ، والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت ، وأما استقبال القبلة فتعامة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تستقبل بوجهك ، والثانى أن تقبل على الله بقلبك ، والثالث أن تكون خاشعا ذليلا . وأما النية فتعامة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تعلم أى صلاة تصلى ، والثانى أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيئة ، والثالث أن تعلم أنه يعلم ما فى قلبك فتضرب قلبك من أشغال الدنيا . وأما التكبير فتعامة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما ، والثانى أن ترفع يديك حذوا أدنيك ، والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم . وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تجعل بصرك فى موضع سجودك ، والثانى أن تجعل قلبك إلى الله ، والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا . وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير حزن ، والثانى أن تقرأ بالتمكيز وتتعاهد معانيها ، والثالث أن تعمل بما تقرأ . وأما قدم الركوع ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تيسط طهرتك ولا تنكس ولا ترفع ، والثانى أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك ، والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقر . وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تضع يديك بحذاء أدنيك ، والثانى أن لا تيسد ذراعيك ، والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم . وأما تمام الحنوس ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تمد على وجهك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا ، والثانى أن تشهد بالتعظيم وتدهو نفسك وللمؤمنين ، والثالث أن تسلم على التمام . وأما تمام السلام فإن يكون مع النية الصادقة من قلبك إن سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء ، وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك . وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تطلب

حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، فجمع الله كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء . و زادهم القرآن بتلويده بها مطلب منهم شكرها ، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها . قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وقال ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ وقال ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ . ولم يحد من الصلاة من موضح من التبريل إلا مع ذكر إقامتها فلما بلغ ذكر استغفارهم قال : ﴿ فَيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين هم عن صلاتهم متفكرون . فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم أن المصلين كثير ، والمقيمين للصلوات قليل ، فأهل الغفلة يحملون الأعمال على الترويح ولا يذكرون يوم تعرض على الله لتقبل أم ترد .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : أن منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعنى أنه لا يكتب من صلاته إلا ما عقل منها . وروى عن النبي ﷺ أنه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله قبله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله فإذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث النفس كأن بمنزلة من وقت إلى باب ملك معتذر من خطيئته وزنته ، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه للملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وإنما يقبل للملك عليه على قدر عنايته ، فكذلك الصلاة إذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه .

واعلم أن مثل الصلاة كمثل وليمة اتحدك ملك وهيا فيها ألوانا من الأطعمة والأشربة لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ودعا الناس إليها ، فكذلك الصلاة دعاهم الرب إليها وهيا لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة فتعبد بهم بها ليلندهم بكل لون من العبودية فالأفعال كالأطعمة والأذكار كالأشربة .

وقد قيل أن فى الصلاة اثنتى عشرة ألف خصلة ، ثم يتعاهد هذه الإثنتى عشرة ألف فى اثنتى عشرة حصنة ، فمن أراد أن يصلى فلا بد أن يتعاهد هذه الإثنتى عشرة خصلة لشم صلاته فستة قبل الدخول فى الصلاة وستة قبلها : أولها العلم لأن البى ﷺ قال . عمل قليل من علم خير من عمل كثير فى جهل ، والثانى الوضوء لقوله ﷺ . لا صلاة إلا بطهروا ، والثالث اللباس لقوله تعالى ﴿ خذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ يعنى البسوا ثيابكم عند كل صلاة ، والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ يعنى فرضا موقوتا ، والخامس استعانة القية لقوله عز وجل : ﴿ قُلْ وَجْهك شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ يعنى نحوه ، والسادس البية لقوله ﷺ . إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى . وسبع التكبير لقوله ﷺ : تحريمها التكبير وتحليلها التسليم ، والثامن القيام لقوله عز وجل ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ يعنى صلوا قائمين ، والتاسع المناحة لقوله تعالى : ﴿ فَافْرُغُوا مِمَّا تَسْرُ مِنْ



بصلواتك ورحمة الله تعالى ولا تطلب ورحمة الناس، والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى، والثالث أن تجعلها حتى تذهب بها يوم القيامة لأن الله تعالى قال: ﴿من جاء بالحسنة﴾ (١) ولم يقل من عمل بالحسنة.

### الباب الرابع والستون

#### في بيان أهوال القيامة

روى أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم أما أن يخف وأما أن يشغل، وعند تطهير الصحف إما أن يعطى كتابه يحميته وإما أن يعطاه يشماله وحين يخرج حق من النار فينطوى عليهم، ويقول وكلت بثلاثة: وكلت بين دعا مع الله إلهها أعز ويكل جبار عنيد ويكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوى عليهم الصراط عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الجياط وكالريح العاصف... الحديث.

ومن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضع على فيه شاخصا بصره إلى العرش ينظر متى يؤمر قال: قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال قرن من نور، قلت يا رسول الله كيف هو، قال عظيم الدارة والذي يعنى بالحق نبيا لعظم دارته كمرض السماء والأرض يتضح فيه ثلاث نفحات: نفخة للفرج، ونفخة للصدق، ونفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها السهل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل في الأجساد من الحياشيم. ثم قال النبي ﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض، وفي غير آخر إذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل وإسرائيل فينزلون إلى قبر النبي ﷺ ومعهم البراق وحمل من الجنة فتشقى عنه الأرض فينظر النبي ﷺ إلى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة: فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فلانك أول من تنشق عنه الأرض - وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال إن الله تعالى يقول يا معشر الخس والإسرى نصحت لكم فرما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي أنه فرى في مجلسه: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ (٢) أي ركبانا ﴿وسوف المجرمين إلى جهنم وفدا﴾ (٣) معنى مشاة عظاما فقال أيها

(١) آية (٨٤) سورة مريم

(٢) آية (٨٤) سورة القصص  
(٣) آية (٨٦) سورة القصص

الناس مهلا مهلا هذا تحشرون إلى الموقف حشرا وتأثروا من الأطراف فوجا فوجا، وتقفون بين يدي الله فردا، وتسألون عما فعلتم حرفا حرفا، وتقاد الأرواح إلى الرحمن وفدا وفدا، ويرد العاصون إلى عذاب الله وردا وردا، ويدخلون جهنم حزنا حزنا: إخواني أما لكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الزنجفة يوم الأذفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المافضة يوم المحاسبة يوم المساءلة يوم الصبيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء العذاب. وقا ل مقاتل بن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون، ومائة سنة في الظلمة متحبرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عند ربهم يختصمون، وأن يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضي على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة. وقال ﷺ: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: لم يكن نبي قط إلا كانت له دعوة مستجابة فجعلها في الدنيا وإنى خبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة: اللهم شفعه فينا بجاهه عندك - صلى الله عليه - وعلى آله وصحبه وسلم.

### الباب الخامس والستون

#### في صفة جهنم والميزان

لا بأس بذكر ذلك وإن تعلم التنبيه على بعض تكميها للفائدة لعل تتكرر المواظفة توقظ القلوب الغافلة لا سيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هون جهنم وأحوال القيامة في كتابه في غير موضع مما يقع في قلوب العقالين أعظم موقع تنبيهها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى، أما صفة جهنم أعاد الله منها مجته وكرمه فقد روى في الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهيب، لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل، في كل جبل سبعون ألف شعبة من نار، وفي كل شعبة سبعون ألف شق من نار، وفي كل شق سبعون ألف واد من نار، وفي كل واد سبعون ألف قصر من نار، وفي كل قصر سبعون ألف بيت من نار، وفي كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب، لكل عقرب سبعون ألف ذئب، لكن ذئب سبعون ألف نقار، في كل نقار سبعون ألف قلة من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنهم العطاء مطير منها سراقق من يمين الثقلين وسراقق من يسارهم وسراقق من فوقهم وآخر من وراءهم فإذا نظر ثقلان إلى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم.

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : في عظم غرفة جهنم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ غلاظ شديد ﴾ كل ملك ما بين ستة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب ناقص الذي في يده جبالا لصار دى فيدمع بكل ضربة سبعين ألفا في قعر جهنم . وأما قوله تعالى ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ فإثر ما بهم رؤساء البرية وإلا فملأكة النار لا يعلم عددهم إلا الله تعالى : ﴿ وما يحكم جنود ربك إلا هو ﴾ .

ومثل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما سمعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أفن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً يعني سبعين سنة وأنها تجري فيها أودية اللقيح والدم . وفي حديث الترمذي أن كثافة كبر سرادق من سرادقات النار أي كثافة جنداره مسيرة أربعين سنة . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال إن باركم هذه جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها تسعة . وسين جزأ كلها مثل حرها . وقال ﷺ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لا احترقت الدنيا من حرها ، ولو أن خزائنا من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يصروا مات أهل الدنيا حين يصرونه من غضب الله تعالى الذي عليه .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم : قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حين انتهى إلى قعرها . والوجبة هي المائدة وهي صوت وقع الشيء الثقيل .

وكان عمر بن الخطاب يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد وأن مقامها من حديد . وكان ابن عباس يقول إن النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب ، ومثل - رضي الله عنه - عن قوله تعالى ﴿ إذا أنتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيهاً وظهراً ﴾ فهل للنار عيان ؟ فقال نعم أما سمعتم قوله ﷺ : من كذب على متعمداً فليتبوأ بهن جهنم مقعداً ، قيل يا رسول الله ولها عيائن ، أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إذا أنتم من مكان بعيد ﴾ . . الحديث . وروى حديث يخرج عنق من النار له عيائن يصهران ولسان ينطق به ، فيقول في وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فهو أبصر بهم من الظير بحب السمسم حلتقطهم .

وأما صفة الميزان فقد ورد في الحديث أن كفة الحسنات من نوع وكفة السيئات من ظلام . وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : إن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكمة الحسنات عن يمينه وكمة السيئات عن يساره فتكون الجنة مقابلة للحسنات والنار مقابلة السيئات

، وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولبدن وكان يقول إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساماً تيزمها يوم القيامة .

### الباب السادس والستون

#### في بيان ظم الكبر والعجب

اعلم أرشدني الله وإياك خير الدنيا والآخرة أن الكبر ولا عجب يسلبان المضائل ويكسبان الرذائل ، وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصيح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيح بين الحياء والكبر العلم حرب للمعالي كما أن السيل حرب للبناء العلى . قال ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر . قال ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه . وقال الحكماء لا يدوم الملك مع المتكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد ، فقال تعالى : ﴿ تلك النكارة الآخرة نجعلها للذين لا يؤمنون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ما صرف عن آياتي الذين ينكبون في الأرض بغير الحق ﴾ (٢) قال بعض الحكماء ما رأيت متكبراً إلا تحول ما به من بعض أتكبر عليه .

قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قرين بن مقرم ، وبنو أمية ، ومن العرب بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زواة بن عدي ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيداً وتقتسمهم إلا أرباب . وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شومي وقيل للحجاج بن أوطاة مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال أخشى أن يراحمني البقالون . وقيل أتى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فأقطعته أرضاً . وقال معاوية أعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معاوية إلى هاجرة سليمة ومضى خلف مائة فأحرقته الشمس ، فقال له أوردني خلفك على ناقتك . قال لست من أرافد الملوك قال فأعطى عليك قال ما يتحل يسمي بها ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمس أنك لست بعلى ولكن امش في ظل ناقتي محسبك بها شرف . وقيل أنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعدته معه على السرير وحذته . وقال المسور بن هند لرجل أتمرني ؟ قال لا قال أنا المسور بن هند قال ما أهرقت قال فتمسا لمن لا يعرف القمر .

وفي مثله يقول الشاعر :

قولا لأحمق يلوي التيبة أخذه • لو كنت تعلم ما في التيبة لم تبه

(١) آية (٨٣) سورة القصص

(٢) آية (١١٦) سورة الأعراف

اللبه معصده لدين منقصة ••• للعمل مهلكة للعرض فاشبه

يوقب لا يكبر إلا كل وصيغ ولا يتواضع إلا كل ربيع وقال ﷺ « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى مع وإعجاب المرء بنفسه » (١). وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : أن موحد ﷺ لحضرته الوعاة دعا ابنه وقال إني أمركما بالثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت لا إله إلا الله أرجح منهما ، ولو أن السموات والأرض كانتا في حلقه موصعت لا إله إلا الله عليهما لقصصتهما ، وأمركما بسبعان الله وبمحمد فأنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . وقال عيسى - عليه السلام - طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يست جبارا . وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه مر من السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أفتاك الله عن هذا ، قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي . وفي تفسير القرطبي في قوله تبارك وتعالى « ولا يضربن بأرجلهن » (٢) إن فعلته تيرجا وتعرضا للرجال حرم وكلنا من ضربت بطنه من ضرب رجل صعبا حرم لأن العجب كبير .

### الباب السابع واستن

#### فصل الأحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم

أخرج البخاري : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذين وأشهر بأصبعه السبابة والوسطى وفرج بينهما ، ومسلم : كافل اليتيم له أو لغيره أن وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبرار . من كفل يتيما له ذوقرة أو لا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين وضرم بأصبعيه . ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صالما قائما . وابن ماجه من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليلة وصام بهاره وغدا أو راح شهره سيمه في سبيل الله أنا وهو في الجنة أخوين ، كما أن هاتين أخوتك والصل بأصبعيه السبابة والوسطى . والترمذي وصححه : من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة أئنه إلا أن يعمل ذنبا لا يعمر له . وفي رواية مدها حسن حتى يستحي عنه ووجبت له الجنة أئنه . وابن ماجه خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت يتيم يساء إليه . وأبو يعلى سدد حسن أنا أول من يعنح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تادري . ما قور مائك ومن أنت تقول أنا امرأة قعدت على أيتام في . والطبراني بسند رواه ثقات إلا واحدا ، ومع ذلك ليس

(١) (ضعيف) الحلية ٢ / ٣٤٣ ، وكشف الخفاء ١ / ٣٨٦

(٢) آية (٣١) سورة النور

بالشرك : والذي بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم لأن له في الكلام ورحم يتيم وصعقه ولم يظلم على حاره فصيل ما أنه الله . وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا الله كاتين له في كل شعره مرت عليها يد حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين . الحديث . وأخرج جماعة وصححه الحاكم أن الله تعالى قال ليحقوق أن سبب ذهاب بصره وقصته ظهره وفعل أخوه يوسف به ما فعلوا أنه أنه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يصعب شيئا من خلقه حب اليتامى والمساكين ، وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين لفعل . والشهيدان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى وأحبه قال وكالفاتم لا يفتر وكان صائم لا يعطر » (١) . وابن ماجه . السهلي على الأرملة والمسكين كالمجاهد سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار .

قال بعض السلف كنت في بده أمرى مكبرا مكبرا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمه كما يكرم الولد بل أكثر ثم تمت فرأيت الرائية أخذوني أخلا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد احترقني فقال : دهوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا . فإذا التئاء . خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه ، فاستيقظت وبالعت في أكرام اليتامى من يومئذ . وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فماتت واشتد بهن الفقر في أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مجهورا فتركهن أمهن فيه وخرجت تحتال نهى في القوت فمر بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها ، وقال لابد أن تقيمي عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ، ثم مرت بمجوس فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتته بها وبيناتها إلى داره فبالغ في أكرامهن ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة فد قامت والنبي ﷺ معفودا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال ﷺ أقم عندي البينة بذلك فتخير فقص له ﷺ خبر العلوية فأتته الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار للجوسي فطلبها منه فأبى ، وقال قد لحقتي من بركاتهن ، فقال جد ألف دينار وسلمهن إلى فأبى : فأراد أن يكرهه ، فقال الذي توبه أنا أحق به والقصر الذي رأته في النوم خلق لي أتضخر على بسلامك فوالله ما تمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك ، وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عنك قلت نعم يا رسول الله قال القصر لك ولأهل دارك ، فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

•••

(١) صحيح البخاري (٣٥٣) ، ومسلم (٢٩٨٢)

## الباب الثامن والستون

## فصل تحريم أكل الحرام

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۝ ﴾ الآية .  
 واختصوا في المراد به ، فقيل الربا والفساد والنصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال  
 باليمين الكاذبة . وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الإنسان بغير حق . وعليه قيل لما برئت الآية  
 فخرجوا من أن ياكلوا عند أحد شيئا حتى برئت آية النور : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُرْتَكُمْ أَوْ  
 بُرْتِ آبَائِكُمْ . . . ﴾ إلى آخرها وقيل هو المقترود الفاسد والوجه قول ابن مسعود أنها محكمة ما  
 سحبت ولا تنسخ إلى يوم القيامة انتهى . وذلك لأن الأكل بالباطل يشمل كل ما غرر بغير حق  
 سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كالمأخوذ بالقمار  
 والملاهي ، وسبب ذلك كله أو على وجه المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويهد ما ذكرته  
 قول بعضهم الآية تشمل كل الإنسان حتى مال نفسه بالباطل بأن ينقعه في محرم ، ومال غيره به  
 كالأمانة المذكورة وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ استثناء منقطع لأن التجارة ليس من جنس  
 الباطل بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله ، والتجارة وأن اختصت  
 بعقود المعاوضات إلا أن نحو القرص والهيبة ملحق بأدلة أخرى وقوله تعالى : ﴿ عَنْ تَرَاحُيْنِكُمْ ﴾  
 أي طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الأكل فيها بالذكر ليس للتقليد به بل لكونه أغلب  
 وجوه الانتفاعات على حد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وأدلة  
 هذا المبحث والتعليقات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها .

أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَلِهَ  
 طَبِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَبِيبًا وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ  
 الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ  
 الرَّجُلَ يَطْبِلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَهْبَرَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَأْرُبُ يَأْرُبُ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمُشْرَبُهُ حَرَامٌ  
 وَالْحَلَالُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَالطَّبِيرَانِي وَالْبَيْهَقِيُّ ، طَلِبُ الْحَلَالِ قَرِيبَةٌ بَعْدَ الْعَرَاءِ وَالتَّرْمِذِيُّ  
 وَقَدْ حَسَنَ صَحِيحُ عَرِيبٍ وَحَاكِمٌ وَصَحِيحُهُ مِنْ أَكْلِ حَيِّيًا وَعَمَلٌ فِي سَنَةِ وَأَمْسِ الدَّسِ بِرَأْفَتِهِ دَخَلَ  
 أَحَدُهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ هَذَا فِي أَمْتِكَ الْيَوْمَ كَثِيرٌ ، قَالَ وَمَيْكُونُ فِي قُرُونٍ بَعْدِي وَأَحْمَدُ  
 وَغَيْرُهُ نَاسِدٌ حَسْبُ أَرْبَعٍ إِذَا كُنْتَ بِكَ فَلَا عَيْدَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، حَفِظَ أَمَانَهُ ، وَصَدَّقَ  
 حَدِيثَهُ ، وَحَسَنَ خَلْقَهُ ، وَهَفَ فِي طَعْمَةٍ . وَالطَّبِيرَانِيُّ : طَوْبَى لِمَنْ طَلَبَ كَسْبَهُ وَصَلَحَتْ سِرْبَتُهُ

(١) ية (٢٩) ، سورة النساء

وكرمت علاقته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك  
 الفضل من قوله ، والطبراني بإسناد أطيب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي حس محمد  
 بيده أن العبد ليقتذف لقمه الحرام في جوفه ما يقبل منه عمل أربعين يوما ، وأما عِدَّتْ لَحْمَهُ  
 من سحبت فانتار أولى به . وإسرا وفيه نكارة أنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة ولا زكاة أنه  
 من أصاب مالا من حرام فليس جليبا يعني لم يقبل صلاته حتى ينهي ذلك الجلباب عنه ،  
 أن الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل حمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام .  
 وأحمد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام  
 لم يقبل الله عز وجل له صلاة مادام عليه ، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال سمعتان لم يكن  
 النبي ﷺ سمعته يقول : واليهي : من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها  
 وانها .

قال الحافظ المتلوي في استلذه احتمال للتصحيح ويشبه أن يكون وقفا ، وأحمد يستند جيد :  
 والذي عسى بيده لأن يأخذ أحدكم حيله فيلعب به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على  
 ظهره فيأكل غير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه ، وإنا نخزيمه وابن حبان في  
 صحيحيهما والحاكم : من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن فيه أجر وكان أسره عليه ،  
 والطبراني : من كسب مالا حراما فاحتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك إصرا عليه ، وأحمد  
 وغيره يستند حسنه بعضهم أن الله قسم بينكم أغلاتكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي  
 الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب من أعطاه الله الدين فقد أحبه  
 والذي نفسى بيده لا مسلم أولا مسلم عبد حتى سم أو مسلم قلبه ولما ولا يؤمن حتى يأمن جلوه  
 بوائقه ، قالوا وما بوائقه يا رسول الله ، قال غشه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام  
 فيتصدق منه ولا يفتق منه فيأرك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى  
 لا يحمر السوء بالسوء ولكن يحمر السوء بالحسن ، إن الخبيث لا يصحو الخبيث . والتزملي  
 وقال حسن صحيح غريب مثل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، قال الغم والعرج . وستل عن  
 أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن خلق . والتزملي وصححه : ما تزول قلعا عبد  
 يوم لقيامته حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفاء ، وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل  
 فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه أو كما قال

والبيهقي : الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفق حقه أثناء الله عليه  
 وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفق في غير حقه أورده الله دار الهوان ،  
 ورب متخوف في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة .

يقول الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ رَدَّتَاهُمْ مَعِيرًا ﴾ وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم

روى عن من سحت إلا كانت النار أولى به ، والسحت بضم سين أو ضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفي رواية بسند حسن : لا يدخل جسد غدي بحرام .

### الباب لتاسع والستون

#### في النهي عن الربا

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الأحاديث ما رواه البخاري وأبو داود ١٠٠٠ عن رسول الله ﷺ الراشدة والمستوشمة وأكل الربا وموكله ٢) والحاكم وصححه : ٣ أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم بعيمها ، ممن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لو الله ٢) . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . الربا ثلاثة وسبعون بابا أسرها مثل أن يكبح الرجل أمه . واليزلر بسند رواه الصحيح ، الربا يضرع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك ، واليهي الربا سبعون بابا أفتاها مثل الذي يقع على أمه ، والطيراني في الكبير عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يرنسها في الإسلام وفي سننه انقطاع ، وروى ابن أبي الدنيا والبخاري وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا موقوف في حكم المرفوع لأن كون الدرهم أعظم وررا من هذا العدد المخصوص من الرنا لا يدرك إلا بوحى فكانه سمعه منه ﷺ ، ولفظ الموقوف في أحد طرقه . قال عبد الله : الربا اثنان وسبعون حوبا أي بضم المهملة ويفتحها إنما أصحها حوبا كمن أتى أمه في الإسلام ، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية ، قال ويأذن الله للمير والفاجر بالقيام يوم القيامة إلا أكل الربا فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

وأحمد بسند صحيح والطيراني أنه ﷺ قال : درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية ٣) ، وابن أبي الدنيا واليهي خطبا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقد أن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يرميها رجل . والطيراني في الصغير والأوسط من أهان ظلما يبطل ليلحفي به حقا فقد يرى من ذمة - وذمة رسوله ﷺ ومن أكل دوهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن ثبت لحمه من سحت فالبار أولى به . وابن منبة واليهي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد المقبري عن أبي

صحيح ( البخاري ٥٩٣٩ و ٥٣٤٧ ) ، وأبو داود ( ٣٣٣٣ )

١ - صحيح ( حاكم ٣٧٢ ) وصحيح الجامع ( ٧٤٨ )

٢ - صحيح ( أحمد ٥ / ٢٢٥ ) ، وصحيح الجامع ( ٢٩٧٠ )

هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الربا سبعون حوبا أسرها إن ينكح الرجل أمه . والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال بهي رسول الله ﷺ أن تشتري الثمرة حتى تعظم وتقل إذا ظهر الرنا الربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم هذب الله . وأحمد بإسناد فيه نظر : ما من قوم يظهر بينهم الربا إلا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرحب والسنة العام المقسط من فيه عت أم لا . وأحمد في حديث حويل وابن منبة مختصرا والأصبهاني رأيت ليلة أسرى بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فإذا أنا برعد ويزوق وكواصف قال فأبيت على قوم بطونهم كاليوت فيها الحيات ترى من حارج بطونهم فت با جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء أكلة الربا والأصبهاني عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ما حرج بي إلى السماء نظرت في سماء الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت المعظام قد ماتت ظلوهم وهم منضدين على سابلة آل فرعون موقوفون على النار كل خلة وعشى يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء أكلة الربا من أمثك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، قال الأصبهاني قوله منضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أي يطوهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل خلة وعشى ، والطيراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر . والطيراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - فيسوق الصيافة فقل يا معشر الصيافة أبشروا قالوا بشرك الله بالجحيم يشرنا يا أبا محمد قال : قال رسول الله ﷺ للصيافة أبشروا بالربا . والطيراني إياك والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمس أكل الربا يمت يوم القيامة مجنوننا يتحبط ثم قرأ ﷻ : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (١) الأصبهاني يأتي أكل الربا يوم القيامة محلا مجنون يجر شقيقه ، ثم قرأ ﴿ لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ وابن منبة والحاكم وصححه : ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة ٢) . والحاكم وصححه أيضا الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل وأبو داود وابن منبة كلاهما عن الحسن بن أبي هريرة واختلف في سماه والجمهور على عدمه لياتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غيره ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المستد : والذي نفسي بيده ليبقى أناس من امتي على أشرف ويطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم مختصرا واليهي وللفظ له بيت قوم من هذه الأمة عني طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسحوا رده وحارير ولصبيهم خسف ولفظ حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة بيني فلان وخسف الليلة بدار فلان وترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل

(١) آية ( ٢٧٥ ) سورة البقرة

(٢) صحيح ( ابن منبة ٣٢٧٩ ) ، والحاكم ٣١٨ / ٤

منها وعلى دور بشرهم الحمر ولبسهم الحرير واتخاذهم للقبات واكلهم الريا وتطبعتهم الرحم . وخصلة نسيها روليه . القينات جمع قينة وهي المغنية .

### الباب السابعون

#### في حقوق العبد

هي أن تسلم عليه إذا لقيت ، ونحيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، ونعوذه إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات . وتبركسه إذا أقم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، ورد جميع ذلك في أخبار وأثار .

وقد روى أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محتسبهم ، وأن تستغفر للمتهم ، وأن تدبر للديرهم وأن تحب قائليهم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في معنى قوله تعالى ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) قال يدعو صالحهم طالحهم وطالحك لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك ليما قسمت له من الخير وثبت عليه وانصت به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهد وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .

قال الثعالب بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تناهى سائرهم بالخمر والسهر .

وروى أبو موسى عنه ﷺ أنه قال . المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ومنها أن لا يؤدي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول . قال ﷺ . المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢) وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فإن لم تقف فذم الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك ، وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم للمسلم من لسانه ويده ، وقال ﷺ أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا فمن المؤمن قال من آمن المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا فمن المهاجر ، قال من هجر السوء واجتنبه . وقال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن يسلم عليك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك . وكان مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى ينفو عظم أحدهم من جلده

(١) آية (٢٩) سورة الفتح

(٢) (صحيح البخاري) (٦٤٨٤)

تبتدى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين ، وقال ﷺ : لقد رأيت رجلا يغيب في الحنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين ، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - يا رسول الله علمني شيئا أتتبع به ، قال اهزل الأذى عن طريق المسلمين وقال ﷺ : من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له الجنة . وقال ﷺ لا يحمل مسلم أن يشير إلى أخيه بظرة تؤذي ، وقال ﷺ : لا يحمل مسلم أن يروع مسلما (١) . وقال ﷺ إن الله يكره أذى المؤمنين . وقال الربيع ابن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجهله ، ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل محتال فخور . وقال رسول الله ﷺ . إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم إن تفاخر عليه غيره فليتحمل قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ خذ انصروا وأمر بالتقوى وأعرض عن الضالين ﴾ (٢) .

وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ، ولا يأنف ، ولا يتكبر أن يش مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ، ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . وقال ﷺ لا يدخل الجنة فئات . وقال الحليل بن أحمد من غم لك ثم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ، ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه .

قال أبو أيوب الأنصاري قال رسول الله ﷺ . لا يحمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وغيرهما الذي ينابا بسلام ، وقد قال ﷺ من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة ، وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بمفوك عن أخوتك وفتتذكرك في الدارين ، قالت عائشة - رضي الله عنها - ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما عا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا ، وقال ﷺ ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله رجلا بمعفو إلا عزاء ، وما من أحد تواضع لله إلا رفعه الله .

### الباب الواحد والسبعون

#### في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد

قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأحلله الله على علم ﴾ (٣) الآية . قال ابن عباس ذلك لكافر اتخذ دية يعير هدى من الله ولا يرهان والسمي هو مطواع لهوى النفس يشع ما تدعوه

(١) (صحيح) أبو داود (٥٠٠٤) . وصحيح الجامع (٧٦٥٨)

(٢) آية (١٩٩) سورة الأعراف . (٣) آية (٢٣) سورة البقرة

إليه ولا يعمل بكتب الله فكأنه بعد هواه . وقال تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٢) ولذلك استعاض الله به بقوله اللهم إني أعوذ بك من هوى مطاع وشع متبع ، وقال : ثلاث مهلكات هوى مطاع وشع متبع وإعجاب المرء بنفسه (٣) وذلك لأن كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود إلى النار أعاقبنا الله به . قال بعض الماعزين إذا بدهك أمران لا تدري في أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب إلى هلاك فخالعه ، وفي هذا المعنى قال الشافعي - رضي الله عنه - :

إذا حال أمرك في معنيين ••• ولم تدوحك الخطأ والصواب

فخالف هواك فإن الهوى ••• يقود النفوس إلى ما يصاب

وقال العباس إذا اشتت عليك رأيان فدع أحبهما إليك وخذ أثقلهما عليك ، وأصله أن الأمر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتلبي معونته يشرك المرء إليه وتغرم النفس عليه ، والأمر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطئ معونته فتكسل النفس به وتكره التعب به .

روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال أقدموا هذه الأنفس فإني طليعة تنزع إليكم إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مري . وإن الباطل خفيف ويرى وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة وثلاثة ساعة أودت حزنا طويلا . وقال لقمان لانه أول ما أحذر من نفسك فإن نفس هوى وشهوة فإن أعطيتها شهواتها غادت وطلبت سواها ، فإن الشهوة كامة في القلب كمن النار في الحجر إن قدح أورى وإن ترك تولد .

قال بعضهم :

إذا ما أحببت النفس في كل دعوة ••• دعيت إلى الأمر القبيح للحرم

وقال آخر :

إذا أتت لم تمص الهوى قاطك الهوى ••• إلى كل ما فيه عليك مقال

وقال غيره .

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ••• طرق الرشاد إذا اتبعت هواك

(١) آية (٤٨) سورة احزاب

(٢) آية (٢٦) سورة ص

(٣) سبق تحريجه .

وقال

إذا شئت أتيتك الحمامة كلها ••• ونيل التي ترجوه من رحمة الرب

فخالف هوى النفس الميعة إنه ••• لأعدى وأردى من هوى الحب

فما سب حنف الهوى غير أن في ••• هوى الحب مهم عاف بعد عن الذنب

وجل المقاص في هوى النفس فاعتمد ••• خلاف الذي تهواه إن كنت فالف

وقال

إنارة العقل مكسوف بطرق هوى ••• وحقل حاصي الهوى يزهد تنويرا

وقال الفضل بن العباس :

لقد ترفع الأيام من كان جاهلا ••• ويردى الهوى ذا الرأي وهو لبيب

وقد تحمد الناس الفنى وهو مخطئ ••• ويعلم في الإحسان وهو مصيب

وقال الله : خلق الله العقل وقال له أثبت فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أحب الخلق إلى ، وخلق الحق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أبغض الخلق إلى . . . ورواه الترمذي .

ولله در من قال :

وقد أصاب رأي عين الصواب ••• من استشار عقله في كل باب

وقد رأى أن الهوى مهما يجب ••• يدعو إلى سوء العواقب والعقاب

وأشد آخر

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى ••• فلا تمعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها من مقتضى شهواتها ••• وإياك أن تحفل بمن قبل أو هوى

ودعها وما تدعو إليه فإنها ••• لأمر بالمسوء من هم أو مدى

نعمك أن تنجو من النار إنها ••• لقاطعة الأمعاء نزاعة الشوى

ومأثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك في ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقيمك في مواطن المحن فلا تحملك شهوة النفس على ركوب اللذات والقعود في مواطن الخطيئات ، قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها وأشد .

تجرد من الدنيا فباتت إنما •• سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد

سب يوم والأخرة بقطة والنوسيط بينهما الموت ومن في أخفشات أحلام من مظر بعين  
هوى حار ومن حكم على الهوى جاز ومن أطل النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية .

وقال رحمه الله : خير ديكيم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن  
مع نكر أشكر الناس ، وقال رحمه الله : من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبا  
به شيء من علمه (١) . قال إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة مقامات فزهد فرح وهو الكف عن  
محنوم ، وزهد سلامة وهو ترك الشبهات ، وزهد فضل وهو الزهد في الجليل ، وهذا تفسير  
حسن . قال ابن المبارك الزهد إخفاء الزهد إذا حرب الزاهد من الناس فاطلبه وإذا طلب الناس  
فاهرب منه .

وما أحسن قول القائل :

أنا وجدت فلا تظن غيري •• إن التورج عند هذا الدرهم  
فإذا قدرت عليه لم تركته •• فاعلم بأن تلك تقوى المسلم  
وليس الزاهد من زهد في الدنيا وقد أصرحت عنه وإنما الزاهد من أقبلت عليه  
فردى عنها وجهه وأثر الفلر منها كما قال أبو ناس .

إذا لم يزد ولم يزد وقد صبغت له •• بمصفرها الدنيا فليس بزاهد  
وقال بعض الحكماء :

تبأ لطلب دينا لا يقاء لها •• كأنما هي في تصرفها حلم  
صفواها كدر سرائها ضرر •• أمانها غرر أبوارها ظلم  
شابهها هرم راحتها سقم •• لدانها سلم وجنانها عدم  
لا يستعيد من الأنكاد صاحبها •• لو كان يملك ما قد ضمنت لوم  
مخل عنها ولا ترك لزهرتها •• فأنها نعم في طيها تقم  
واعمل لدار نعيم لا تضاد لها •• ولا يخلف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك إلى الدنيا اعتبارا ، ورفضك لها اعتذارا ، وسحبك  
بمعزازها وطلبك الآخرة ابتدارا .

### الباب الثاني والسبعون

#### في صفات الجنة ومراتب أهلها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت هومها وهومها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها  
وسرورها فإن من بعد من إحداهما استقر لا محالة في الأخرى لاستأثر الخوف من قلبك بطول  
العكر في أهوال الجحيم واستأثر الرحمة بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، وسق  
نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تال الملك العظيم وتسلم  
من العذاب الأليم ، فتتمكو في أهل الجنة وفي وجوههم نظيرة النعيم يسفون من رحيق مختوم  
جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام الذلول الرطب الأبيض فيها يسقط من العبقري  
الأخضر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهاره ومطرقة بالخمرة والعسل محفوفة  
بالخلجان والولدان مزينة بالخور العن من الخيرات الحسن كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يلمنهن  
أسس قلبهم ولا جان ، يمشين في درجات الجنات إذا امتثلت إحتوائهن في مشيها حمل أعطافها  
سبعون ألف من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما لا يحصى فيه الأبصار متوجات  
بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات فنجات عطرات أمات من الهرم واليوس مقصورات  
في الخيام في قصور من الياقوت ، يثبت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، لم  
يطاف عليهم وعليهن بأكراب وأباريق وكأس من معين بيضاء بدة للشاربين ، ويطوف عليهم  
خدام وولدان كأمتال اللؤلؤ المكنون جزاء ما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في  
جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وينظرون إليها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نظيرة النعيم لا يرمقهم قتر  
ولا ظلا بل عباد مكرمون يأتوا للتحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتبهت أنفسهم حالون  
، لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المون أسود ، فهم فيها يتعممون ويأكلون من  
أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وحسنا وماء غير آسن ، أراضيتها من فضة وحسباؤها  
مرجان وترايبها مسك أذفر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحب فيها من ماء التسرين على كنان  
الكافور ويؤتون بأكراب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان ، كوب فيه من الرحيق المختوم  
مروح به السلسيل العذب وكوب يشرق بوره من صماء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته  
وحمره لم يصعه آدمي ، فيقصر في تسوية صمته ونحسين صاعته في كف خدام يحكي ضياء  
وجهه الشمس في إشراقها ، ولكن من أبس للشمس مثل حلالة صورته وحسن أضدائه وملاحه  
أحداقه ، فيها عجايب لم يؤمر بدار هذه صمتها ويرقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحمل القجاجع بمن نزل  
بساتنها ولا تنتظر الأحداث بعين التفتير إلى أهلها ، كيف يأتس بدار قد أذن الله في خرابها وتها  
يعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش .



من خدشان كان جديراً بأن يهجر الدنيا ببيتها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتقصير من كبر وأهلها ملوك امسون وفي أنواع السرور مشغولون لهم في كل ما يشتهون هم من يوم صناع العرش يحضرون وإلى وجه الكريم ينظرون ويتألقون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه من سائر معيبي الخلق ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ينادي مناد يا أهل الجنة أف لكم أن تصحوا فلا تسقموا ؟ وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن لكم أن تحموا ؟ تساموا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَتُؤَدُّونَ أَنْ تَكُونَ الْجَنَّةُ أَوْ قَبُورًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ، مهم أريدت أن تعرف صفة الجنة فاقرا القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقراً من قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٢) إلى آخر سورة الرحمن ، وقرأ سورة الواقعة وطيرها من السور ، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولاً ( عدد الجنان ) .

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ قال جنتان من فضة أنبهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رده الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب المعاصي . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « من أتقى زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها والجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد . فقال أبو بكر رضي الله عنه : - والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم ، أي من تكون منهم ؟ (٣) .

ومن عاصم من ضمرة عن علي - كرم الله وجهه - أنه ذكر النور فعظم أمرها ذكرها لا أحفظه ثم قال : ﴿ وسبق الذين أتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ (٤) حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده جنة يخرج من تحت ساقها عينان غمريان فعمدوا إلى إحداها كما أمروا به فشرى منها فأذهبت من صلبه من أذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا

(١) سورة الأعراف .

(٢) سورة الرحمن .

(٣) صحيح البخاري ( ٢٨٤١ ، ٣٢١٦ ) ، ومسلم ( ١٠٢٧ ) .

(٤) سورة الزمر .

تعبير أشعارهم بعدها أبداً ولا شعث رؤوسهم كأنما دعوا بالدهان ثم انتهوا إلى الجنة ، فقال لهم حرسها ﴿ سلام عليكم طينتم بدحلوها حاندين ﴾ ثم تلقاهم الولد ، يطعمون بهم كما تطيف ولد من أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من عيبة يقولون له أبشر أحد الله بك من الكرامة كذا . وقال فينطلق علام من أولئك الولدان إلى بعض أروجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ، فتقول أنت رأيت فيقول أنا رأيت وهو يثري فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بأنها فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه فإذا جدد اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقعه فإذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لألم بأن يذهب بصره ثم يطأطأ رأسه فودا أرواجه وأكواب موضوعة ومارق مصفوفة وورابي مشوة . ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثم ينادي مناد تحبون فلا تموتوا أبداً وتقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحون فلا تمرضون أبداً .

وقال رسول الله ﷺ : أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك .

ثم تأمل الآن في خرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ، وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة للمعمودة تفاوتاً ظاهراً فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر ، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالسابقة والمتأخرة فيها فقال تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَبِئْسَ ذَلِكَ ظِلِّيَافِي الْمُتَأَخِّرِينَ ﴾ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء فقل عليك ذلك أو ضاق به صدرك وتنفص بسبب الحسد عيشك ، وأحسن أحوالك ، أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذاقيرها .

فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : أن أهل الجنة ليرامون أهل الغرف فوقهم كما ترامون الكوكب الغافر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينبغي لأحد غيرهم ، قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضاً إن أهل الدرجات الصلا ليرامهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من أفاق السماء وأبأ بكر وعمر لمهم ، وأنعم ، وقال جابر قال لنا رسول الله ﷺ : ألا أحدثكم بعرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأين أنت وأمتا قال : إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولم هذه العرف قال

إن أمضى اسلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قنبا يا رسول الله ومن يعنى ذلك قال أمضى تطبيق ذلك وسأحيركم عن ذلك من لقي أحياه فسلم عليه فقد أمضى السلام . من أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الأخرة وصلى العداة في الجماعة فقد صلى . سبل وإساق أيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس . ومثل رسول الله ﷺ عسى قوله تعالى : ﴿ وما تكن حية في جنات عدن ﴾ قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سيمون داراً من ياقوت أحمر في كل دار سيمون بيتاً من زهره أنضر . في كل بيت سرور على كل فرقة زوجة من الخور العين ، في كل بيت سبعون مائنة ، على كل مائنة سبعون لونا من الطعام ، في كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى للزمن في كل غداة يعنى من القوة ما يأتي على ذلك أجمع .

### في السيرة الرضا والقناعة

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقد قال تعالى ﴿ وما تكن حية في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ﴾ ومتعني الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى ، وقال تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فقد رجع الله الرضا فوق جنات عدن كما رجع ذكره فوق الصلاة حيث قال : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة لرضوان رب الجنة أعنى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنة . وفي الحديث : أن الله تعالى يتجنى للمؤمنين ، فيقول سلوى ، فيقولون رضاك ، لسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضل وأما رضا العبد لسؤاله حقيقة وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ، ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذا قصر أفهام الخلق عن دركه ، ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنها سألوها الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه عية العايات وأقصى . لأناس لما طقروا بعين النظر ، فلما أسروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعمموا أن الرضا هو سبب دوام رقع المحببات وقال الله تعالى ﴿ ولها مزية ﴾ (١) قال بعض لمصريين فيه يأتي أهل الجنة في وقت الفريد ثلاث تحف من عند رب العالمين إحداها هدية من عند الله تعالى ليس هندهم في الجنة مثلها فذلك قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ (٢) ولثانية السلام عليهم من ربهم ، فريد ذلك على الهدية

(١) آية (٣٥) سورة ق .

(٢) آية (٢٧) سورة السجدة .

مفضلاً وهو قوله تعالى ﴿ سلام قولاً من ربهم ﴾ (١) والثالثة يقول الله تعالى : ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ (٢) أى من النعم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما فضله من الأخبار فقد روى أن النبي ﷺ سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة إيمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفي خبر آخر أنه قال : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء . وفي الخبر : طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به . وقال ﷺ : من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل (٣) . وقال تعالى : إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضى اصطفاه . وقال أيضاً إذا كان يوم القيامة أتيت الله تعالى لطائفة من أمتى أجمعة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتعمون فيها كيف شاموا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب ، فيقولون ما رأينا حساباً فتقول لهم هل جرم الصراط ، فيقولون ما رأينا صراطاً فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئاً ، فتقول الملائكة من أمة من أنتم ، فيقولون من أمة محمد ﷺ ، فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا ، فيقولون خصلتان كانتا فينا نبلغنا منه للفتنة بفضل ورحمة الله ، فيقولون وما هما ، فيقولون كنا إذا خلونا نستحي أن نصيبه ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة بحق لكم هذا .

وقال ﷺ : يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تفقروا بثواب فركم وإلا فلا (٤) وفى أحبار موسى - عليه السلام - أن بنى إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى - عليه السلام - إلهي قد سمعت ما قالوا : فقالوا يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى أوحى عنهم .

وأما فضل الصبر فقد ذكر في القرآن في ثيف وتضمن موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخير إلى الصبر وجعلها ثمراً له وجمع الصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول .

أما الأخبار : فقد قال ﷺ : الصبر نصف الإيمان ، وقال ﷺ : من أقل ما أوتيتم بيقين وحرمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن نصبروا

(١) به (٥٨) سورة يس (٢) آية (٧٢) سورة التوبة

(٣) ضعيف (تحف السادة ٩ / ٦٥٠) وضعيف الجامع (٥٦٠٦)

(٤) تحف السادة ٩ / ٢٨٣ و ٢٩٥

على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يراني كل امرئ منكم يحمل حمل جميعكم ، ولكنني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا فيكر بعضكم بعضاً ويتكبركم أهل السوء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكامل ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا عِدَّكُمْ يَفْعَلْ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الَّذِي صَبَرُوا أَجْرَهُمْ ﴾ الآية .

وروى جابر أنه - مثل - **عنه** عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة . وقال أيضا : الصبر كثر من كور الجنة <sup>(١)</sup> . ومثل مرة ما الإيمان فقال الصبر . وهذا يشبه قوله **عنه** الخبز عرفة معناه معظم الخبز عرفة ، وقال أيضا **عنه** : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس <sup>(٢)</sup> ، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - تخلق بأخلاق وإن من أخلاقى أني أنا الصبور . وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله **عنه** على الأنصار فقال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء وترضى بالقضاء فقال **عنه** : مؤمنون ورب الكعبة . وقال **عنه** : في الصبر على ما تكره خير كثير . وقال المسيح - عليه السلام - إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله **عنه** : لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخبار في هذا لا تحصى ، وقال **عنه** : صر من قنع ودل من طمع ، وقال **عنه** : القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا .

### الباب الرابع والسبعون

#### في فضل التوكل

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وأعظم بقاء موسم بحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون بكفاية الله تعالى ملائسته ، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومجبه وراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن للحيوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ، ومن الأخبار قوله **عنه** : فيما رواه ابن مسعود رأيت الأم في الموسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وحيثهم فقلت لي أوشيت قلت نعم قليل ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتون ، ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله **عنه** اللهم اجعله منهم فقال آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال **عنه** سبقك بها عكاشة . وقال

**عنه** : لو أنكم تتوكلون على الله حتى توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا . وقال **عنه** : من انقطع الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى السب وكله الله إليها . وقال **عنه** : من سره أن يكون أسمى الناس وليكن بما عند الله أولق منه بما في يديه .

وروى عن رسول الله **عنه** أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال : قوموا إلى الصلاة ويقول هذا امرئ ربي عز وجل . قال عز وجل : ﴿ وَأَمَّا أَنتُك بَالصَّلَاةِ وَاصْبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية . . وقال **عنه** لم يتوكل من استرقى واكتوى

وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم - عليهما السلام - وقد رمى النار بالمتجنون أنك حاجة قال أما إليك فلا فناء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأمر الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي ولي ﴾ ، وأوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكليه السموات والأرض إلا جعلت لها مخرجاً . وقال سعيد بن جبير لدغتي عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين فتأولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت ﴾ إلى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وفيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته .

وقال بعض العلماء لا يشغلك للمضمون لك من الرزق عن الفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد . وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم هندي ولكن من ربي من أين يطعمني . وقال بعضهم متى وضعت بالله وكَيْلا وجدت إلى كل خير سبيلا . . نسأل الله الأجيب .

### الباب الخامس والسبعون

#### في فضل المسجد

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتُوبُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال **عنه** : من سأل الله محبداً ولو كمضغ قصبة بنى الله له قصراً في الجنة <sup>(٢)</sup> ، وقال **عنه** : من أتم المسجد أتمه لله تعالى ، وف **عنه** : إذا دخل أحدكم مسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس .

(١) به (١٨) سورة التوبة

(٢) (ضعيف) أحمد ١ / ٢٤١ ، ومجمع الروايات ٧ / ٢

(٢) تحف السادة ٩ / ٦ ، ٢٥٥

(١) (موضوع) كشف الخفاء ٢ / ٢٧

(٣) به (١٥٩) سورة آل عمران

وقال ﷺ : لا صلاة خارج المسجد إلا في المسجد (١) وقال ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يعرج من المسجد وقال ﷺ : يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقتلون فيها خلقاً خلفاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يخالسهم فليس لله بهم حاجة وقال ﷺ : قال الله عز وجل في بعض الكتب إن بيوتى في أرضي المساجد وإن روارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم رادى في بيته فسحق على المزور أن يكرم رآته وقال ﷺ : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فلما يجالس فيه فما حقه أن يقول إلا خيراً .

ويروى في الآثار أو الخبر : الحديث في المسجد يأكل الحسنة كما تأكل البهائم الحشيش . وقال الشعبي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحمة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه . وقال علي كرم الله وجهه إذا مات العبد يركب عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ (٢) وقال ابن عباس تكيى عليه الأرض أربعين صباحاً . وقال عطاء الخرماني ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ويكتب عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا انتشرت على ما حولها من البقاع وانتشرت يذكر الله عز وجل إلى متنها من سبع أرضين وما من عبد يقدم يصلي إلا تزخرقت له الأرض . ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم لا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم .

### الباب السادس والسبعون

#### في الرياضة وفضل أهل الكرامة

أعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً أبصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عنه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدكم لقدى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف نفسه هذه أربعة طرق (الأول) أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الأفعال ويحكمه في همه ويسع إشارته في معاهدته وهذا شأن المريد مع شيوخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أسناده

(١) (ضميف) البيهقي ٣ / ٧٥ ، وضميف الجامع (٦٢٩٧)

(٢) آية (٢٩) سورة الدخان

وشيعه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا عز في هذا الزمان وجوده ، (الثاني) أن يطلب صديق بصيراً متدياً بعيوبه رفيق على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله مما كره من أحواله وعيوبه الباطنة والظاهرة يهيه عليه فهكذا كان يعمل الأكياس والأكابر من أئمة الدين .

كان صهر - رضي الله عنه - يقول رحمه الله امرأ أهدي إلى عيبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك عنى بما تكرهه فاستمعى فألح عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حنتين حطة بالنهار وحلة بالليل ، قال وهل بلغك غير هذا قال لا ، فقال أما هذان فقد كميتهما وكان يسأل حنيفة ويقول له أنت صاحب مر رسول الله ﷺ في المناقنين فهل ترى على شيئا من آثار التفريق فهو على جلالة قدره وهو متعصب هكنا كانت تهمته لنفسه - رضي الله عنه - فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى متعباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز قل في الأصلح من يترك للفتنة فيغير بالمعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدفائك من حسود أو صاحب فرس يرى ما ليس بعييب عيا أو من مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ، ولهذا كان داود الطائي قد احتل الناس فقير له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأنوم يخفون عني عيبي . فكانت شهوة دوى الدين أن يتبهوا لعيوبهم بتبنيه غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من يصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصلاً من ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لناغة فلو نبهنا عنه على أن نحت ثوبنا حقرباً لتقلنا منه مة وفرحتا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإصلاحها وقتها وإنما نكابتها على البدن ويدوم لها يوماً فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب انعشى أن تدوم بعد الموت أبداً أو الآقا من الستين ثم أنا لا نفرح بمن نبهنا عليها ولا نشغلنا بازائها بل نشغل بمقابلة الناصح بمثل مقابلته فنقول له وأنت أيضاً تصنع كبت وتشغلنا العلوة معه عن الانتفاع بتصححه ويهبه أن يكون ذلك من قسوة القلب التي أغرتها كثرة القنوب . وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصبرنا ويشغلنا بمدلولاتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا منه وفضله .

الطريق (الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبتلي ولعل انتفاع الإنسان بمدح مشايخه يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويحصى عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدح وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق (الرابع) أن يحاطب الناس فكل ما رآه مضموماً فيها بين الخلق فليطالب نفسه بها ويسبها إليه فإن المؤمن مؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطبع متفارية في

اتبع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقران لا يفتك القرن الآخر من أصله أو عن أصله منه أو عي شيء منه فليتمد نفسه ويظهرها من كل ما يلزمه من غيره ، وناهيك بهذا تأديها فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لا يستغنوا عن المؤدب .

واعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمرها وأدويتها بمرور العلم واليقين من عجزت عن ذلك فلا يبغى أن يعوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد لأن للإيمان درجة كما أن العلم درجة ولعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ دَرَجاتٍ ﴾ فمن صدق بأن مخالفته الشهوات هو الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا ، وإذا اطلع ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَمَّتِ النَّفْسُ مِنَ الْهَوَىٰ ۖ إِنَّ أَنْفَ النَّفْسِ مِنَ الْهَوَىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ قُلُوبُهُمْ لِلْعُقُوبَةِ ﴾ قبل نزول منها محبة الشهوات . وقال ﷺ : « المؤمن بين خمس شذائد مؤمن وحسنه ومتفق يخطئه وكافر يقاتله وشيطان يضلّه ونفس تنازعه » (١) . فبين أن النفس حلو نازع يجب عليه مجاهدتها .

ويرى أن الله تعالى أوحى إلى داود - عليه السلام - يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عن محبوبة ، وقال عيسى - عليه السلام - طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لم يعود غائب لم يره . وقال نبينا ﷺ نقوم قدموا من الجهاد : مرجأ بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس . وقال ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه بى طاعة الله عز وجل » (٢) . وقال سفيان الثوري ما حاجبت شيئا أشد على من نفسي مرة لى ومرة على ، وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا مى الدنيا مع أرباب الملوك تسعين ولا لى طلب الآخرة مع العباد المجتهدين كأنى بك بين الله والنار تحسبين يا نفس ألا تسعين . وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحرج إلى اللجام الشديد من نفسك . وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسيايف الرضاية والرضاوية والريضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والعرض من سام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام ويتولد من فئة الطعام موت الشهوات ويراد به اسم صغر الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الأفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الفاهات

ومال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن

الشیطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه فى يدها تجرّه حيث شاءت فتجمع قلبه من المعوائد . وقال جعفر بن حميد أجمعب العلماء والحكماء على أن التميم لا يدرك إلا بترك التميم . وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات . وقال وهيب بن الورد مازاد على الحيز فهو شهوة ، وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتها للذل .

ويرى أن امرأة العزيز قالت ليوسف - عليه السلام - بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكب وكأن يركب فى رهاء اثنى عشر ألف من عظماء مملكته سبحانه من جمع الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن احرص والشهرة صبرا الملوك عبيدا وذلك جراء المفسدين وأن الصبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا . فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّهُ مِنِّي وَيَكُونُ إِذَا لَبِثْتُ الْإِسْرَءِيلَ لَا يَضْمَعُ إِسْرَءِيلَ مَعْصِيَتِي ﴾ (١) وقال الجليلي أرقبت ليلة لقيت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فمضرت فإذا رجل يلتف فى عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال يا أبا القاسم إلى الساعة قف يا سيدى من غير مرهد ، فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال : فمتى يصير داء النفس دواها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال إسمعى فقد أجبك بهذا سبع مرات فليت أن تسمعيه إلا من الجنيد ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشى إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعل لا أحرمه فى الآخرة . وقال رجل لعمر ابن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - متى أتكلم قال إذا اشتبهت الصمت : قال متى أصمت قال إذا اشتبهت الكلام . وقال على - رحمه الله عنه - من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا .

### الباب السابع والسبعون

#### فى الإيمان والتفان

إعلم أن كمال الإيمان الذى هو التصديق بوحدة الله تعالى وبما جاءت به الرسل - صلوات الله عليهم - بربده الأعمال . قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَأْتُوا جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾

بأنه و يوم لاخر والملائكة والكتب والنبيين ﴿ مشروط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على شدة ندب من تعالى ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ وقد قال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقال تعالى ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ الآية .  
وقد قال تعالى ﴿ هم درجات عند الله ﴾ وقال ﴿ الإيمان هريان ولباسه الشغوى الحديث  
وقال ﴿ الإيمان يضع وسيمون بابا أدناها إحاطة الأذى عن الطريق ، فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة من النفاق و : ك الحصى فقولہ ﴿ أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان وإذا خاصم فجر . وفي بعض الروايات وإذا حاد عن الحق . وقال - عليه السلام - أكثر منافق هذه الأمة قراؤها . وفي الحديث الشريك أخفى في أمي من ذيب البمل على الصفا . وقال حذيفة - رضي الله عنه - كان الرجل يتكلم الكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات .

وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يروي أنه يرى من النفاق . وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي ﷺ فكانوا إذ ذاك يخفون وهم اليوم يظهرهون وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتحوفه وأقربهم منه من يرى أنه يرى من فقد نيل للحس البصري يقولون : إنه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لا مستوحشتم في الطريق : وقال هو أو غيره لو ثبت للمنافقين أذنان ما قبلوا أن يطأ على الأرض بأقداما وسمع ابن عمر - رضي الله عنه - رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكت تكلم فيه فقال لا ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة . وقال أيضا ﷺ شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، وقيل للحسن إن قوما يقولون إننا لا نخالف النفاق فقال والله لأن أكون أحسن أس يرى من النفاق أحب إلى من نلال الأرض فها ، وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة - رضي الله عنه - إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خعت النفاق إن المنافق قد أس من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين وفاة ، وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم ينفون النفاق

وروي أن رسول الله ﷺ كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الشاء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق بعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه ، فقال ﷺ أرى على وجهه سمعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم ، فقال النبي ﷺ شدت الله

هل حدثت نفسك حين أشرت على القوم أنه ليس فيهم خير منك ، فقال اللهم نعم ، فقال ﷺ في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم قبل له أتخالف يا رسول الله ، فقال وما يؤمنى والقلوب بين إصمين من أصابع أثر حصى يعلب كيف يشاء . وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ وهذا لهم من الله ما لم يكتوبوا يحسبون ﴾ قيل في التعبير عمودا ، أعمالا طورا أنها حسبات فكانت في كفة السيئات . وقال سري السقطي لو أن إسبا دخل بسنا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخطابه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ، ولي الله فكنت تنس إلى ذلك كان أسرا في يديه . وهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين . وقال أبو سليمان النخعي سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكره فخعت أن يأمر بقتلى ولم أحب من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزيم للخلق عند خروج روعي فكفمت وهذا من النفاق الذي يضاد حذيفة الإيمان وصدقه وكماله وصعابه لا أصله ، فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويخلق بالكافرين ويترك في زمرة للمخلدين في النار والثاني يفضى بصاحبه إلى النار مرة أو ينقص درجات عشرين ويحط من رتبة الصديقين .

### الباب الثامن والسبعون

#### في النهي عن الغيبة والنميمة

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة ، فقال تعالى : ﴿ ولا تقب بغيركم بغضا أبغ أبغكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهوه ﴾ وقال - عليه السلام - كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم . وقال أبو برزة قال - عليه السلام - لا تجاسنوا ولا تباغضوا ولا تتاجسوا ولا تتابروا ولا يقتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا . وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ - يراكم والغيبة من الغيبة أشد من الرما فإن الرجل قد يرئى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه . وقال أنس قال قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أسرى بي على أقوام يمحضون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يشتابون الناس ويقعون في أعراضهم . وقال سليمان بن جابر أتيت النبي - عليه الصلاة والسلام - فقلت علمي حبرا أنتع به ، فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن نصب من ذلوك في إناه المستقى وأن تلقى أخاك بيشر حسن وإن أدبر فلا تقته .

وقال البراء حطينا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال : يا معشر من آمن



وقول الآخر :

يسمى عليك كما يسمى إليك فلا ••• تأمن غوائل ذي وجهين كيداً

## الباب التاسع والسبعون

## في بيان عداوة الشيطان

قال ﷺ : في القلب لثان لمة من الملك لإبعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو لإبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ الآية . . وقال الحسن إنما هما ممان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهدته ، وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء حاجوه ولا مضوا وتركوه يعني إن القلب الخالي من الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنْ عَادَى ابْنٌ كُفًّا فَلْيُقَاتِ مِنْهُ ﴾ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك لا يدخله الشيطان وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَأْتِ مِنَ الْغَدِ إِلَهُهُ هُوَ ﴾ وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ، ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى ﷺ يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرأتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزرب فإذا أحسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يمارك ثلاثاً قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني .

وفي الخبر أن لئوضوه شيطاناً يقال له الولهان لماستعينوا بالله منه ، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يحوز أيبس أن يكون محالاً للشيطان وذكر الله وهو الذى يؤمن جانيه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون العالِب عليهم ذكر الله تعالى وإن الشيطان يطوف عليهم في أوقات العلمات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ أَتَقْوَى إِذَا مَتَّعْتُمُ طَائِفَةً مِنَ الشَّيْطَانِ تَدَّكَّرُوا إِذَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴾ وقال مجاهد في معنى قوله تعالى ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ عد هو ميسر على القلب فإذا ذكر الله تعالى غشى وانقبض وإذا غفل أبسط على قلبه فالتطاود بين ذكر الله تعالى

ووسوسة الشيطان كانت تصرد بين السور والظلام وبين الليل والنهار ولتصادهما فإن الله تعالى ﴿ استخوذ عيهم لشيطان فاسمهم ذكر الله ﴾ وقال أسد بن رسول الله ﷺ : إن الشيطان وضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خمس وإن مى الله تعالى التغم عليه . وقال ابن عباس : وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يثب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجهه وجه من لا يملح وكما أن الشهوات محتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً صارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه .

ولذلك قال ﷺ : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم لضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجرى الشيطان الشهوات ولا أجل اكتاف الشهوات للقلب من جوانبه ، قال الله تعالى إخباراً عن إبليس : ﴿ لَا أَقْدِنُ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثُمَّ لَا تَبْهَمُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَهُوَ أَيْمَانُهُمْ وَهُوَ كَمَالُهُمْ . وقال ﷺ : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفة لقمعه له بطريق الإسلام فقال أسلم وترك دينك وعين أياك فعضاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتدع أرضك ومعدك فعضاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكبح نساؤك ويقسم مالك فعضاه وجاهد ، وقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة .

## الباب الثامنون

## في بيان المحبة ومحاسبة النفس

قال سميان المحبة اتباع رسول الله ﷺ وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته ، وقال الجنيح حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بمحوى فإذا رآه المحوى زالت المحبة ، وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله إظهار أن تلب لغير الله . وقيل للشبلى رحمه الله صف لنا الماوف والمحبة فقال الماوف إن تكلمت هلك والمحبة إن سكنت هلك وأنشد الشبلى رحمه الله :

يا أيها السيد الكريم ••• حبك بين الحبس مميم

يا رافع السنوم عن جفوني ••• أنت بما مريم هليم

وقال ابنة لعدة ب ما ••• حباً فقالت عادمة لها حسناً معنا ولكن الدنيا



قطعتا عنه ، وقال ابن الجلاء - رحمه الله تعالى - أوحى الله تعالى إلى عيسى - عليه السلام - إنني إذ أعلمت على سر عبيد فلم أجد فيه حبه الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته بحفظي ، وقبل تكلم سنون يوماً في المحبة فإذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل يتقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه ممات ، وقال إبراهيم بن أدهم إني إنك تعلم أن أبلجة لا ترون عندي جناح بموضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأنستني بذكرك وفرقتني للتذكر في عظمتك ، وقال السري - رحمه الله - من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يقدو ويروح في لاش والعاقل من عيوبه تناش .

وأما محاسبة النفس فقد أمر الله بها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَحَرُّوا عَنْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُنْفَكِينَ ﴾ (١) وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر - رضي الله تعالى عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوها ، وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص من أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإذا كان رشدا فامضه وإن كان حيا فائته حبه وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع مساهات منها ساعة يحاسب فيها نفسه قال تعالى : ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَقْوَى اللَّهِ ﴾ (٢) والتوبة نظر في العمل بعد المراجحة منه بالتدبر عليه وقد قال النبي ﷺ إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ خُلُوفٌ مِنْ الثَّيْبِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ ﴾ (٣) .

ومن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شركه والشركان يتحاسبان بعد العمل .

وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن أبا بكر - رضوان الله عليه - قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ، وحديث أبي طلحة حين شعله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للمرء ما فاتته ، وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلماذك ما يكفيك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تذكره . وقال الحسن المؤمن فوام على نفسه يحاسبها الله وإنما يخف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم

(١) آية (١٨) سورة الحشر

(٢) يه (٣١) سورة البور

(٣) آية (٢٠١) سورة الأعراف

القبلة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن بمجره الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك هذا حساب قبل العمل ثم قال ويعرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أهدر بهذا والله لا أهود لهذا أبدا إن شاء الله .

وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوما ولد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعت يقول ويبنى ويبنى جدار وهو في الحائط عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين بيع بنخ والله لتتقين الله أو ليعلينك . وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْسِمُ بِالْإِثْمِ الْكَبِيرِ ﴾ (١) قال لا يلقى المؤمن ألا يملأ نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والقاجر يعضي قدما لا يعاقب نفسه ، وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - رحم الله عبدا قال لنفسه ألسنت صاحبة كذا ألسنت حاسبة كذا ثم دعها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قالدا وهذا من معاتبة النفس ، وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان فاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأهانت أبنكارها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدنها وأهانت من سلاسلها وأغللها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدني فقالت لريد أن أورد إلى الدنيا فأحمل صاحبها قلت فأنت في الأمانة فاهمل . وقال مالك بن دينار سمعت الصحاح يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحاسب إلى غيره ، رحم الله امرأ أخذ يمتان عمله فنظر ماذا يريد به ، رحم الله امرأ نظر في مكياله ، رحم الله امرأ نظر في ميزانه فمارال يقول حتى أيكاني وحكي صاحب للأحتف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدهاء وكان يجهي إلى الصباح فيضع فيه إصبعه فيه حتى يحمى بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

### الباب الحادي والثمانون

#### فني بيان تلبيس الحق بالباطل

قال رسول الله ﷺ فيما رواه محفل بن يسار : يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كم تحلق الشياطين على الأبدان أمرهم كله يكون طمعا لا حروف معه إن أحسن أحدهم قال يقتل مني وإن أساء عا لم يعر لي فأحير أنهم يصعبون الطمع مريض الخوف لجهلهم

(١) آية (٢) سورة الصفا

بحروبهم القراء وما فيه ، ويمثله أحبر أنهم البصاري ، إذ قال تعالى : ﴿ لَخَلَفَ مِنْ بَدَهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَخْفَوْنَ عَنْهُمْ وَيُقَلِّدُونَ أَهْلَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم عنه ، ويأخذون عرس هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا (٢) ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم عنه ، ولم يحلف مقام به جنته (٣) ، ﴿ لَمْ يَخَفْ مَقَامِي خَالَفَ وَعَيْدِي ﴾ (٤) والقرآن من أوله تحدير وتحذير لا يتفكر فيه متصكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمناً بما فيه ولرى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها وتصبها وكأنهم يترجون شعراً من أشعار العرب لا يهمهم الائتمات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجع كافة حسناتهم مع أن ما في كافة السيئات أكثر هذا غاية الجهل ترى الواحد يتصلق بغيرهم مصدقة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أخصافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه يتصلق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألف وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة جعلها واعتد به كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتش المسلمين ويحرق أراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طرل النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سبحة أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هلياته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالمقاب على كل كلمة فقال : ﴿ مَا يُلْقِي مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَسِدٌ ﴾ فهذا أبدا يتأمل في فصول التسيحات والتهديلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المفتابين والكذابين والشامسين والمتنافقين الذين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك من محض الغرور ، ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هلياته الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من معانيه وما نطق به في قراته كان يعلم ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخها فيما عجزا لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفه على قيراط بقوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوات الفرص الأعلی ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تمكر فيها فقد دفعنا إلى أمر أن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وأن صدقنا به كنا من الحمقى الغرورين ، فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنما نهراً إلى الله أن تكون من أهل الكرام فيبذل من صدقنا عن التنبيه واليقين مع هذا البيان .

(١) آية (١٦٩) سورة الأعراف

(٢) آية (١٦) سورة الزمر

(٣) آية (١٤) سورة إبراهيم

(٤) آية (٣) سورة النور

(٥) آية (١) سورة النور

## الباب الثاني والثمانون

## في فضل صلاة الجماعة

قال ﷺ : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة . همت أن أمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتجمعون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بعزم الحطب ولو علم أحدكم أنه يجد عظما سميت أو ممراتين لشهدا . . . يعني صلاة العشاء .

وقال عثمان - رضي الله عنه - مرفوعاً عن شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة . وقال ﷺ : « من صلى صلاة في جماعة فقد ملا بجره عبادة » (١) وقال سعيد بن المسيب ما أدد مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد . وقال محمدين واسع ما أشتي من الدنيا إلا ثلاثة : أنما أن تموجت قومي وقوتنا من الرزق عفواً بغير توبة وصلاة مع جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها .

وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي أتفا حتى رأيت أن لى فضلا على غيرى لا أوم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يحتلم إلى العلماء . وقال النعمان مثل الذي يؤم الناس بعير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدرى ريادة من نقصانه . وقال حاتم الأصم فاتسى الصلاة في الجماعة فغزاني أبو إسحاق البخاري وحده ولو مات بي ولد لمر بي أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المتأدي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - لأن محمداً أدن ابن آدم وصاحبا مذبا خير له من أن يسمع البناء ثم لا يجب .

وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقليل له إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق . وقال ﷺ : « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تقوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له برامتين براءة من النفاق وبرائة من النار » (٢) وقال أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكركب الدري فتقول لهم الملائكة ما كنتم أعمالكم فيقولون ك إذا سمع الأذان قما إلى العبادة لا يشمت غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد .

(١) آية (٣) سورة النور

(٢) آية (١) سورة النور

وروي أن اسف كانوا يمرون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويمرون سبعا إذا فاتتهم الجمعة .

الياب القلت والثمانون

**فيس فضل صلاة الليل**

أما من الآيات فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ بِعِلْمِ أَلَنَّا أَنْتَ مِنْ ثَلَاثِي اللَّيْلِ ﴾ (١) الآية . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أَمِنْ هُوَ فَاذْنَبَ اللَّيْلُ ﴾ الآية . . وقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَبُوءُونَ لَهُمْ سُبْحَانَ وَبِقَامَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَجِبُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ قبل هي قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة النفس

ومن الأخبار: **قوله** **ﷺ** : **« يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (٢) . وفي الخبر أنه ذكر عند رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في أهله . وفي الخبر أن للشيطان سموطا ولعوقا ودورا فإذا أسقط العبد ماء خلقه وإذا ألغقه ذوب لسانه بالسر وإذا ذوره نام الليل حتى يصبح . وقال **ﷺ** : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولو أن أشق على امتي لمرغبتها عليهم » (٣) . وفي الصحيح عن جابر أن النبي **ﷺ** قال : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة . وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله **ﷺ** حتى تقطرت قدماه فليل له أما قد هجر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . ويظهر من معناه أن ذلك كثافة من زيادة التوبة فإن الشكر سبب المزيد . قال تعالى : **« لئن شكرتم لأزيدنكم »** (٤) وقال **ﷺ** : يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ويك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكر مور بيتك في السماء كور الكواكب والنجم عد أهل الدنيا . وقال **ﷺ** : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربه إلى الله عز وجل وتكفي للذنوب ومطرده للبداء عن**

(٦) آية (٢٠) سورة المزمل

(٢) (مصحح) البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦)

(٣) (صعب) تحالف السادة ٥ ، ١٨٥ ، وضعيف الحامض (٢١٣٧)

(٢) في سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩٨٥ م

الحمد ومهابة عن الإثم»<sup>(١)</sup> وقد ﷺ : ما من امرئ تكون له صلاة بالدليل فقلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان يومه صدقة عليه . وقال ﷺ : لأبي ذر . لو أردت سفرًا أعددت له حدة قال نعم قال فكيف سمر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر عما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوم ما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لو حشة القبور ورجع حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها .

وروي أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ مضاجعهم وهذأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول بآرب النار أجرني منها ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : إذا كان ذلك فأدوني فاتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى برز جبرائيل - عليه السلام - وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة . وروي أن جبرائيل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأفوك لا فيقوم فصلاته ثم يقول يا نافع أسحرتنا فيقول نعم فيقعده فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ليلة من عبز شعير فتام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت على العفروس إطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك إشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعه لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلود بعد المسوح . وقال رسول الله ﷺ رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أبغض امرأته فصلت فإني أبغضت في وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أبغضت زوجها فصلت فإني أبغضت في وجهه الماء . وقال ﷺ من استيقظ من الليل وأبغض امرأته لصيا ركعتين كتبنا من الذاكرين الله كثيرا والناكرات وقال ﷺ أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل . قبل كان الإمام البحاري - رضي الله عنه - كثيرا ما يمثل بهذه البيتين

اختتمت في الفراغ قبل ركوع •• فعسى أن يكون موتك بقعة

كم صحيح رأيك من غير سم \* \* \* خرجت نمسه الصحيحة فنته

\*\*\*

(١) (ضعيف) الترمذي (٢٥٤٩)، وضعيف الجامع (٢٧٨٩)

## الباب الرابع والثمانون

## في مقابلة علماء الدنيا

وتعالي يعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدتهم من العلم التمتع بالدنيا والتوصل إلى الجاه والكره **قال** **ﷺ** : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم يتعلمه الله يعلمه ، وعنه **ﷺ** أنه قال لا يكون المرء عالماً حتى يكون يعلمه عالماً . **وقال** **ﷺ** : العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع . **وقال** **ﷺ** : يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق . **وقال** **ﷺ** : لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتكبروا به السفهاء ولتعرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار . **وقال** **ﷺ** : من كتم علماً عنده ألبسه الله بلعاً من نار . **وقال** **ﷺ** : لأننا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الأئمة المضلين . **وقال** **ﷺ** : من أراد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً . **وقال** عيسى عليه السلام : إلى متى تصمون الطريق للملجدين وأنتم مقبضون مع المتحينين . فهذا ولغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما منمرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة **وقال** عمر رضي الله عنه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المناق العليم قالوا وكيف يكون منافقاً علماً قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل . **وقال** الحسن رحمه الله لا تكون ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجزي في العمل مجرى السقاء . **وقال** رجل لأبي هريرة رضي الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى ترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن حنيفة أي الناس أطول للماء قال في جاهل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعاظم مفرط . **وقال** الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبه ورجل يدري ولا يدري فذلك عالم لا يقظوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشده ورجل لا يدري ولا يدري أنه يدري فذلك جاهل فارفضوه . **وقال** سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا أنرحل . **وقال** ابن المبارك لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا طلى أنه قد علم فقد جهل . **وقال** الفضل بن عياض رحمه الله إنى لأرحم ثلاثة . عريب قوم دل وعسى قوم دتفر وعالما تدب به الدنيا **وقال** الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت لقب طلب الدنيا يعلم الآخرة وأنشدوا

عجبت لمشاخ الصلابة بالهدى •• ومن يشتري دينه بالدين أعجب  
وأعجب من هدير من داب دبه •• ديناً سواه فهو من دين أعجب

**وقال** **ﷺ** : إن لعالم ليعذب عذاباً يطيب به أهل النار استعطافاً لشدة عذبه أراد به العالم المعاصر . **وقال** أسامة بن زيد سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : يؤتى بالمعالم يوم القيامة فينقى من النار فتدلق أقدانه فيدور بها كما يدور الحمير بالرحى فيطيب به أهل النار فيقبضون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا أتبه وأنهى عن الشر وأتبه وإنما بصاعب عذاب العالم في معصيته لأن عصي عن عدم ولذلك قال الله عز وجل **﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾** <sup>(١)</sup> لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل لليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا أنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذا قال الله تعالى **﴿ يَخْفَوْنَ كَمَا يَخْفَوْنَ أَتَانَهُمْ ﴾** . **وقال** **ﷺ** : لفسا جامع ما عرفوا كفروا به لفسا الله على فكالكربن **ﷺ** . **وقال** تعالى في قصة لعمام بن باهرواء **﴿ وَافْلَ عَلَيْهِمْ نَارُ الَّذِي أَتَاهَا نَارًا لَانْصِلَ مِنْهَا فَاتَمَّ الشَّيْطَانُ كَذَابًا مِنَ الْقَارِيْنِ ﴾** <sup>(٢)</sup> حتى قال فتمتله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تترك يلهث فكللك العالم الفاجر فإن بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات **وقال** عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صحرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع .

## الباب الخامس والثمانون

## في فضل حسن الخلق

**قال** الله تعالى لبيبه وحببه مشياً عليه ومظهراً بعبودته لديه **﴿ وَأَنَّكَ لَفِي حَقِّرٍ عَظِيمٍ ﴾** <sup>(٣)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله **ﷺ** خلقه القرآن . **وسأل** رجل رسول الله **ﷺ** من حسن الخلق فقال قوله تعالى **﴿ خُذِ الْعَمْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾** ثم قال **ﷺ** هو أن تصل من قطعك وتمضي من حرملك وتعضو عن ظلمك **وقال** **ﷺ** : إذا بعثت لأئمة مكارم الأخلاق <sup>(٤)</sup> **وقال** **ﷺ** : أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل إلى رسول الله **ﷺ** من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثابه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أنه من قبل شعله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم أنه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لا تمص وقبل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق **وقال** رجل لرسول الله **ﷺ** أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال ردي قال أتبع السنة أحسنه لمحجها ، ردي قال حائلك الناس يخلق حسن ومثل عليه السلام : أي الأعمال أفضل قال خلق حسن . **وقال** **ﷺ** : ما حسن الله خلق عبده وخلقه

(٢) آية (١٧٥) سورة الأعراف

(٤) يعني ١٠ ١٩٢

(١) آية (١٤٥) سورة النساء

(٣) ب (٤) سورة الفهم

يطعمه الله . وقال العنبري قيل لرسول الله ﷺ إن ثلاثة تصوم النهار وتقوم الليل وهي ميتة الخلق تؤدى جيرانها بلسانها قال لا غير فيها هي من أهل النار . وقال أبو الفداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء » (١) . ولما خلق الله الإيمان قال اللهم قوبى فقواه بحسن الخلق والسخاء . ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوبى فقواه بالبحل وسوء الخلق . وقال ﷺ : إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا مرموا دياركم بهما . وقال عليه السلام - حسن الخلق خلق الله الأعظم - وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً . وقال ﷺ : إنكم لى تسموا الناس بأموالكم فسموهم بسط الوجه وحسن الخلق . وقال أيضاً ﷺ : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك .

وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً . وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى . وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله . وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ يقولون ما غير ما أعطى العبد قال خلق حسن . وقال ﷺ : إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً . وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتقوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفه أو خلق يعيش به بين الناس . وكان من دعائه ﷺ في امتتاح الصلاة اللهم اهذب لأحسن الأخلاق لا يهني لأحسنها إلا أنت واصبر عني سيئها لا يصبر عني سيئها إلا أنت . وقيل فيم التجميل ؟ قال في لطف الكلام وإظهار البشر والابتسام فمن لقي الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يحف عليهم جانبه ويحمد إخاؤه كما قال

إذا حسوبت خصال الخير أجمعها ••• فضلاً وعاملت كل الناس بالحسن  
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرز ••• والشكر من خلقه في السر والعلن

\*\*\*

### الباب السادس والثمانون

#### في الضحك والبكاء والبأس

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ آمَنَ هَذَا الْقَدِيثَ فَتَجَوَّنَ ﴾ أي القرآن « تعجبون » منه تكديماً « وتضحكون » منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى « ولا تكون » خوفاً وانزعاجاً لما فيه من الوعيد « وأنتم سامعون » لا هون غاطلون عما يطلب عنكم . قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي ﷺ بعد ذلك إلا أن يتسم . وفي لفظ فما روى النبي ﷺ ضحكاً ولا مبتسماً حتى ذهب من الدنيا . وعن ابن عمر - رضى الله عنه - قال خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون موقف ومطم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عطني قال يا موسى إياك والملاحة ولا تمس بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطأين بخطاياهم وإياك على خطيئتكم . وقال ﷺ : كثرة الضحك تغيث القلب . وقال ﷺ : من ضحك لشبهه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياه بكى لموته وقال ﷺ : اقرأوا القرآن فإن لم تتكروا فبأكروا . وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ لَبِضْضَكُمْ قَلِيلًا ﴾ أي في الدنيا « وليبكروا كثيراً » في الآخرة « جزاء بما كانوا يكسبون » وقال أيضاً يا عجباً من ضاحك ومن ورثه النار ومن مسرور ومن ورثه الموت . وعن رضى الله عنه - بشاب يضحك فقال له يا بني هل جزأت على الصراط قال لا قال هل تبين لك أنك تصير إلى الجنة قال لا قال فقبم الضحك فما روى الشاب ضاحكاً بعد ذلك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكي . وملك الله تعالى أقواماً بالبكاء فقال تعالى : ﴿ وَيَخْرُجُونَ لِلْذُّقَانِ يَكُونُ ﴾ وعن الأوراع في قوله تعالى ﴿ مَا لَهَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ قال الصغيرة التيسم والكبرة الفقهة وقال ﷺ : كل حين يأكية يوم القيامة إلا ثلاثاً منها بكت من حشية الله وعين غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله تعالى . ويقال ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وكان رسول الله ﷺ يلس من الشيايب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الشيايب الخضرة وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفوتوا فيها موتاكم . وكان له ﷺ قباء مستلم فيبيسه فتعس خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فرق الكعبيين ويكون الأرو فوق ذلك إلى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود قوهبه فقالت أم سمة بأبي أنت وأمي ما لفس ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئ قط كان أحسن من بياضك على سواده . وكان ﷺ إذا لبس ثوباً لسه من قبل مياهه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أولرى به هورتي وأجمل به في الناس وإذا

نزع ثوبه أخرجه من مياصرة وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حيا وميت . وكنت له ﷺ عانة تعرض له حينما ثقل تنى طائفت تحت وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره .

### الباب السابع والثمانون

#### في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء

قال ﷺ : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى <sup>(١)</sup> » وقال ﷺ ما من شيع أصغر منزلة عند الله تعالى من القرآن . وقال ﷺ أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن وقال ﷺ : خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال ﷺ : إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقبل يا رسول الله وما جلالاتها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت ، وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن . قال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه غنم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليته غنم له بطابع الشهداء .

وأما فضل العلم والعلماء فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة قال ﷺ : من يرد الله به خيرا يلقه في الدين ويلهمه رشده . وقال ﷺ : العلماء ورثة الأنبياء . ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال ﷺ أفضل الناس المؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه مع وإن استغنى عنه أغنى نفسه . وقال ﷺ أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهد ، أما أهل العلم فقلوا الناس على ما جاءت به الرسل . وأما أهل الجهد فجاهلوا بأسيا فلهم على ما جاءت به الرسل . وقال ﷺ : « موت قبيلة أيسر من موت عالم » <sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » <sup>(٣)</sup> . وقال ﷺ لا يضيع عالم من علم حتى يكون منهية الجنة . وقال ﷺ هلاك أمتي في شينين ترك العلم وجمع المال . وقال ﷺ كن عالما أو متعلما أو مستمعاً أو مجاباً ولا تكن الخاسرة أى يفضا فتهلك . وقال ﷺ أفة العلم الخلاء . ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرئاسة فقد عدم التوفيق والسياسة ، قال تعالى : « ما أحرف من آياتي الذين يكثرُونَ في الأرض بغير الحق » وقال الشافعي - رحمه الله عنه - من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقبلوه ومن تعلم الحديث قوت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه

(١) الخلف السادسة / ٤ / ٤٦٣

(٢) الخلف السادسة / ١ / ٧٣

(٣) (مروء) الخلف السادسة / ١ / ٤٦ ، وضميف الجامع (٦٤٤٧)

ومن تعلم العريب وق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينعمه علمه . وقال الحسن بن علي - رحمه الله عنهم - من أكثر مجالسة العلماء أظنى عقل لسانه وفق مراق ذهنه وسره ما وجد من الريادة في نفسه وكانت له ولاية لما بعدم وفادة لما تعلم . وقال ﷺ ادرد الله عبدا حطر عليه العلم وقال ﷺ لا فقر أشد من الجهل .

### الباب الثامن والثمانون

#### في فضل الصلاة والزكاة

إعلم أن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبادئ الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي التي أعلى الأعلام فقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال ﷺ بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . الحديث وتشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى « فويل للمفسكين الذين هم عن صلاتهم ساهون » وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وقال تعالى « والذين يكثرُونَ السُّبْح والقطعة ولا ينفقونها في سبيل الله فيخرفهم بطاب أيم » . ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج الزكاة .

( فائدة ) يستحب أن يطلب لصدقة أئمة الفقهاء المعروفين من الدنيا المتجربين لتجارة الآخرة فإن ذلك يربو به المال . قال ﷺ : لا تأكل إلا طعام نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي . وذلك لأن النقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك إياه . وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عمتت بمعرفة فك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فإذا طرقتهم فاقه تشتت همه أحدهم فلا أرد همه واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا من همته الدنيا فذكر هذا الكلام الجيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت مد رمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم يتركوا لخالقوت فبعث إليه الجنيح صالا وقال اجعله يضاهاك ولا تترك الخائرت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء شئ ما يتساهونه وكان ابن المدرك يحض بمعرفة أهل العلم فقيل له لو عمتت فقد إني لا أعرف بعد مقام النبوة أعص من مقام العلماء فإذا اشعلت فب أحدهم يحاجه لم يتصرع للعلم ولم يقبل على التعلم فتعريهم بعلوم أصغر وأن يحض ذوي المعاهات لا سيما ذوي لأرحام والأقارب فتكون صدقة وصلة ورحم وفي صلة الرحم ما لا يحصى من الأجر كما صوفي بابه وأن يخرج الصدقة سرا ليسلم من شوم لرياء ومن ادان معص في المال ﷺ صدقة لسر بطي غضب الرب <sup>(١)</sup> وذكر

(١) (صحيح) معجم الصحيح ٢ / ٩٠ ، وصحيح الجامع ٣٧٥٩

في حديث الصبغة الذين يظلم الله تحت ظل حرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا يعلم ثمنها ما أعطت يمينه نعم إن كان في أظهار الصدقة خير كان كان يقتدى به غيره فلا أنس من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى ﴿ لَا تَبْتَغُوا صِدْقًا تَكُونُوا بِالْعَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (١) فبغية المعروف لمن يُلْ بِلْ يؤثر كتمانها ويستعمل نسيانها كما يجب على من صنع له معروف نشره وتبين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وما أحسن قول القائل :

يد المعروف غم حيث كانت • • • تحملها كفسور من شكور  
ففي شكر الشكور لها جزاء • • • وعند الله ما كفى الكفور

### الباب التاسع والستون

#### في بر الوالدين وحقوق الآباء

لا يخفى أنه إذا تأكد من حق القرابة والرحم فأقصى الأرحام وأسمى الولادة فيتضاعف تأكيد الحق فيها . وقد قال ﷺ : « لى يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتره فيعتقه » (٢) . وقد قال ﷺ : بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والمعرة والجهاد في سبيل الله . وقد قال ﷺ : « من أصبح مرضيا لأبيه أصبح له بيان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمات ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما . ومن أصبح مسخطا لأبيه أصبح له بيان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى فمات ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما » (٣) . قال ﷺ : أن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم . قال ﷺ : بر أمك وأباك وأعطك وأعطاك ثم أدناك فأدناك .

ويروى : أن الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - يا موسى إني من ير والديه وعقني كتبه بارأ ومن يرني وعق والديه كتبه حاقا . وقيل لما دخل يعقوب على يوسف - عليهما السلام - لم يمش له حتى دله إليه أنتعاطم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نيا . وقال ﷺ : ما سمى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانتا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجرهما من غير أن ينقص من أجرهما شيء . وقال مالك بن ربيعة بينما نحن رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من ير أبوى شيء

(١) سورة البقرة ٢٦٦

(٢) سنن بخريجه

(٣) صحيح ( صحيف السادة ٦ / ٣١٦ ، وضعيف الجامع ( ٥٤٢٧ ) .

أبرهما به بعد . وعانتهما قال نعم الصلاة عليهما ولاستغفار لهما وإعادهما وإكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما . وقال ﷺ : إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب وقال ﷺ : « بر الوالدة على الولد على ضمان . وقال ﷺ : دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس له والدا فقال بر ولديك كما أن لو أنيك عليك حقا كذلك لو نيك عليك حق . وقال ﷺ : رحم الله والدا أعان ولده على بره أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال ﷺ : ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولديك ربحاتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عندك أو شريكك . وقال أنس - رضى الله عنه - قال النبي ﷺ الغلام يعني عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين فزول فراشه فإذا بلغ عشرة سنين فمرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة فزوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعود بالله من فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة . قال ﷺ : من حق الولد على الوالد أن يحسن إليه ويحسن اسمه . وقال - عليه السلام - كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة فتذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة إذا دبت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أو داجها ثم قوضع على قافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الحليب ثم يغسل رأسه ويحلق بعد . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الفرق بالولد . رأى الأفرح بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحد منهم فقال - عليه السلام - إن من لا يرحم لا يرحم . وقالت عائشة - رضى الله عنها - قال لى رسول الله ﷺ يوما أهلى وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرى بدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم تكن له جارية . وتعثر الحسن والنبي ﷺ على منبره فزول فحمله وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَةً ﴾ . وقال عبد الله بن شداد يسما رسول الله ﷺ بالناس لما جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال أن ابني قد أرنحنى فكرهت أن أصبله حتى يقضى حاجته . وفي ذلك فوائد أحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفي الرفق بالولد والمبر وتعليم لأمة . وقال ﷺ : « ربيع الولد من ربيع الجنة » (١) . وقال يزيد ابن معاوية أرسل أبى إلى الأصم بن قيس فلما وصل إليه قال له يا أبا بكر ما تقول في الولد قال يا أمير المؤمنين تمار قلوبنا وعماد ظهورنا وسحر لهم أرض ديلة وسماء طلبه وبهم نصول على كل جيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يحسوك ودهم ويحسوك

(١) ( صحيح ) صحيف السادة ٦ / ٣٢٠ ، وضعيف الجامع ( ٣١٤٥ )

جهنم ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا غريك فقال له معلومة الله أنت يا أحف لقد دخلت على وأنا مخلوع غضبا وغيتا على يزيد فلما خرج الأحف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه أباهما على الشطر .

### الباب التاسعون

#### فصل حقوق الجوار والإحسان للمساكين

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وريادة إذ قال النبي ﷺ : « الجيران ثلاثة جوار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجوار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك » (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار . وقد قال ﷺ أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما . وقال النبي ﷺ مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . وقال ﷺ لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال ﷺ أول خصمين يوم القيامة جاران . وقال عليه السلام : إذا أنت رميت كلب جارك فقد أدبته .

ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود - رضى الله عنه - فقال له إن لي جارا يؤذني ويشتمني ويضيق على فقال اذهب فإن هو عصى الله فيك فاطع الله فيه . وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤدى جيرانها فقال ﷺ هي في النار وجاء رجلا إليه - عليه السلام - يشكو جاره فقال له النبي ﷺ اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة أطرح منافع في الطريق قال فجعل الناس يمشون به ويقولون مالك فيقال أذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاء جاره فقال له رد منافعك فوالله لا أعود .

وروى الزهري أن رجلا أتى النبي - عليه الصلاة والسلام - فجعل يشكو جاره فأمر النبي ﷺ أن ينادى على باب المسجد ألا إن أريعن دارا جارا قال الزهري أريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا . وقال - عليه السلام - (اليمين والشزم في المرأة والمسكن والفرس ليمين المرأة خفة مهرها ويسر تكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها خلاء مهرها

وعسر تكاحها وسوء خلقها ، ويسر المسكن سعة وحسن جوار أهله ، وشؤمها فسوء خلقها ، وسوء جوار أهله ، ويسر الفرس ذلة وحسن خلقه ، وشؤمها صعوبة وسوء خلقه .

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى أيضا فذلك الجار إذا كف أذاه فليس في ذلك قبيح حق ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرق وإسله والخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره العني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم تمنعني معروفه وسد بابي دومي وشكا بعضهم كثرة العار في داره فقيل له لو اقتنيت مرا عقال أحشى أن يسمع العار صرت الهر فيهب إلى دور الجيران فأكون قد أحيت لهم ما لا أحب لنفسي .

وجملة حق الجار أن يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه الشكوال ويعوده في المرض ويعزيه في اللصية ويقوم معه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصمغ عن رلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضيقه في وضع الجذع على جداره ولا يصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فثاته ولا يضيق طريقه إلى النار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستتر ما يتكشف له من عوراته ويتعنه من صرعته إذا نأته نائبة ولا يتغل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما يخص بصره عن حرمة ولا يدهم النظر إلى خادمته ويتلفظ بولده في كلمته ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودينه هذا إلى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين . وقد قال ﷺ أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أمته وإن استنصرك نصرته وإن استقرحك أقرضته وإن افقر عدت عليه وإن مرض هدته وإن مات تبعه جنازته وإن أصابه محير هأته وإن أصابه مصيبة هزته ولا تستطل عليه يالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإفقه ولا تؤذنه وإذا اشترت مأكلة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله . .

هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ . قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلغل له يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت الشاة فأبدا بجارها اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول في هذا فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تظعم الجار اليهودي والنصراني من أصحابك . وقال أبو ذر - رضى الله عنه - أوصاني خليلي ﷺ وقال إذا عيشت فقرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها

\*\*\*



## الباب الواحد والتسعون

## في عقوبة شارب الخمر

نجد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٢٦) الآية . . .  
 فشرابها من شرابها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها حرام - رضي الله عنه - فأخذ بلحى  
 عمر وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد يروح على قتل بدر فيبلغ رسول الله ﷺ فخرج  
 مغضبا بجر رءاه فرفع شيئا كان في يده فغربه به فقال أعود بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل  
 الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ ﴾ (٢٧) الآية . . .  
 فقال عمر - رضي الله عنه - انتهيتا انتهيتا .

ومن الأخبار المتفق على تحريمها قول سيفنا رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من شرب الخمر » (٢٨) وقوله ﷺ أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان من شرب الخمر وملاحة الرجال ،  
 وقوله ﷺ ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على  
 بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله حتى تحبوا فأنت أوردتني هذه المودة  
 ليقول له الآخر مثل ذلك .

وعنه ﷺ أنه قال من شرب الخمر في الدنيا سقاء الله من سم الأسود شرة يتساقط منها لحم  
 وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها يتساقط لحمه وجلفه ويتأذى به أهل النار إلا أن شاربها  
 وحاصرها ومعتصرها وحاملها ولحمولة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة  
 ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يستقيهم بكل جرعة  
 شربوها في الدنيا من صدهد جهنم وأن كل مسكر حرام وكل خمر حرام .

ذكر ابن أبي الدنيا أنه مر بسكران وهو يبول في يده ويفسل به يده كهيئة المتروضا ويقول الحمد  
 لله الذي جعل الإسلام بورا والماء طهورا .

وعن العباس بن مرقاس أنه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في حرارتك  
 فقال ما أنا بأحد جهلى يبتى مادخله في حرمي ولا أرضى أن أصبح سيد نومي وأمسى سعيهم .

(٢٦) آية (٢١٩) سورة البقرة

(٢٧) آية (٩١) سورة المائدة

(٢٨) آية (٤٣) سورة النور

(٢٩) صحيح (المنهاج) (٣٣٧٦) ، وصحيح الجامع (٧١٧٣)

وروى البيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا أم الحيات فإنه  
 كان رجلا من قبلكم يتعبد ويحتل الناس فملقته امرأة فأرسلت إليه خدما أن تدعوك لشهادة  
 فدخل فطعنت كعبا دخل بابا أغلقته فوجه حتى إذا أقضى إلى امرأة وضيفة جالسة وعندما غلام  
 وماطية فيها خمر عقلت أنا لم يدعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا العلام أو تقع على أو  
 تشرب كأسا من الخمر فإن أبيت صحت بك وقضيتك فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال اسقني  
 كأسا من الخمر فسقته قال ربي فسلم يده حتى وقع عليها وقتل العنصر فاجتبروا الخمر فإنه والله لا  
 يجتمع لإيمان وإيمان في الخمر في صدر رجل أبدا يوشكن أحدهما يخرج صاحبه .

وروى أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن آدم لما  
 أعبط إلى الأرض قالت الملائكة أي رب : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ  
 بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى  
 للملائكة علموا ملكين من الملائكة فتتظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاعبطا إلى  
 الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسالها نفسها فقالت : لا والله حتى  
 تتكلما بهذه الكلمة من الإشراف لا لا والله لا تشرك بالله أبدا . فلهبت عنهما ثم رجعت إليهما  
 ومعهما صبي تحمله فسالها نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله . فقالت  
 حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرتا فقتلا الصبي فلما ألقاها قالت المرأة والله ما تركتما  
 من شيء أبيتما علي إلا فعلتما حين سكرتما ، فحبرا عند ذلك بين غلب الدنيا وغلب الآخرة  
 فاختارا غلب الدنيا .

وروى عن أم سلمة - رضي الله عنهما - قالت اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل  
 على رسول الله ﷺ وهو يعلو قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له أني أداوي به ابنتي فقال ﷺ إن  
 الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها . وروى أن الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

## الباب الثاني والتسعون

## في سحر إرج النبي - صلى الله عليه وسلم -

روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن  
 ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذا أتاني آت فقد قال وسمعت  
 يقول فسق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من شجرة نجره إلى  
 شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ففسل قلبي ثم حشني ( ثم أهد ) ثم

أتيت بدابة دون البخل وفوق الخمار أبهى فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنسى نعم  
يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فأنطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل  
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعلم  
للمجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد  
السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح  
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعلم  
للمجيء جاء ففتح . فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما أما الخلق قال هذا يحيى وعيسى فسلم  
عليهما فسلمت عليهما فردا ، ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى  
السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال  
نعم قيل مرحبا به فنعلم للمجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه  
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة  
فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل  
مرحبا به فنعلم للمجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه  
فرد ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح  
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعلم  
للمجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالآخ  
الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل  
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعلم للمجيء جاء ففتح فلما  
خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالآخ الصالح  
والنبى الصالح فلما غاب ورت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن خلا ما بعث بعدى يدخل الجنة  
من أمته أكثر مما يدخلها من أمى ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال  
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعلم للمجيء جاء ففتح  
فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال  
مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعني إلى سدرة المنتهى فوجدت فيها مثل فلان الهجر وإذا  
ورقها مثل أذان القيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت  
ما هذان يا جبريل قال أما الباطن نهران في الجنة وأما الظاهران هاليل والفرات ثم رجع بي إلى  
المصنوع يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من مخمر وإناء من لبن وإناء من صلب  
فأخذت اللب فقال هي القطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرغت حلى الصلوات خمسين صلاة  
كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بنى أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم

قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإنى والله قد جريت الناس فبلك عاظت بنى  
إبرئيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشر أمراً فرجعت  
إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشر أمراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع  
عني عشر أمراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمسة صلوات كل يوم فرجعت إلى  
موسى فرجعت فأمرت بخمسة صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت أمرت  
بخمسة صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قد جريت الناس  
فبلك وعالجني بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي  
حتى استجبت منه ولكن أروني وأسلم قال فلما تجاوزت نادى مناد أمضيت فرجعتني وعصفت  
عن عبادي .

### الباب الثالث والتسعون

#### فصل فضل الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخص به المسلمون قال الله تعالى : ﴿ إذا نودي  
للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ (١) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا ويكفل  
صارف عن السعي إلى الجمعة وقال ﷺ إن الله عز وجل فرغ من خلقكم الجمعة في يومى هذا في  
مقامى هذا وقال ﷺ من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نزل  
الإسلام وراء ظهره .

واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة فقال في  
النار فلم يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول في النار .

وفي الخبر أن أهل الكتائب أعطوا يوم الجمعة فاحتلموا فيه فصرفوا عنه وهذا الله تعالى له  
وأخبر لهذه الأمة وجعله عيداً لهم فهم أولى الناس به سيقا وأهل الكتائب لهم تبع .

وفي حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال أتاني جبرائيل - عليه السلام - لي كفه امرأة يهيماء  
وقال هذه الجمعة بعرضها عليك ربك تكون لك عيداً ولأمتك من بعتك فقلت فما لنا فيها قال لكم  
فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو يس له قسم دخر له ما هو أعظم  
منه أو تعود من شر هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندما  
ومحن ندعوه في الأخيرة يوم المزيد قلت ولم قال أن ربك عز وجل اتخذ في الجمعة وادها أفصح من

المثل أبهى ماذا كان يوم الجمعة بل تعالى من عيسى على كرسية فينبجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وقال ﷺ طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهب إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المريد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة . وفي الخبر أن الله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار .

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال : « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » (١) وقال ﷺ إن الجحيم تسمر في كل يوم قبل الرواد عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسمر فيه . وقال كعب بن الأشعث رضي الله عنه وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر . ويقال إن الطير والهوام يلتقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح . وقال ﷺ من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفاء ثمة قبر .

### باب الرابع والستون

#### في حق الزوجة على الزوج

حقوق الزوجات على الأزواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الأذى مشهن ترحمنا لقصور عقولهن ، قال الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (٢) وقال في تعظيم حقهن ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غلفا ﴾ (٣) وقال : ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ (٤) قيل هي المرأة وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهن ما لا يطيقون الله في النساء فإنيهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذنوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . وقال - عليه السلام - من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب أسية امرأة فرعون .

وعلم أنه ليس حسن الخلق معها كمال الأذى بها بل احتمال الأذى منها والعلم عند طيبها وخسبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منها يوما إلى

الليل . وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال اتراجعيني بالكعباء فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر حانت حمصة وخسرت إن راجعت ثم قال حمصة لا تغتري بآبنة ابن أبي قحافة فإنها حب رسول الله ﷺ وخولها من المراجعة .

وروي أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال - عليه الصلاة والسلام - دعيتها فأتته أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر - رضي الله عنه - حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو اتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى حسي فوها وقال يا عدوة نفسي أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ ثم يدعك لهذا ولا أردنا منك هذا . وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك بي الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكريما وكان يقول إني لأحرف غضبك من رضاءك فقالت وكيف تعرفه قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أجهز اسمك . ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - وكان يقول لها كنت لك كأي ذرع لأم ذرع خير أني لا أطلقك وكان يقول لسانه لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في خلاف امرأة متكن غيرها .

وقال أنس - رضي الله عنه - كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداينة والزرع والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقت يوما وسبقها في بعض الأيام فقال - عليه السلام - هذه بظك .

وفي الخبر أنه كان ﷺ من أنكره الناس مع نسائه . وقالت عائشة - رضي الله عنها - سمعت أصوات أساس من الخيشة وغيرهم وهم يلعبون في يرم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ اتعجبين أن ترى لعبهم فانت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقال رسول الله ﷺ بين البائس فوضع كفه على الباب ومد يده ووضع ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حبسك وأقول أسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حبسك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا فقال رسول الله ﷺ أكمل المؤمن إيمانا أحسهم خلقا وأطعمهم بأهله . وقال - عليه السلام - خيركم خيركم لسانه وإتخيركم لسانتي .

وقال عمر - رضي الله عنه - مع خشوته يبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان - رحمه الله - يبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا

(١) (موضح) الحاكم ٥٩ / ٢ ، وصحيح الجامع (٥٤٩) .

(٢) آية (١٩) سورة النساء

(٣) آية (٢١) سورة النساء

(٤) آية (٣١) سورة النساء



بت حارجه الفاري قالت لايتها حد التزويج إنك خرجت من العيش الذي فيه درجت فصرت إلى مواس لا سرفيه وقريب لم تألميه فكوس له أرضا بكس لك سماء وكوس له مهادا بكس لك صمادا وكوس له أمة بكس لك عبدا ولا تلحقى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينماك إن دنا منك فاقربى منه وأن مابى فابعدى عنه واحفظى أنفسه وسمعه وعبه فلا يثمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا .

على العفو منى تنهينى مدنى ■ ولا تطلقى فى سورى حين اغضب  
ولا تنظرونى نظرا لثف مرة ■ فبؤتك لا تدمن كيف المصيب  
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ■ ويأبك قلبى والقلوب تطلب  
فأبى رأيت الحب فى القلب والأذى ■ إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

### الباب السادس والتسعون

#### فى فضل الجهاد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وعن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر للجهاد فضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستعيت فيما اخلفتم فيه فانزل الله عز وجل : ﴿ أَسْلَمْتُمْ سَفَاةً فَاعْلَمُوا أَنَّمَا اللَّهُ مُسَدِّدُ أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَى سَبِيلِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

وعن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - قال فعندنا نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ : مخرج علينا مقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴾ كثير منا عند ذلك أن تقولوا ما لا نفعلون (٢) إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم ببان مرفوض (٣) إلى آخرها . . فقرأها علينا رسول الله ﷺ .

(١) آية (١٩) سورة التوبة

(٢) آية (٢) سورة يوسف

وروى أن رجلا قال يا رسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع إذا حرج للجهاد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تقتر وتصوم ولا تطعم فقال ومن يستطيع ذلك

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال مر رجل من أصحاب النبى ﷺ يشعب فيه عيبه من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لا تعمل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أخزوا فى سبيل الله تعالى من قاتل فى سبيل الله تعالى موق ناقة وجبت له الجنة فإذا كان الصبحى الجليل لم يأتى له رسول الله ﷺ فى العزلة مع اجتهداه فى الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أوشده ﷺ إلى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعنا وكثرة سيئاتنا وتعاطينا ما جهل حظه من الأقوات وفساد المزاجم والنيات . وقال رسول الله ﷺ إن مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الخائض الرامح الساجد . وقال رسول الله ﷺ : من رضى بالله دينا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدرى فقال أهدنا على يا رسول الله فأهدانا عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله (١) .

### الباب السابع والتسعون

#### فى منكر الشيطان

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أهدنا الشيطان فتيسم وقال لو نام لاسترحنا فإذا لا خلاص للمؤمن من نعم له ميسيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال ﷺ إن المؤمن ينفس شيطانه كما ينفس أحدكم بعيره فى سفره . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول . وقال عيسى بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الحزور وأنا الآن مثل المصعور قلت ولم ذاك تديس بذكر الله تعالى . فأهل التقوى لا يهتم عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أصى الأبواب الظاهرة والطرق الخفية التى تمضى إلى المعاصى الظاهرة وإنما يتمشرون فى طرقه الخاضعة فإنهم لا يهدون إليها فيحرسونها لأن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد اتبس ذلك الباب الواحد بهذه الطرق عامضة السالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا

(١) (صحيح) مسلم (١٨٨٤)

بغير بصيرة وحلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم العزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيما يهتدى به إلى غوامض طرقه وبلا طرقه كثيرة وغامضة .

قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدهو إليه ثم تلا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . وقد ذكرنا مثالا للطريق العام من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكامنة عن المعاصى الطاهرة فلندكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى إلا أن يضطر الأحمى إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبى ﷺ أنه قال كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فختقتها وألقى فى قلوب أهلها أن دواها عند الراهب فأتوا بها إليه فلقى أن يقبلها فلم يزلوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليحيا بها أتاه الشيطان فزى له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتك أهلها فأقتلها فإني سألك فقتل مائت فقتلها ودفعها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبها ثم قتلها ودفعها فأتاه أهلها سألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى ختقتها وأنا الذى ألقى فى قلوب أهلها فأطعننى تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال أسجد لى مسجدتين فسجد لى مسجدتين فقال له الشيطان إني يرى منك . فهو الذى قال الله تعالى فيه ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .

وروى أن إبليس سأل الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ما قولك فيمن خلقتى كما اختار واستعملتني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلتني الجنة وإن شاء أدخلتني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يعمل وهم يسألون ما يصلح إلى أن يصلوا لا شيء ثم قال والله يا شافعى لقد أخرجت بمألتى هذه سبعين ألف عابد من ديار العبودية إلى ديار الرندة

وروى أيضا أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم - عليهما السلام - فقال له قل لا إله إلا الله فقل كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لأن له تليسات فى الخير كما أن له تليسات فى الشر تنالها وبها يهلك العباد والزهاد والأعيان وأصناف الخلق إلا من حمطه الله ، اللهم احفظنا من مكابده حتى نلقاك مهتدين

\*\*\*

### الباب الثامن والتسعون

#### فى بيان السماع

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه . وقال الشافعى - رحمه الله - فى كتاب أداب القصاص أن الماء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سعيه ترد شهادته . وقال القاضى أبو طالب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى - رحمه الله - بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى - رضى الله عنه - صاحب الحارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سعيه ترد شهادته . وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا عن القرآن . وقال الشافعى - رحمه الله - ويكره من جهة الخبر اللعب بالقرء أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

وأما مالك - رحمه الله - فقد نهى عن الغناء ولما إذا اشترى جارية فوجدتها منسية كان له ردها . وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة - رضى الله عنه - فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب . وكذلك سائر أهل الكوفة سيان الثورى وحمد وإبراهيم والشعمى وغيرهم . فهنا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى .

ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع من جماعة فقال سمع من الصحابة هبذ الله ابن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم . وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى بإحسان وقال لم يرل الحنجزيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الأيام الممدودات التى أمر الله عبده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يرل أهل المدينة مواطن كاهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهن للصوفية . قال وكان لحظه جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما . قال وفيه لأبى الحسن بن سالم كيف تذكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقلى وفو التون يسمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وسعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإذا أنكر اللهو واللعب مع السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقلت ثلاثة أشياء فما تراها ولا تراها تزفاد إلا قلة حسن الوجه مع الضيافة وحسن القول مع الديانة وحسن لإخاء مع الوفاء . ورأيت فى بعض الكتب

هذا محكيًا بعينه عن الحارث المحامسي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهله وتصاونه وجله في الدين وتشهيره .

قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دهوة إلا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دهوة ومعا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم محضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرر عن ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما أحمد فحدثني عن صالح بن أحمد أن أبيه كان يسمع قول ابن الحبيزة فقال مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لا بن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أشد بيت شعر أحرأ فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله ونصرته المملود ومدته المقصور أحرأ عليه قال أنا لم أقر لشيطان واحد فكيف أقرى لشيطانين .

قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر - عليه السلام - فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقلام العلماء .

وحكى عن مشاد الدهموري أنه قال رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هل تكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يقتحمون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن .

وحكى عن ظاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت محتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب من قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة وهو جالس في ذلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والبي ﷺ يستمع إليه ويصيح يده على صدره كالراجل بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال هذا حق أو قال حق من حق أنا أشك فيه . وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع فإنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا .

وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حساباتك أو سيئاتك فقال لا في الحسابات ولا في السيئات لأنه شبيه بالسعر وقال الله تعالى . ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ﴾ (١) وهذا ما نقل من الأناويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأناويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأناويل بالنشئ وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدرك الحظر والإباحة .

### الباب التاسع والستون

#### في النهي عن البدعة واتباع الهوى

قال ﷺ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال ﷺ من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد ، وقال ﷺ عليكم بستي وستة خلفاء الراشدين من بعدي فعلم من هذه الأحاديث أن كل ما خالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة فهو بدعة مردودة . وقال ﷺ : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة (٢) .

وقال قتادة - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (٣) الآية . . . اعلموا أن السبيل واحد جماعة الهدى ومصيره الحق وأن إبليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة مصيرها إلى النار .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا يهتد ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يهديه إليه ثم قرأ هذه الآية . وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات .

وقال ابن عبيدة هذه السبل نعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في المروء وغير ذلك من أهل العمق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء العقيد . وقال ﷺ من رعب عن متي ليس مني . وقال ﷺ ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مشيها من السنة (٤) وقال ﷺ أما بعد من خير لحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل

(١) آية (٢٢٥) سورة البقرة

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ٣٦١ ، وصحيح الجامع (٣٠٠٥)

(٣) به (١٥٣) سورة الأنعام

(٤) (صحيح) الطبراني ١٨ / ٩٩ ، وصحيح الجامع (٥١٥٥)

محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وإنما أخشى عليكم شهوات انفسى في بطونكم ومروحكم ومضلات الهوى ، إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة ، وقال ﷺ : إن الله يحب التوبة من كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته (١) . وقال ﷺ : لا يقبل الله لصاحب البدعة صوما ولا حجبا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يرفع منها إلا مالك لكل عمرة ثمرة ولكل ثمرة فترة فمن كانت شيرته إلى مستى فقد اعتدى ومن كانت شيرته إلى غير ذلك فقد هلك إلى أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر . رواه الترمذى وحسنه في مواضع وصححه في أخرى . والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة الشاط والهمة .

### فصل في النقص من آفة اللهم

روى البخارى أنه ﷺ قال من قال لصاحبه تعالى أفامرك فليصدق . وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه : « من لعب بتره أو نردشين فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه » (٢) .

وروى أحمد وغيره أنه ﷺ قال : « مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى أى فلا تقبل له صلاة كما صرح به رواية أخرى .

وأخرج البيهقى عن يحيى بن كثير قال : « مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال : قلوب ، لاهية وأيد عاملة وألسنة لاهية » (٣) .

وأخرج الديلمى أنه ﷺ قال : « إذا مررتم بهذا الذين يلعبون بهذه الأزام والشرطج والنرد وما كان من هذه أى وما شابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وأن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم . وقال ﷺ : ثلاث من اليسر : القمار والغرب والكعاب والصغير بالحمام

ومر على - رضى الله عنه - يقوم يلعبون الشرطج فقال ما هذا التماثيل التى أنتم لها حاكفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفا خيرا ، من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتكم . وقال أيضا - رضى الله عنه - صاحب الشرطج أكثر الناس كلبا يقول أحدهم قتل وما قتل مات وما مات . وقال أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - لا يلعب بالشرطج إلا خاطى

واعلم أن الملاهى إما حرام كمودة وطبور ومعزفة وطبل ومزمار وما إلى بصوت مطرب إلا

انفرد ، أو مكروه وهو ما يزيد به الفناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والنصب فيكره مع العاء لا وحده ، أو مباح وهو ما حرج عن آلة الطرب إلى إفساد كالبرق وطبل الخرب أو لمجمعة وإعلان كالدف فى النكاح .

### الباب المائة

#### فى فضائل رجب

رجب مشتق من الترجييب وهو التعتيم ويقال له الأصب لأن الرحمة تصب فيه على التائبين وتقضى أنواع القبول على العاملين ، ويقال له الأصم لأنه لم يسمع فيه حسن قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ساؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه إلا من صام شهر رجب قال ﷺ : رجب شهر لله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتي . وقال أهل الإشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وياء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجانيته والياء بر الله كأن الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبى .

وعن ابن مبررة - رضى الله عنه - قال قال ﷺ : من صام السابيع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا . وقال ﷺ : ألا أن رجبا شهر الله الأصم فمن صام من رجب ليمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر .

وقيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب وواحد فرد وهو شهر رجب .

وحكى أن امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثني عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها أن يدفن معها صوفها فلما ماتت كمها من شباب مرتعة فرأها فى منامه تقول له أنا هناك غير راضية لأنك لم تعمل بوصيتي فانتهى فرعا وأخذ صوفها ليغسله معها فنش قبرها فمسم بجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت أن من أطاعها فى رجب لا شره فردا وحيدا

وروى د. ك. ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى منك إلا يستعمر لصوم رجب . وعن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة سبعائة سنة . قال أنس - رضى الله عنه - سمعت أذناى أن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ

(٢) ( صحيح ) مسلم ( ٢٢٦٠ )

(١) الملل للقماني ١ / ١٣٨ .

(٣) البيهقى ١٠ / ٢١٦ .



الأشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب منزلة أربعة وأعطاه الوضوء أربعة وأفضل الحيات كلمات أربعة سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة ، أحد وعشرات ومئات وألف والأوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة والوصول لله أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والمطالع أربعة بحرارة وبرودة ويوصية ووطوبة وسطان البدن أربعة صفراء وسوداء ردم وبلغم والخلعة الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضوان الله عليهم أجمعين -

روى التلمس عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يسبح الله الخبير في أربع ليالي سحا ليلة الأضحى وليلة القدر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب . وروى التلمس أيضا بسنده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين .

### الباب الأول في فضل شعبان

#### في فضل شعبان المبارك

سمى شعبان لأنه يتشعب منه غير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخبير .

روى عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال كان رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل شعبان فظهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه ورضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يعطى ويعطى حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان » (١) .

وفي النسائي من حديث أمامة - رضي الله عنه - قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال ، رب العالمين فأحب أن يرفق عملي ولما صائم وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت ما رأيت رسول الله ﷺ استعمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صيام من شعبان . وفي رواية كان يصوم شعبان كله . ولمسلم كان يصوم شعبان إلا قليلا فهذه الرواية مصورة للأولى فالمراد بكلمة أغلبه قيل أن للملائكة في السماء ليالي عيد كما أن للمسلمين في الأرض يوم عيد فعيد للملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد للمسلمين في يوم الأضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة . وذكر

السبكي في تفسيره أنها تكثر ذنوب السنة ، وليلة الجمعة تكثر ذنوب الأسبوع وليلة القدر تكثر ذنوب العصر أي إحياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أي ليلة الملائكة وليلة الحياة ، لما روى الترمذي مرفوعا من أحيا ليالي العيد وليلة النصف من شعبان لم يموت قلبه يوم ماتت القلوب . وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلث وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالإصرار على المعصية . وتسمى ليلة المعرة أيضا لما روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « أن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان إلى عباده فيخفر لأهل الأرض الأبرار من مشرك أو مشرك أو مشرك وتسمى ليلة العتق لما روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك بعثني رسول الله ﷺ إلى منزل عائشة - رضي الله عنها - فكنى حاجبة فقلت لها أسرعي فإني تركت النبي ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنس اجلس حتى أحدثك بعديث ليلة النصف من شعبان . تلك الليلة كانت ليالي من رسول الله ﷺ فجاه ودخل معي في الخافي فالتفت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب إلى جاريته المقبضة فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو يقول سجد بك سوادى وخيالي وآمن بك فؤادى وهذه يدي وما جئت بها على عسى يا عظيم أرجى لكل عظيم إغفر الذنب العظيم ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق بصره ، ثم رفع رأسه فقال اللهم ارفع قلبي تقيا نقياً من الشرك بر يا لا إله إلا أنت ولا شقيا ، ثم عاد ساجدا فسمعتة يقول أعوذ بك من سخطك ويعصك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، أقول كما قال أغنى فلود أحقر وجهي في الشراب لسيدى وحق لوجهي يا سيدى أن يعمر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان إن لله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد نعرتهم كذب إلا ستة : لا ملن من حمر ، ولا هاق لوانديه ، ولا مصر على الزنا ، ولا مضارب ، ولا مضارب ، ولا قتات . وفي رواية مصور بدل مضارب ، وتسمى ليلة القسمة والتخير لما روى عطاء بن يسار إذا كانت ليلة النصف من شعبان نسح لملك الموت كل من يموت من شعبان إلى شعبان وأن العيد ليعرس العرس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وأن اسمه قد مسح في الموتى وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه

## الباب الثاني بعد المائة

## في فضل رمضان العظيم

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (١) من سعيد بن جبير - رضى الله عنه - كان صوم من قبلنا من الأتمة إلى الليلة القابلة كما كان في بناء الإسلام وقال جماعه من أهل العلم كان واجبا على التنصاري مريجا كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم وبعض معاشهم فاجتمع رأي كبارهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وروا فيه عشرة أيام كرامة ما صنعوا ثم أن ملكا لهم اشتكى فجعل الله عليه أن يرى من وجهه وأن يرى فيه أسرها فمات ذلك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابتهم موتان وهو موت الهالك فقال ريدوا صياكم فزادوا عشرا فيل وعشرا بعد . وقيل ما من أمة إلا وفرض عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه .

قال الجعفي والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الخجارة المحممة لأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد لأن العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر . وقيل صمى بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها . وفرغ في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جناح وجوه . وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يعلق منها باب في الشهر كله . وأمر الله تعالى مناديا ينادي يا طالب الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيحفر له ، هل من سائل فيعطى مؤله ، هل من تائب فيتاب عليه ، فلم يزل كذلك إلى انفجار الصبح والله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب .

وعن سلمان الفارسي - رضى الله عنه - قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أهداكم شهر عظيم فيه بنة القدر حبر من ألف شهر جعل الله صومه مريضة وقيام ليلة تطوها ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المراساة ، وهو شهر يزد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له عتيق رقبة ومغفرة لذنوبه ، قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يعطيه الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائما مدقة لبن أو شربة ماء أو نمرة ومن أشبع صائما كان به مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوصي شربة لا يظما

بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أود رحمة وأوسعها مغفرة وآخره عتيق من النار ، ومن خفف عن مملوكه فيه أحقه الله من النار فاستكثروا به من أروع حصال . خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعودون به من النار ، ومنها قوله ﷺ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورواه ﷺ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجرى به . وما هيئ عبادة أهدى إلى الله من الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، خصال من شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها حروف دم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يعطروا ، ونصفه فيه مردة الشياطين ، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكف عنهم السوء والآذى ، ويغفر لهم آخر ليلة منه ، قيل يا رسول الله أي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفي أجره إذا قضى عمله .

## الباب الثالث بعد المائة

## في فضل ليلة القدر

روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك وثنى ذلك لأمت فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الأم أعمارا وأقلها أحوالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر مدة حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولأمته إلى يوم القيامة . فهي من خصائص هذه الأمة ، ويقال اسم ذلك لرجل شمعون غرا العدو ألف شهر لم يجعب لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والجماعة بضاعت قلوبهم منه فبعثوا رسلا إلى امرأته وضموا لها طستا من ذهب مملوكة ذهب إن هي قيدته حتى يحبسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما ثلم بالليل أوثقت بعيل من ليف فلما اتجه حرك أعضائه فقطع الحبل قطعاً وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرتك فوثق فلما أغير الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء إبليس إلى الكفار وأرشدهم إلى أن تسأل المرأة زوجها أي شيء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا إليها فسألته فقال ذؤبنتي وكان له ثمانية دواب طويلة تجر على الأرض فلما قام قيدت رجله بأربعة يديه بأربعة محار الكفار وأخذوه وذهبوا به إلى بيت مدحهم مقدار أوسمائة درع عنده وما اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكثروا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقوى على فك وثاقه وعلى أن يجر العمود ويهدمه عليهم من مجاته منهم ففواه الله فتمحرك فانمك وثاقه وحرك العمود فوقع عندهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم ، فلما سمع أصحاب رسوا

الله ﷻ ذلك الخبر قالوا يا رسول الله هل ندرك ثوابه فقال لا أجرى ثم سأله فيه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر ، وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷻ إذا كان ليلة القدر نزل جبريل - عليه السلام - في كبكة من الملائكة يصلون ويسمعون على كل عيد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى . قال أبو هريرة - رضي الله عنه - الملائكة تنزل ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الخصى فتفتح أبواب السماء لتتزل كما ورد فتطلع الأنوار ويحصل نخل عظيم ويكشف فيها الملكوت والسموات في ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وانهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين ويهيم في هذا الملكوت ويتنزه في ذلك الرحمنوت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتهما ومنازل الكفار إلى غير ذلك ومنهم من تكشف حجبته عن جمال الله فلا يشاهد إلا إياه . وعن عمر عنه عليه - الصلاة والسلام - من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان إلى الصبح فهو أحب إلى من قيام ليالي شهر رمضان كلها ، فقالت فاطمة يا أبت ما تصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدر على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكون عبيها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله - عز وجل - إلا كان ذلك أحب إلى من قيام أمي جميعا شهر رمضان . وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷻ من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وغاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة .

### الباب الرابع بعد المائة

#### في فضل العيد

سمى هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذي هو العاشر من ذي الحجة عيداً لأن المؤمنين عادوا فيهم من طاعة الله تعالى التي هي أداء فريضة صيام رمضان والحيح إلى طاعة رسول الله ﷻ التي هي صيام ست من شوال والتأهب لزيارته ﷻ وتكرار ذلك كل عام ، ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالإحسان والعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله ﷻ عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهي سنة مؤكدة . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : « زينوا أعيادكم بالتكبير » (١) . قال ﷻ : من قال سبحان الله ويحمده يوم العيد ثلاثاً مرة وأهدأها

(١) (ضعيف) الصحيح الصغير ١ / ٢١٥ ، وضعيف الجامع (٣١٨٢) .

لأموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى في قبره إذا مات ألف نور . وعن وهب بن منبه - رضي الله عنه - أن إبليس يرن في كل عيد فتجتمع إليه الأبالسة فيقولون يا سيدنا م غضبك فيقول إن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ في هذا اليوم فليكنم أن تشغلوهم باللذات والشهوات . وعن وهب أيضاً أن الله تعالى خلق يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوى يوم عيد الفطر . واصطفى جبريل للوحي يوم عيد الفطر وثاب على سحرة لمعون يوم عيد الفطر وقال النبي ﷺ : « من قام ليلة العيد محسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » (١) .

حكى أن عمر رأى ولداً له يوم عيد وعليه قميص خلق فيكى فقال ما يبكيك فقال له يا بني أخشى أن يتكسر قلبك في يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال إنما يتكسر قلب من أهدمه الله وضاه أو حق أمه وأبيه وإني لأرجو أن يكون الله راضياً عني بركتك فيكى عمر وضاه إليه ودعا له - رضي الله عنهما - .

وما أحسن قول القائل :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه \* \* \* نلت خلعاً ساق عيده الجبرما  
فقر وصبر ثوبان بينهما \* \* \* قلب يرى ربه الأعياد والجمعما  
العيد لي مأتى إن غبت يا أملى \* \* \* والعيد أن كنت لي مرأى ومشمما

وورد إذا كان غداً عيد الفطر يمت الله الملائكة ليهبطون إلى الأرض ويقومون على السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الإنس والجن يقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي العطاء الجبريل ويغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم أنني قد جعلت ثوابهم رضائي ومغفرتي .

### الباب الخامس بعد المائة

#### في فضل عشر ذي الحجة

روى ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷻ قال : ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء ، وعن جابر بن عبد الله قال :

(١) (ضعيف) ابن ماجه (١٧٨٢) ، وضعيف الجامع (٥٧٤٦)

قال رسول الله ﷺ ما من أيام أحب إلى الله وأفضل من أيام العشر قبل ولا مثلهن في سبيل الله ، قال ولا مثلهن في سبيل الله وعن عائشة رضي الله عنها - أن شاكيا كان صاحب سماع وكان إذا أهل هلاك دى لحجة أصبح صائم مبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعا فقال ما يحملك على صيام هذه الأيام من بابي أنت وأمي يا رسول الله إنها أيام المشعر وأيام الحج عسى الله أن يشركن في دعائهم . قال فإن لك بكل يوم تصومه هلال مائة رقبة ومائة بقرة ومائة فرس تحمل عليها في سبيل الله فإد كان يوم التروية فلك فيها هلال ألف رقبة وألف بقرة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم عرفة فلك فيها هلال ألف رقبة وألف بقرة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى ، وقال ﷺ يعدل صوم يوم عرفة بصوم ستين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا فَمَا كَانَ لَهُمْ جَاءُ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا أَنْزَلَ السَّمَاءَ مِنْ أَهْلِهَا ذُفُرًا مِنْ نَارٍ مُسْكِيَةً يَوْمَ يُغْفَرُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (١) الآية . إنها العشر الأولى من ذي الحجة ، ومن ابن مسعود رضي الله عنه - أن الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة يسبقون إلى الجنة وأربعة اشتقت إليهم الجنة أما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وثانيها يوم عرفة فإذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي جاءوا شعثا حبرا قد أنفقوا الأموال وأتعبوا الأبدان أشهدوا أنني غفرت لهم ، وثالثها يوم المحرم فإذا كان يوم التمر وقرب العيد قرباته فأول قطرة قطرت من القربان تكون كساعة لكل ذنب عمله العبد ، ورابعها يوم الفطر فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة إن كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من حينهم يطلبون أجرهم أشهدكم أنني قد غفرت لهم . ويأدى النادي بأمة محمد إرجعوا فقد بدلت مشيئتكم حسنت . وأما الشهور فمرحب الفرد ودو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأما النساء فمرحب بنت عمران وحديجة بنت خويلد سافرة هذه العالمين إلى الإيمان بالله وسوله وأسفة بنت مزاحم امرأة فرعون وقاطمة بنت محمد سيدة ساء الجنة . وأما السابقون فلنكل قوم سابق قسيلا محمد ﷺ سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة . وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلى بن أبي طالب وسلمان الفارسي وهمل بن ياسر والمقداد بن الأسود . وعن ﷺ من صام يوم التروية أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى - عليه السلام - وعن النبي ﷺ إذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس أكثر من يوم عتقته ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حسنات الدنيا والآخرة قضاه له ، وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وستة مستقبلية (٢) . والحكمة في ذلك والله أعلم أنه بين عشرين يوما يوم سرور المؤمنين ولا سرور

(١) الآية (١٤٢) سورة الأعراف

(٢) صحيح مسلم (١٦٦٢)

أعظم من غفران ذنوبهم ، ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولأنه موسى - عليه السلام - ويوم عرفة نبييا ﷺ وكرامته تضاعف على غيره ﷺ

### الباب السادس بعد المائة

#### في فضل عاشوراء

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء لأسألتهم عن ذلك فقالوا إن هذا اليوم أظهر فيه موسى وبنو إسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي ﷺ نحن أولى بموسى منكم فأمر يصومه وقد ورد في فضل عاشوراء آثار كثيرة منها أنه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق المرحش والكرسي والسموات والشمس والقمر والنجوم وولد إبراهيم الخليل فيه وكانت نجاة من النار فيه وكلكت نجاة موسى ومن معه وإخراق فرعون ومن معه وفيه ولد عيسى وفيه رفع إلى السماء وفيه رفع إدريس مكانا عليا وفيه استوت سبعة نوح على الجودي وأعطى فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصير يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف عن أخيه وأول مطر نزل من السماء إلى الأرض كان يوم عاشوراء وكان صومه معمولا بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصام ﷺ قبل الهجرة ، ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال ﷺ في آخر عمره الشريف إن عشت إلى قابل لأصوم التاسع والعاشر هاتين إلى الرليق الأعلى من صومه ولم يصم غير العاشر لكانه رغب فيه وفي صوم التاسع والعاشر حشر بقوله ﷺ صوموا قبله يوما وبعده يوما خالفوا سنة اليهود . أي حيث أفرده بالصوم . وروى البيهقي في شعب الإيمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكره للطيراني الصدقة فيه بدرهم بسبع مائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرم ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فيموسم ، وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة ، وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والأدهان وتطيب يوم عاشوراء من وضع الكنايين .

واعلم أن ما أصيب به الحسين - رضي الله عنه - يوم عاشوراء إنما هو الشهادة الثالثة على مريد رفعتة وخرجته عند الله والحقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا يعمى أن يشعشع إلا بالأسرج مع امتثال الأمر وإحراز رتبة تعالى عليه بقوله ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ صَلَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَنْتَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١) وإياه ثم إياه أن يشتغل بدع الرافضة ويحرمهم من

السبب والباحة والحرث [د ليس ذلك من أخلاق المؤمنين ولا لكان يوم وفاة جده ﷺ أولى بذلك وأحرى وحسب الله تعالى وحده ونعم الوكيل

### الباب السابع بعد المائة

#### في فضل ضيافة الفقراء

قال ﷺ : لا تكلموا المضيف فتبتفضوه فإنه من أيفض الضيف فقد أيفض الله ومن أيفض الله أبغضه الله (١) وقال ﷺ : لا خير ليمس لايفض (٢) . ومرو رسول الله ﷺ برجل له ابل وبقير كثيرة فلم يضيئه ومرو امرأة لها شويهاة فلبحت له فقال ﷺ انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمسحه خلقا حسنا فعل . وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلتني شيئا من الدين إلى رجب فقال اليهودي والله لا أسلمه إلا بمرهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأدبته فأنهض بفرعى وأرهنه عنده ، وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يتمس من يتغذى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا وأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع أنه لم يخل ليلة عن ضيف . وسئل رسول الله ﷺ ما الإيمان فقال إطعام الطعام وبذل السلام وقال ﷺ في الكفارات والدرجات إطعام الطعام وطيب الكلام . وقال أسد رضى الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى .

وما أحسن قول القائل :

لم لا أحبيب الضيف أو ••• إرتاح مسن طسرب إليه

والضيف يأكل وركبه ••• عندي وشكرني عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم العنيفة إلا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر :

أصاحبت ضيفي قبل أنزل رحله ••• ويغضب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف في كثرة القرى ••• ولكتما وجهه الكريم غصيب

(١) بحاف البؤة ٥ / ٢٣٨

(٢) (صحيح أحمد ٤ / ١٥٥ ، وصحيح الجامع (٧٤٩٢)

فينبغي للداعي أن يعتمد بدعوته الانتباه دون الفساد قال ﷺ : أكل طعامك الأبرار في دهائه لبعض من دعا له . وقال ﷺ : لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (١) ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال ﷺ : شر الطعام طعام الوليمة يذهب إليها الأغنياء دون الفقراء (٢) . وينبغي أن لا يحمل آثاره في ضيافته فإن إهمالهم لإحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض لإحاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتعالي بل استمالة قلوب الإخوان وأحسن سعة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة أو يتأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته . قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطبة فإن أجاب الدعوة فعليه خطبتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لم كان يأكله . وإطعام التقى إهانة على الطاعة وإطعام الناس تقوية على التقى وقال رجل غياط لابن المبارك أن أحيط ثياب السلاطين فهل تحاف أن أكون من أحوال الظلمة قال لا ، إنما أحوال الظلمة من يبيع منك الحيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنتهم وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة ، وقد قيل بوجودها في بعض المواضع . قال ﷺ لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى دراع لقبلت وللإجابة خمسة آداب مذكورة في إحياء علوم الدين وغيره .

### الباب الثامن بعد المائة

#### في الكلام على الجنائز والقبر

إعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذكير لأهل الغفلة فإنها لا تزيدهم مشاهلتهم إلا قسوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنات غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم قبل حساباتهم وانقرض ولا يتفكرون أن النحومين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون قبل حساباتهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر هيد إلى جنازة إلا وقدر نفسه محمولا فاته محمول عليها على القرب ولعله في غدا أو بعد غد . ويروى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه كان إذا رأى جنازة قال أمضوا فإننا على الأثر . وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال أغدوا فربما راحتمون مرة بليلة وخمسة سبعة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثني نفسي بشيء سوى ما هو معمول به وما هو صائر

(١) بحاف البؤة ٥ / ٢٣٨

(٢) (صحيح شعري ٥١٧٧)

إليه ، ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تفر حبي حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم ما دمت حيا

وقال لأعمش كنا نشهد الجنازة فلا ندري من نعري لحزن الجميع وقال ثالث الجنائي كنا يشهد الجنازة فلا ندري إلا متنعما بأكيا فهكنا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يصيحون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتعكر أقرابه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتعكر واحد منهم إلى ما شاء الله في حماره بصره وفي حاله إذا حصل عليها ولا سبب لهذه العفلة إلا فسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونعول ونشتغل بما لا يعنيننا ، فسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال العاقلين على الجنائز بكاءهم على الميت ولو عفلوا ليكوا على أنفسهم لا على الميت نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أحوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وعرف الحاققة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن العلاء : جلست إلى جرير وهو يعلى على كتابه فقرأ فاطمت جنازة : فقال :

تسرونا الجنائز مقبلات \*\*\* ونلهو حين تلعب مدبرات

كروعة ثلثة لخار ذئب \*\*\* فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابها وسنه في الفن الفقه ومن آدابها حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الحاققة خطيرة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجأى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا ملان فلقد صحبت عمرك وبالتو حيد وعمرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وقو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا .

ويحكى أن رجلا من المنهمكين في انصاف مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعيها على حمل جنازته إذ لم يدبر بها أحد من جيرانه فكثرت فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى اصفى مما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع راقد من الرهاد الكفار فرأته كالمطر للجارية ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد برد لصفى على ملان فخرج أهل البلد فصلى الراقد وصلوا عليه وتعجب الناس من

صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام ينزل إلى موضع كنا نرى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصن عينيها فإنه معمرور به مراد تعجب الناس فاستدعى الراقد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت بحيرته ، قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان إذا أفاق من سكره وقت الصبح يندب ثيابه ويوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتعل بالنفس ، والثاني أنه كان أبدا لا يحلو بيته من يتيم أو يتيم وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد الاعتقاد لهم ، والثالث أنه كان يعيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من روايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث يعني بصره . فتنصرف الراقد وقد ارتفع إشكاله من أمره قال الضحك قال رجل يا رسول الله من أزهده الناس قال من لم ينس القبر وأقلى وترك فضل زينة الدنيا وأثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد هذا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور .

وقيل لعلى - كرم الله وجهه - ما شأنك جاورت المقبرة قال إنى أجدهم خير جيران إنى أجدهم جيران صدق يكون الألسنة ويذكرون الآخرة وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحية فمثل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقعت على قبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإلا لم يسج منه فما بعده أشد (١) وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحسب أن أتقرب إلى الله بهما . وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعلنت لك فما أعلنت لي .

وقال أبو ذر ألا أخبركم يوم تقرى يوم أوضع في قبري .

### الباب التاسع بعد المائة

#### في التخييف من عذاب جهنم

أخرج البخاري كان أكثر دهاء النبي ﷺ ربنا أننا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا هذاب النار . وأبو يعلى أنه ﷺ خطب فقال لا تتسوا العظيمين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جسي لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لتشبهتم على الصمد وتحشتم على رؤوسكم التراب . والطبراني في الأوسط جاء جبري إلى النبي ﷺ في حين

عن حبه الذي كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي أولئك متعير اللؤلؤ فقال ما حدثت حتى أمر الله عز وجل بمذبح النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لي اسرار أو ابعث لي جهنم فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أسودت فهي سوداء مظلمة لا يصح به شرده ولا يطفأ لها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم ذات من في الأرض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق لو أن حاربا من حرمة جهنم يرد إلى أهل الدنيا ذات من في الأرض كلهم جميعا من فيج وجهه ومن يت ربحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقه من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأرغمت وما تقاربت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا تصدع قلبي فأبوت قال فظن رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يكي فقال يكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال وما لي لا أبكي وأنا أحق باليكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدرى لعلي إيتني بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلي إيتني بما ابتلى به هاروت وماروت قال يكي رسول الله ﷺ ويكي جبريل فما زال يكيان حتى نوذيا أن يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أمركما أن تعصيا فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أهلهم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأأسفتم الطعام والشراب وخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقط عبادي إنما بعثك مشرا ولم أبعثك مبشرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا .

وروي أنه ﷺ قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، وابن ماجة والحاكم وصححه أن تاركهم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتصمتم بها وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يبعثها فيها . والبيهقي أن عمر - رضي الله عنه - قرأ : ﴿ كَلِمَاتٍ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِهَا فَمِنْ جُلُودِهَا نَدُّوا الْقُلُوبَ ﴾ (١) قال يا كعب أخبرني بتفسيرها فإن صدقت صدقتك وأن كذبت رددت عليك فقال إن جلد ابن آدم يعرف في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة قل صدقت والبيهقي أن الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم صعدوا فيعودون كما كانوا . ومسلم يؤتى بأسم أهل الدنيا من أهل النار فيصعب في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط فيقول ما رأيت خيرا قط . ويؤتى بأبأس أهل الدنيا فيعص في آفة غصة ثم يقال له هل رأيت يؤمب قط فيقول ما مؤمب في يؤمب قط ولا رأيت شدة قط . وروي ابن ماجة يرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهية الأحود ولو

(١) الآية ٥٦ سورة البقرة

أرسلت فيها السفن لجحرت . وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا فإن أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسول يعني الدم وتصرح العيون

### الباب العاشر بعد المائة

#### في الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن بن عاتشة أنها كتبت فقال رسول الله ﷺ ما يبكك قالت ذكرت النار بيكيت مهمل تذكرون أهليكم يوم القيامة ، فقال ﷺ أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أحسن ميزانه أم يشقى ، وعند نظائر الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا ، والترمذي عن أنس - رضي الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ أن يشع لي يوم القيامة قال أنا فاهل إن شاء الله تعالى قلت فأين أطبق قال أول ما تطبطني على الصراط قلت فإن لم ألتك على الصراط قال فاطبطني عند الميزان قال فاطبطني عند الجوز فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن .

وروي الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والأرض لو وضعت فتقول الملائكة يا رب لم يزن هذا ، فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عندك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد موسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عندك حق عبادتك . وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرفف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها ممسك يهوى فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبريق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجري الفرس ثم كسعي الرجل ثم كرمح الرجل ثم كمشي الرجل ثم يكون آخرهم إنسانا رجل فدلوحة النار ولقي لها شرا ثم أدخله الله الجنة بفضلته وكرمه ويقال له قم وسل فيقول أي رب أنهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له قم وصل حتى إذا انقطعت به الأماني قال لك ما سألت ومثله معه . وروي مسلم عن أم مبشر لأصحابه - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند جمعة رضى الله عنها لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين يابحوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فتنهروا فقال حصصه - رضي الله عنه - وإن منكم إلا واردها ففاد النبي ﷺ قد قال الله تعالى

﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَزَّلْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جُنًّا ﴾<sup>(١)</sup> وروى أحمد أن جماعة اختلفوا في الورد فقال بعضهم لا يدخلهم مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم يرمى الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - فقال ترحلونها جميعا ثم أهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال سمعت إن لم أكن سمعت رسول الله يقول الورد الدخول لا يبقى بر ولا قاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برذا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن النار أو قال جهنم ضجيجا من بردهم : ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَزَّلْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جُنًّا ﴾ وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصعدون عنها بأعمالهم أو لهم كمنح البرق ثم كمنح الريح ثم كمنح المرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشه .

### الباب الحادي عشر عقد المائدة

#### في وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - دخلت على رسول الله ﷺ يوم أمنا عائشة - رضي الله عنها - حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ، ثم قال مرحبا بكم حياكم الله أو أكرم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إلى لكم مه ندير مين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمقلب إلى الله وإلى سيرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأولى فاقربوا على أنفسكم وعلى من دخل في فيكم بعدي مني السلام ورحمة الله ،<sup>(٢)</sup>

وروى أنه ﷺ قال لجبريل - عليه السلام - عند مرته من لأمي بعدي ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أدخله في أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأم حتى يدخلها أمته ، فقال الآن قرأت عيسى وقالت عائشة - رضي الله عنها - أمرنا رسول الله ﷺ أن يغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعاهم وأوصى بالنصارى لا تريد على هيتها التي هي عليها اليوم وأن الأنصار عيشي التي أويت إليها ما كرموا كرمهم يمس محبتهم وتجاوزوا عن محبتهم ثم قال أن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاحترار ما عند الله فيكي أبو بكر - رضي الله عنه - وظن أنه يريد نفسه فقال النبي ﷺ على رسلك يا أبا بكر سلوا هذه الأبواب والشوارع في المسجد ، وإلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة - رضي الله عنها - فقبض ﷺ في بيته وفي يومين مسحري ونحري وجمع الله

(١) آية (٧٩) سورة مريم

(٢) حليه ١ / ١٩٨

بين رفيق ورفيقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فحمل ينظر إليه فعرفت أنه يحبه ذلك فقلت له أدخله لك فأرما برأسه أي نعم فتأولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت أليه لك فأرما برأسه أي نعم فليتة وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخن فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم مصب يده يقول الرميض الأعلى الرميض الأعلى فقلت إذا والله لا يحترار

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس - رضي الله عنه - على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي - رضي الله عنه - فأعلمه بمثله ، فمجد يده وقال ها فتأولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نحشى أن موت ونصايح سألهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ فسار رسول الله ﷺ متوكئا على علي والفضل ، والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من الشبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكر منكم للموت وماتفكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتعي إليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إلى لا حق بربي واتكم لاحفون به وإني أوصيكم بالمهاجرين فيمن بعث خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله - عز وجل - قال : ﴿ وَالنَّبِيُّ (ﷺ) إِنْ إِلَّا سَان لِي خَيْرٌ (١) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخره . وأن الأمور تجري بإذن الله فلا يحمنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لمجلة أحد ومن غالب الله قلبه ومن خادع الله خدعه فهل حسيت إن توليتهم أن تصدوا في الأرض وتعلموا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيرا ، فإنهم الذين تبعوا النار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ألا قم ولى أن يحكم بين رجس فيقبل من محبتهم وليتجاوز عن محبتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحفون بي ألا وإن موعدكم الحوض حوضي أعرض عما بين يديكم من الشدة والحناء اليمن يصيب فيه ميزاب الكوثر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأبهر من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ ويطحاهؤه المسك ، من حرمه في الموقف خذ حرم الخير كله ، ألا قم أحب أن يرد علي غدا فليكتب لسانه ويده إلا عما يتنقى . فقال العباس يا نبي الله أوصي بقريش فقال إن أوصي بهذا الأمر فريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم ولناجرهم لناجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن يدوب تغير الجسم وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أثبتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وروى ابن مسعود -

(٢) به (٢٤٩) سورة الأحزاب

(١) به (٣٠٠) سورة الأحزاب



رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي بكر - رضى الله عنه - سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليتهك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن متقلبنا فقال إلى الله وإلى سدة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأولى والرفيق الأعلى والحظ والتميش المهنأ ، فقال يا نبي الله من يلى غسلك ، قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال فقيم نفسك قال ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر ، فقال كيف الصلاة عليك منا وبكتنا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل : ﴿ هو الذي يصلى عليكم وملائكته ﴾ (١) ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها - صلى الله عليهم أجمعين - ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم الأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم ويرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى . وقالت عائشة - رضى الله عنها - فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوادثهم مستبشرين وأدخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينما نحن على ذلك لم تكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك إذ قال رسول الله ﷺ اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتحدث فى جانب البيت فنأخى الملك طويلا ثم إنه دهاتى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن ، فقلت ما هذا يحسن جبريل - عليه السلام - فقال رسول الله ﷺ أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله - عز وجل - أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لى أرجع وأن أفتن لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ، أكف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهله ساعة جبريل قالت عائشة - رضى الله عنها - فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأنا نمرينا بصاغة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لتلك الأمر وهيبة ملائكة أجروا لنا قالت وجاءه جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت قد دخل فقال إن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول كيف تحمدك وهو أعلم بالذى تحمدك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرقا وأن يتم كرامتك وشرقا على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدينى وجما فقال أبشر فإن الله تعالى أراد إن يهلك ما أحد لك فقال يا جبريل أن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن

ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذا حتى يجيىء وأذن للنساء فقال يا فاطمة ادنى فأكبت عليه فتأججها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطبق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فتأججها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطبق الكلام فكان الذى رأينا عنها عجيبا فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فيكبت ثم قال إنى دهوت الله أن يلمحك منى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنها منه فشبهما ، فقالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال الحقنى برى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد على أحد ترده عنك ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحى وطوى الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقعى لا الذى بعث محمد بالحق ما لى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وأشفقنا ، قالت فقمتم إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديى وأمسكت بصدرة وجعل يغنى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط فجعلت أملت ذلك العرق وما وجدت رائحة شىء أطيب منه فكتت أفول له إذا أفاق بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح ، فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس للكافر تخرج من شديده كضئ الحمار فعند ذلك ارتعدنا وبصنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أى بعته إلى أبى فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيىء أحد وإنما صدمه الله عنه لأنه ولأه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغنى عليه قال بلى الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ بين أرتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين ، قالت فاطمة رضى الله عنها ما لقيت من يوم اثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة ، أو قالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات رسول الله ﷺ وفيه قتل على وفيه قتل أبى فما لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بشوى فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وغلط آخرون فلاتوا الكلام بنفى بيان وبقى آخرون معهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن اخرس ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فإن الله - عز وجل - أبغضهم بالتوفيق والسداد وإن كان الناس لم يروعوا إلا بقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لا إله الا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقد قال وهو

بين أظهركم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (١) لَمْ إِلَٰكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَسَدٌ رِيحُكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿ (٢) وبلغ أبا بكر الخير وهو في بني الحارث بن الخزرج فجهاد ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينبك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله ﷺ ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَلَّيْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَّبِعْ عَلَىٰ غَيْبِهِ ﴾ (٣) الآية . فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يرمونه .

وفي رواية أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي على النبي ﷺ وعينه تملآن وعصمه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه فقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي وتقتن وأهلى طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فعمطت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت صلاة وعممت حتى صرنا بك سواء ولو لا أن موتك كان اختيارا منك لجئنا لحزتك بالنفوس ولو لا أنك نهيت عن البكاء لانتقلنا عليك ماء العمون فلما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفاً لا يرحان اللهم فأبلغه عنا . اذكرنا يا محمد - صلى الله عليك - عند ربك ولنكن من بالك فلولاً ما خلقت من السكينة لم يفهم أحد لما خلقت من الوحشة إنهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا آخر ما أقدرنا الله عليه واجذب قلوبنا إليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة وأرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلمحنا بيننا ﷺ على الإيمان إنه أكرم مسؤول وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين .

\*\*\*

يقول مصححه الخائف وعيد ربه الراجي منه الوعد طه بن عبد الرزاق سعد :

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات ونشهد إلا إله إلا الله شهادة تشغل ياربنا بها لنا ميزان الحسنات وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دها بدهوته واتبع سبيل المؤمنين .

أما بعد : فقد تم هذا الكتاب الشريف فذلك الصرح الفخم المنيف أرجو من الله أن يتوب ويغفر لكل من ساعد في نشر هذا الكتاب وتكل من قرأه أو سمعه واجعلنا من الذين يسمعون القول فيشبهون أحسنه واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويقولون فيخلصون ويخلصون فيقبلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) آية (٣١-٣٠) سورة الزمر . (٢) آية (١٤٤) سورة آل عمران .

ترجمة حياة الإمام الغزالي

- ٥ في بيان الخوف
- ٧٠ في الخوف من الله تعالى
- ١٠ في الصبر والمرض
- ١٢ في الرياضة والشهوة النفسانية
- ١٥ في غلبة النفس وعداوة الشيطان
- ١٦ في الغفلة
- ١٩ في نسيان الله تعالى والفسق والتفك
- ٢١ في التوبة
- ٢٤ في المحبة
- ٢٦ في العشق
- ٢٩ في طاعة الله ومحبة ومحبة رسول الله ﷺ
- ٣٤ في ذكر إبليس وعذابه
- ٣٦ في الأمانة
- ٣٨ في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع
- ٤١ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٤ في عداوة الشيطان
- ٥٢ في بيان الأمانة والتوبة
- ٥٧ في فضل الترحم
- ٥٩ في بيان الخشوع في الصلاة
- ٦٢ في بيان النية والنية

- في بيان الزكاة ..... ٦٦
- في بيان الزنا ..... ٦٧
- في صلة الرحم وحقوق الوالدين ..... ٧٢
- في بر الوالدين ..... ٧٦
- في الزكاة والبخل ..... ٧٨
- في طول الأمل ..... ٧٩
- في ملازمة الطاعة وترك الحرام ..... ٨٤
- في بيان ذكر الموت ..... ٨٨
- في ذكر السموات والأجناس المختلفة ..... ٨٩
- في بيان الكرم والكرم والكرس والعرش وبيان الملائكة والأرزاق والتوكل ..... ٩١
- في ترك الدنيا ودمها ..... ١٠٢
- في ذم الدنيا ..... ١٠٦
- في فضل القناعة ..... ١١٠
- في فضل الفقراء ..... ١١٥
- في اتخاذ ولي من دون الله وفي بيان العرصات ..... ١١٧
- في النفع والفرع والحشر من المقابر ..... ١٢٠
- في بيان القضاء بين الخلائق ..... ١٢٢
- في بيان ذم المال ..... ١٢٥
- في الأعمال والميزان وعذاب النار ..... ١٣١
- في فضل الطاعة ..... ١٣٣
- في الشكر

- في بيان ذم الكبر ..... ١٣٩
- في التفكير في الإيمان وغيرها ..... ١٤١
- في بيان شدة الموت ..... ١٤٤
- في بيان الفقر وسؤاله ..... ١٤٧
- في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض ..... ١٤٨
- في فضل ذكر الله تعالى ..... ١٥١
- في فضل الصلوات ..... ١٥٢
- في بيان عقوبة تارك الصلاة ..... ١٦١
- في بيان عرصات جهنم وعذابها ..... ١٦٣
- في بيان عذاب جهنم أيضاً ..... ١٦٦
- في بيان فضل الخوف من الذنب ..... ١٦٨
- في بيان فضل التوبة ..... ١٧٢
- في بيان النهي عن الظلم ..... ١٧٤
- في النهي عن ظلم اليتيم ..... ١٧٥
- في بيان ذم الكبر ..... ١٧٧
- في فضل التواضع والقناعة ..... ١٧٩
- في بيان غرور الدنيا ..... ١٨١
- في بيان ذم الدنيا والتحذير منها ..... ١٨٥
- في فضل الصدقة ..... ١٨٧
- في قضاء حاجة أخيه المسلم ..... ١٨٨
- في فضل الوضوء

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ١٩٢ | في فضل الصلوات                      |
| ١٩٣ | في بيان أهوال القيامة               |
| ١٩٥ | في صفة جهنم والميزان                |
| ١٩٥ | في بيان ذم الكبر والعجب             |
| ١٩٦ | في الإحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم |
| ١٩٨ | في تحريم أكل الحرام                 |
| ٢٠٠ | في النهي عن الربا                   |
| ٢٠٢ | في حقوق العبد                       |
| ٢٠٣ | في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد    |
| ٢٠٧ | في صفة الجنة ومراتب أهلها           |
| ٢١٠ | في الصبر والرضا والقناعة            |
| ٢١٢ | في فضل التوكل                       |
| ٢١٣ | في فضل المسجد                       |
| ٢١٤ | في الرياضة وفضل أهل الكرامة         |
| ٢١٧ | في الإيمان والتفاني                 |
| ٢١٩ | في النهي عن الغيبة والنميمة         |
| ٢٢٢ | في بيان عداوة الشيطان               |
| ٢٢٣ | في بيان المحبة ومحاسبة النفس        |
| ٢٢٥ | في بيان تلبيس الحق بالباطل          |
| ٢٢٧ | في فضل صلاة الجماعة                 |
| ٢٢٨ | في فضل صلاة الليل                   |

|     |                                   |
|-----|-----------------------------------|
| ٢٣٠ | في عقوبة علماء الدنيا             |
| ٢٣١ | في فضل حسن الخلق                  |
| ٢٣٣ | في الضحك والبكاء واللباس          |
| ٢٣٤ | في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء |
| ٢٣٥ | في فضل الصلاة والركعة             |
| ٢٣٦ | في بر الوالدين وحقوق الأولاد      |
| ٢٣٨ | في حقوق الجوار والإحسان للمساكين  |
| ٢٤٠ | في عقوبة شارب الخمر               |
| ٢٤١ | في معراج النبي ﷺ                  |
| ٢٤٣ | في فضل الجمعة                     |
| ٢٤٤ | في حق الزوجة على الزوج            |
| ٢٤٦ | في حق الزوج على الزوجة            |
| ٢٤٨ | في فضل الجهاد                     |
| ٢٤٩ | في مكر الشيطان                    |
| ٢٥١ | في بيان السماع                    |
| ٢٥٣ | في النهي عن البدعة واتباع الهوى   |
| ٢٥٤ | في فضل في النهي عن آفة اللهم      |
| ٢٥٥ | في فضل رجب                        |
| ٢٥٦ | في فضل شعبان المبارك              |
| ٢٥٨ | في فضل رمضان المعظم               |
| ٢٥٩ | في فضل ليلة القدر                 |
| ٢٦٠ | في فضل العيد                      |
| ٢٦١ | في فضل عشر ذي الحجة               |
| ٢٦٣ | في فضل عاشوراء                    |
| ٢٦٤ | في فضل ضيافة الفقراء              |
| ٢٦٥ | في الكلام على الجمارة والقبر      |
| ٢٦٧ | في التحذير من عذاب جهنم           |
| ٢٦٩ | في الميزان والصراف                |
| ٢٧٠ | في وفاة النبي ﷺ                   |
| ٢٧٩ | في القهر                          |